مركز دراسات الوحدة العربية

الوجود المسيحي في القدس

خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

الدكتور رؤوف سعد أبو جابر

ا الكتاب

كانت القدس في القرنين الماضيين مسرحاً لأحداث لفة في الوقت الذي لم تكن فيه لسكانها العرب القدرة ، اتخاذ موقف فاعل تجاه تلك الأحداث. فالسيطرة ثمانية المطلقة لم تترك لهم مجالاً للتحرك. وقد شهدت ياة في الأراضي المقدسة في الفترة التي تلت الحكم ري بداية للانفتاح الواسع، وذلك خلال فترة الصداقة ديدة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية مما سمح جيء أعداد كبيرة من الأوروبيين في محاولة لتقوية وجود سهم في مدينة القدس الخالدة.

لقد ظلّت القدس منذ العهدة العمرية مدينة عربية سطينية إسلامية مسيحية لها في قلب كلّ عربي مكانة صة نظراً لقدسيّتها ومكانتها الدينية. وكان الوجود يحي فيها منذ مجيء الإسلام مواكباً للوجود الإسلامي، ث أصبحت المدينة المقدسة عنوان التعددية والوسطية عيش المشترك بين أتباع الأديان.. على أن الغزو هيوني لفلسطين في القرن العشرين أصبح سجلاً لصفحة داء في تاريخ الأحداث بسبب المعاناة المستمرة التي ثها في الأراضي المقدسة بعدوانه وأطماعه التوسعية، ي يقاومها الشعب العربي بجناحيه المسلم والمسيحي، حياً لإحقاق الحق والمحافظة على الحقوق والتراث اريخ.

الطبعة الثانية

ركز دراسات الوحدة العربية

«بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
راء ـ بيروت ٢٠٣٤ ٢٤٠٧ ـ لبنان
ن: ٧٥٠٠٨٤ ـ ٧٥٠٠٨٥ ـ ٧٥٠٠٨٦ ـ ٧٥٠٠٨٧ (٩٦١١+)
: «مرعربي» ـ بيروت
ن: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)
e-mail: info@caus.org.lb
Web site: http://www.caus.org.lb

الثمن: ١١ دولاراً
أو ما يعادلها

ISBN 978-9953-82-295-2

الوجود المسيحي في القدس

خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

مركز دراسات الوحدة العربية

الوجود المسيحي في القدس

خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

الدكتور رؤوف سعد أبو جابر

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد مركز دراسات الوحدة العربية
أبو جابر، رؤوف سعد
الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين/رؤوف سعد أبو جابر.
٢٩٤ ص.
بيليوغرافية: ص ٢٧٣ ـ ٢٧٨.
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-9953-82-295-2
١. المسيحيون ـ القدس. ٢. الكنائس ـ القدس. ٣. القدس ـ تاريخ.
أ. العنوان.
305.6210569442

العنوان بالإنكليزية

The Christian Presence in Jerusalem
in the Nineteenth and Twentieth Centuries
by Raouf Saad Abu Jaber

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٤٠٧ ٢٠٣٤ ـ لبنان
تلفون: ٧٥٠٠٨٤ ـ ٧٥٠٠٨٥ ـ ٧٥٠٠٨٦ ـ ٧٥٠٠٨٧ (٩٦١١+)
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)
e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، آب/أغسطس ٢٠٠٤
الطبعة الثانية: بيروت، كانون الثاني/يناير ٢٠١٠

المحتويـــات

مقدمـة

من الطبيعي أن تعود علاقة المسيحيين بالقدس إلى بداية الفترة التي بشّر فيها السيد المسيح بمعتقده. ومن الثابت أن الوجود المسيحي في المدينة المقدّسة ظلّ متواصلاً منذ ذلك العهد باستثناء فترة امتدت حوالى الستين سنة عندما ثار اليهود ضدّ السلطة الرومانية بين عامي ٦٦ و ٧٠ للميلاد، فجزع الأسقف سمعان على المسيحيين أن يصل الضرر إليهم، ورحل بهم إلى مدينة بيلا المعروفة الآن باسم طبقة فحل في الغور الشمالي شرقي نهر الأردن مقابل مدينة بيسان. فتفادوا بذلك معاناة السكان الذين ظلوا في أورشليم عندما زحف عليها القائد الروماني تيطس عام ٧٠م وحاصرها بجيش لجب ودمّرها حتى الأساسات، فبقيت خربة ستين سنة، حتى إذا قرّر الإمبراطور هدريان بناء مدينة جديدة سمّاها إيلياء على أنقاض أورشليم، عاد المؤمنون المسيحيون وتوطّنوا فيها، وأخذوا ينتخبون أساقفة منهم لإدارة كنيستهم.

وقد مرّت على المدينة المقدّسة أوقات متباينة منذ ذلك الزمن وحتى عام ٦٣٨م عندما أصبح سكانها العرب المسيحيون بعد تسليم القدس يعيشون فيها باستمرار جنباً إلى جنب مع أبناء جنسهم من العرب المسلمين، بينما كانت الفئات المسيحية الأخرى كاليونان والسريان والأرمن والأحباش والأقباط والكرج، وفي أوقات لاحقة الأوروبيين الذين قدموا أثناء حروب الفرنجة، ينتشرون في المدينة بحسب الظروف المختلفة. إلا أنه من الثابت أن العهدة العمرية التي أقرّها الخليفة عمر بن الخطّاب للبطريرك صفرونيوس عام ٦٣٨م، والتي صبّت جلّ اهتمامها على العرب المسيحيين الذين كانوا في المدينة، أوجدت منحى جديداً لحياة العرب وسمحت للروم بالرحيل، بحيث إن كتب التراث العربي في القرنين السابع والثامن لا يرد فيها ذكر لهذا العنصر أثناء حديثها عن الأحداث التي جرت في البلاد المقدّسة أثناء حكم الأمويين والعباسيين، بينما ترد بالتفصيل أنباء الحروب والغزوات التي كانت تشتعل على الحدود الشمالية بين العرب والروم (البيزنطيين) حتى بدء حروب الفرنجة.

إن تعدّد وتنوّع المواضيع التي اضطرنا البحث إلى ذكرها والخوض في تفاصيلها

جعل من الصعب في بعض الأحيان التقيّد بتواريخ الأزمنة والحوادث التي حصلت فيها. وقد وجدنا من الأنسب عدم التشدّد في هذا المجال حفاظاً على سياق البحث وبسبب ثقتنا التامّة أن القارئ سوف يتمكّن من أخذ هذا في الحسبان عندما يتبينّ له حرصنا على استمرارية البحث في الموضوع المحدّد.

ونظراً لوجود هذا الوضع غير الطبيعي الذي يجد العرب فيه أنفسهم بالنسبة إلى المدينة المقدّسة في هذه الأيام، أي في بداية القرن الواحد والعشرين، وهذا الاحتلال الغاشم الذي يجثم عليها بكل قسوته واستبداده، فإنه من الضروري أن يوثّق هذا التاريخ الحافل الذي هو عنوان العيش المشترك بين المسيحيين والمسلمين في رحاب الأراضي المقدّسة، وفي طليعتها القدس، وخصوصاً أن القرنين التاسع عشر والعشرين كانا عصر النهضة العربية التي ما زلنا نتطلّع، على رغم الهجمة الصهيونية في هذا القرن، إلى قيام أمتنا من خلالها بإنجاز حضاري يؤهلنا للحاق بركب العولمة الذي باغتنا بهجمته دون سابق إنذار.

إن معرفتنا بالأمور التي حصلت والأحداث التي وقعت خلال القرنين الماضيين ستكون ولا شك دعامة لمواقفنا الأساسية، مسلمين ومسيحيين، في الدفاع عن المقدّسات والحفاظ على عروبة القدس وحريتها للأجيال القادمة.

رؤوف سعد أبو جابر
عمّان، ١ آذار/ مارس ٢٠٠٤

الفصل الأول

الأوضاع العامة في القدس
في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٠ ـ ١٨٣١)

كانت فلسطين في هذه الفترة ـ مثل غيرها من أجزاء بلاد الشام ـ تعيش في ظل الحكم العثماني، وكانت القدس وقراها تشكل جزءاً من ولاية عكا التي كان واليها أحمد باشا الجزار قد صدّ حملة نابوليون الفرنسية عن أسوار عكا في السنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م. وهذه الفترة الزمنية بمجملها، منذ وفاة الشيخ ظاهر العمر الزيداني عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٥م[١] وحتى وفاة الجزار عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م[٢]، كانت فترة حرجة شهدت الكثير من القلاقل والفتن والحروب الداخلية، مما أفقر الأهالي وخرّب البلاد بعد أن كانت في يسر ورخاء قبل ذلك بخمسين عاماً. خلال هذه الفترة، قام الرحالة الفرنسي المشهور فولني (Volney) برحلته إلى مصر وسوريا خلال الأعوام ١٧٨٣ و١٧٨٤ و١٧٨٥ وسجل مشاهداته في كتابه الذي صدرت ترجمته الإنكليزية في العام ١٧٨٧ في جزأين. وقد قدر أن عدد سكان القدس عند زيارته لها كان يتراوح بين الاثني عشر والأربعة عشر ألف نسمة. ومع أنه لا يذكر عدد المسيحيين في المدينة، إلا أنه يقول في معرض حديثه عن الطوائف المسيحية «إن متسلم القدس يلتزم بالضرائب، وهو يحصّلها من ضريبة الميري والجمارك، ولكن بشكل خاص من مشاكل السكان المسيحيين بعضهم بين بعض». ولمعرفة طبيعة هذا البند الأخير، يجب الأخذ في الاعتبار أن الطوائف المختلفة من الأرثوذكس واللاتين والأرمن والقبط والأحباش والإفرنج، وفي مرحلة لاحقة الروم الكاثوليك، جميعهم يحسدون بعضهم بعضاً على حيازة الأماكن المقدسة، وباستمرار يحاولون المزايدة واحدهم على الآخر بالنسبة إلى الأموال التي يعرضونها على الولاة الأتراك. كانوا دائماً يحاولون الحصول على امتياز ما لأنفسهم أو لأخذه من منافسيهم، وكل فئة كانت تقوم بالوشاية عن أية أخطاء يرتكبها الآخرون، مثل إصلاح كنيسة سراً، أو استمرار مسيرة امتدت أكثر من الحدود المرسومة، أو أن حاجاً زائراً دخل في باب غير الباب المخصص عادة لدخوله.

---

(١) توفيق معمر، ظاهر العمر (الناصرة: [د. ن.]، ١٩٧٩)، ص ٢٤٩.

(٢) انظر: حيدر أحمد الشهابي، تاريخ أحمد باشا الجزار للأمير حيدر أحمد شهاب، نشره ووضع مقدمته وحواشيه وفهارسه وألحقه بذيل تاريخي الأب انطونيوس شبلي والأب اغناطيوس عبده خليفة (بيروت: مكتبة انطوان، [١٩٥٥])، ص٥٠٦، و ابراهيم العورة، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل: يشتمل على تاريخ فلسطين ولبنان ومدنه وبلاد العلويين والشام، تحرير قسطنطين الباشا (صيدا: مطبعة دير المخلص، ١٩٣٦)، ص ١٦.

وجميع هذه التهم التي كانوا يتطوعون لتقديمها كانت تجعل الحكومة لا تتوانى عن الاستفادة منها، إما بالغرامات أو بالحبس، بينما كان الموظفون يلجأون إلى استغلال الموقف للحصول على الرشى. هذه الكراهية والصراع العقيم بين الأديرة المختلفة وأتباعها كانا يعطيان الأتراك الفرصة لتحقيق الأرباح. ولذلك، فإنهم كانوا لا يرغبون في وضع حدّ لها، لأنهم جميعاً في مراكزهم المختلفة يستفيدون من هذه الخلافات. وأما عائدات المتسلم السنوية، فكانت تزيد على المائة ألف قرش (حوالى الأربعة آلاف جنيه ذهباً). فكل حاج كان يدفع عشرة قروش للدخولية، ومثلها لزيارة نهر الأردن (الشريعة)، كما كان كل دير يقوم بدفع مبلغ سنوي، بالإضافة إلى الرشى والرسوم التي يتقاضاها المتسلم على تصدير المواد المتعلقة بالحجاج (السنتواري)، ويزيد عددها على الثلاثمائة صندوق من المسابح والأيقونات والمطرزات والصلبان والتماثيل وما شابه. وكانت مصنوعة من الخشب والحرير والمرجان واللؤلؤ والذهب والفضة، ويصرف عليها سنوياً أكثر من مائة ألف قرش من قبل الأديرة، وتصدّر إلى تركيا وإيطاليا والبرتغال، وخاصة إسبانيا، ولذلك كان يستفيد من إنتاجها وبيعها جمهرة السكان من مسلمين ومسيحيين.

وكان هنالك مصدر رزق آخر لا يقل أهمية عن هذه، وهو زيارات الحجاج. ومع أن عدد الغربيين كان قليلاً نسبياً، فإن عدد الزوار من الشرقيين الذين كانوا يفدون من اليونان والجزر اليونانية والأناضول وأرمينيا ومصر وسوريا كان كبيراً. وقد زاد على الألفي حاج عام ١٧٨٤ يتكلف الواحد منهم أربعة آلاف قرش على الأقل، بينما يصرف بعضهم أكثر من ستين ألفاً على الأعطيات والنذور. ولكن من الجدير بالذكر أن سجلات الرهبان تظهر أن عدد الحجاج في السنين السابقة كان يتراوح بين العشرة آلاف والاثني عشر ألفاً»[٣].

ويتطرق فولني إلى الوجود الكاثوليكي في القدس، فيقول إن الإفرنج لهم في القدس دير المخلص (Saint Sauveur) الذي يعتبر في المقام الأول بين جميع بعثات الأراضي المقدسة في الإمبراطورية العثمانية، وفيه سبعة عشر من الرهبان الفرنسيسكان من جميع الدول، ولكن على الغالب كانوا فرنسيين وإيطاليين وإسباناً، والإدارة منوطة بالرئيس الذي يجب أن يكون إيطالياً، والوكيل الذي يجب أن يكون

---

(٣) M.C-F. Volney, *Travels through Syria and Egypt: In the years 1783,1784, and 1785. Containing the Present Natural and Political State of Those Countries, their Productions, Arts, Manufactures, and Commerce; with Observations on the Manners, Customs, and Government of the Turks and Arabs*, 2 vols., 2nd ed.(London: Printed for G.G.J. and J. Robinson, 1788), pp. 304 - 309.

فرنسياً، ورئيس الدير الذي يجب أن يكون إسبانياً. ولكل منهم مفتاح خاص للخزنة، بحيث لا يمكن التصرف بمحتوياتها إلا باتفاق الثلاثة. وقبل عشرين سنة تقريباً فرغت الأموال، فاسترحموا العون من ملك إسبانيا الذي أعلن نفسه حامي رهبنة الأراضي المقدسة في المشرق، وأمدهم بمبلغ يتجاوز الثلاثين ألف جنيه ذهباً ليدعم النشاط الكاثوليكي في القدس وأرجاء فلسطين(٤).

ومع أن القدس كانت تعيش بسبب أهميتها الدينية حياة خاصة بها تختلف بشكل ملموس عن حياة المدن الأخرى، مثل غزة ويافا ونابلس والناصرة وصفد، فإنها كانت تتأثر تأثراً مباشراً بالأحوال السائدة في مناطق فلسطين، وخصوصاً الوسطى منها، لأن زوار الأراضي المقدسة الذين كانوا مصدر رزق الأهالي في القدس كان مجيئهم مرتبطاً بالاستقرار والأمن في أنحاء البلاد، بينما كان الفلاحون في جبل القدس يعوّلون على المدينة وأسواقها في حياتهم اليومية لكسب معاشهم عن طريق بيع محصولاتهم فيها.

ومن الحوادث الجديرة بالذكر في هذه الفترة أن محمد باشا أبو مرق والي يافا السابق، وقد لاحظ تعذر طريق قافلة الحاج إلى الحجاز خلال السنين الثلاث التي أعقبت وفاة الجزار، قام بإقناع الدولة العليا بإعطائه منصب الولاية في يافا وغزة والرملة واللد والقدس لكي يباشر فتح الطريق للقافلة من ناحية غزة عن طريق معان. وقد لقي عرضه قبولاً، وقامت الدولة بتعيينه، فحضر إلى يافا في أول سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م وضبط المنصب، واستقام في المدينة دون أن يظهر شيء مما تعهد به بالنسبة إلى قافلة الحاج، إلا أنه اشتد بالقساوة والظلم على الأهالي، وبدلاً من أن يسهل تسيير طريق الحجاج المسلمين، قطع طريق حجاج النصارى عن القدس، فقد أمسك عليهم طريق رام الله ورتب عليهم رسوماً وأتاوات شاقة، عدا التسلط عليهم من جماعته لأخذ البخشيش والهدايا، مما جعل الزوار عموماً يستنكفون عن الحضور إلى القدس في الوقت الذي التزم فيه الموجودون منهم في المدينة عدم الرجوع إلى بلادهم تفادياً لهذه المشاق التي كانوا يتعرضون إليها أثناء السفر. وقد كان لهذه الأعمال نتائج ضارة حدت رؤساء أديرة القدس والرملة ويافا على أن يبعثوا بشكواهم إلى والي عكا سليمان باشا، وبعد ذلك إلى الباب العالي، مما أدى إلى صدور الأمر الخاقاني لمحمد باشا أبو مرق متضمناً التوبيخ والتحذير. فلما لم يرتدع، صدر الخط الهمايوني الشريف، أي الأمر السلطاني بعزله وقطع رأسه في أوائل ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وعند محاصرته في

---

(٤) المصدر نفسه، ص ٣١٣ ـ ٣١٧.

يافا لم يجد بداً من الهرب إلى مصر، إذ إنه كان على اتصال مع واليها محمد علي باشا الذي كان قد أجابه إلى طلبه المساعدة بالإيجاب ووعده بالتدخل لمصلحته في اسطنبول(٥).

كانت المزارات في القدس، وعلى الأخص كنيسة القيامة، وما زالت، تشكل لبّ الصراع بين الطوائف المختلفة في القدس. وفي هذه الفترة كان الخلاف قد بدأ يشتد بين الروم الأرثوذكس والأرمن، وعندما شبّ الحريق في كنيسة القيامة فجر الأربعاء الواقع في ٣٠ أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٠٨ واستمر يومين كاملين اعتبره معظم نصارى القدس كارثة عظمى، ليس فقط بسبب الدمار الذي لحق بالكنيسة، وإنما بسبب الشك الذي تولد لدى معظمهم بأن الأرمن كانوا هم الذين افتعلوا الحريق رغبة منهم في أن يكون لهم دور أكبر في الإشراف على الكنيسة. وقد استشهد العارف بقول الخوري مخائيل بريك الدمشقي أن الحريق الذي أصاب كنيسة القيامة في ٣٠ أيلول/ سبتمبر ١٨٠٨ كان بفعل الأرمن. كما أن فريقاً من الناس قالوا إنه مقصود، وآخرون ادعوا غير ذلك.

وقد أظهرت الخلافات الكبيرة التي جابهت إعادة البناء أن هذه الخلافات كانت أعمق بكثير مما يظهر، وأن اللاتين كانوا أيضاً على استعداد لانتهاز أية فرصة لتقوية موقفهم والحصول على امتيازات جديدة. فعندما حصل الأرثوذكس على فرمان بإعادة تعمير كنيسة القيامة من السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) بعد حصول الحريق بمدة قليلة اعترض الأرمن واللاتين، مما عطل سير الأمور. ولم يتمكن الأرثوذكس من المباشرة في إعادة البناء إلا يوم ٤ آب/ أغسطس ١٨٠٩. ولكن الهدوء لم يحلّ، إذ قام الأرمن في أواسط تشرين الأول/ أكتوبر، أي بعد سبعين يوماً من مباشرة البناء، بتقديم استدعاء إلى الباب العالي يتظلمون فيه من الروم، فأمر السلطان بتشكيل لجنة من سبعة قضاة تحت رئاسة شيخ الإسلام للنظر في الدعوى. وبعد أن قدم كل فريق مستنداته ودققت، وجدت المحكمة أن الحق بتجديد بناء كنيسة القيامة هو للروم الأرثوذكس وحدهم من دون اشتراك الطوائف الأخرى معهم في ذلك، مما حدا السلطان محمود على إصدار إرادته بانفراد الروم في تجديد بناء الكنيسة من دون معارضة كما كانت قبل الحريق بلا زيادة في الطول والعرض والعلو، وأن تعاد للأرمن الأماكن التي تخصهم في كنيسة القيامة بعد العمارة، وتوضع شمعداناتهم وقناديلهم كما كانت قبل الحريق. وجاء دور الأقباط الذين طلبوا أن يبنوا كنيستهم

(٥) العورة، المصدر نفسه، ص٨٠ ـ ٨٦.

الصغيرة التي وراء القبر المقدس، فلم يؤذن لهم، وإنما بدأ الروم ببنائها أصغر حجماً مما كانت لأجل توسيع الطريق حول القبر(٦). واستمر العمل حتى أواخر السنة عندما جرى حلّ وجاق الانكشارية، أي الفرق العسكرية التي يضمها تنظيمهم، وقام عبدالله باشا العظم والي دمشق أثناء زيارته للقدس بإخراجهم من المدينة القديمة حيث كانوا يقيمون لأجل الحراسة ووضع مكانهم جنوداً نظاميين. وبعد مغادرته ثار ثائرهم بتحريض الأرمن وإغرائهم، فتمردوا وهجموا على كنيسة القيامة، فقتلوا نحاتاً ماهراً وجرحوا عدداً من العمال وهدموا البناء، وكذلك نهبوا الكنائس. فلم يكن من والي الشام إلا أن أرسل سبعمائة من الجنود من المغاربة بقيادة مقدمهم أبي ذريعة الذي دخل المدينة مع عسكره على حين غرة صباح ٨ كانون الثاني/ يناير سنة ١٨١٠ وقضى على فتنتهم بعد قتلهم جميعاً(٧). وعندها استؤنف البناء وتمّ إكماله بكلفة إجمالية بلغت ٣٥٥ ألف ريال، ودشنت كنيسة القيامة الجديدة يوم ١٣ أيلول/ سبتمبر سنة ١٨١٠، وعندها اعتُبر اللاتين والأرمن شركاء الروم في القبر المقدس.

إن هذه الخلافات المستحكمة التي ظهرت بوضوح من خلال معركة إعادة بناء كنيسة القيامة بين الطوائف المسيحية في القدس، إنما هي مثال آخر على عصبيات قومية كانت تتخفى خلف الممارسات الدينية. ومما يذكر في هذا الصدد الخلاف الذي دبّ بين الأرثوذكس والأرمن الذين كانوا يعيّدون عيد الفصح سوياً حتى عام ١٦٣٣، عندما قرّر الأرمن حسب ما أورده كتاب **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية**، أن يعيّدوا وحدهم كي ينفردوا في حفلة خاصة بهم يوم سبت النور في كنيسة القيامة. ومثل هذه الخلافات كانت في الوقت نفسه عنوان الفساد الذي كان سائداً في العصر العثماني، حيث يلجأ ذوو الحل والربط إلى الاستفادة المستمرة من هذه الخلافات عن طريق أخذ الهدايا والرشى والوظائف العليا بالواسطة واستعمال النفوذ والتأثير في الباب العالي في اسطنبول عن طريق رجال الدين والسفراء المعتمدين فيها. ومن الملاحظ أن هذه المعركة، مثل ما سبقها وما لحق بها من معارك، إنما كانت بين الرهبان الذين يسيطرون على البطريركيات والأديرة، وكانوا من

---

(٦) شحادة خوري ونقولا خوري، **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية** (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥)، ص١٨٠ وما بعدها، وط ٢ (عمان: [د. ن.]، ١٩٩٢).

(٧) الانكشارية كلمة تركية تعني في الأصل «العسكر الجديد» وكانوا حتى القرن السابع عشر يجندون من بين أبناء السكان المسيحيين في أرجاء الامبرطورية العثمانية، وأصبحوا بعد ذلك جيشاً خاصاً فقويت شوكتهم وأكثروا من الاعتداء على السكان ومخالفة قوانين البلاد مما اضطر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) إلى إصدار فرمان سلطاني بحل فتنتهم بعد قتل العديد منهم وتدمير ثكناتهم يوم ١٥ حزيران/ يونيو ١٨٢٨.

جنسيات بلدان مختلفة، منها اليونان وأرمينيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا، بينما لم يكن للعرب من أتباع الكنائس المختلفة أي دور حقيقي سوى رفع الصوت عندما يتمّ تأليب واستنهاض همتهم بداعي أن اعتداءً قد حصل على المقدسات والمزارات الخاصة بطائفتهم. وهنالك ملاحظة أخرى مهمة، وهي هذا الإصرار العثماني على أن لا يكون البناء أو حتى الترميم والتصليح للأماكن المسيحية الدينية إلا بترخيص صادر عن أعلى السلطات في الحكم، وبشرط أن يكون العمل بلا زيادة في الطول والعرض والعلو. وهي ممارسات قد نعتبرها بالية ودليل التعصب الديني بمفاهيم هذا الزمان، إلا أنها كانت تفرض وتضطر الناس إلى اعتبارها أموراً مقبولة، كما يظهر، وتسير على أساس المعاملة بالمثل في مناطق الأديان المختلفة، أي بين ديار الإسلام وديار المسيحيين، ولم يكن للأهالي من خيار سوى الانصياع لها وتنفيذها.

وحصل تطور جديد بالنسبة إلى الأوضاع المسيحية في الديار المقدسة، وعلى الأخص في القدس في مطلع القرن التاسع عشر، إذ بدأت روسيا توجّه اهتمامها إلى الأراضي المقدسة والقدس بعد أن زال خطر نابوليون، وقد لاحت لها فرصة مناسبة في عام ١٨١٤ عندما تقدم بوليكاريوس بطريرك القدس (١٨٠٨ ـ ١٨٢٧) بشكوى إلى القيصر أليكسندر الأول بأن النشاط المعادي للأرثوذكس كان مصدر قلق وضرر كبيرين. وفي ذلك الوقت، لم يكن هذا يعني سوى النشاط الكاثوليكي المتأثر بالدعاية والدعم الفرنسيين. وبناء عليه، قام القيصر بإصدار الأمر إلى المبعوث الروسي في اسطنبول ليقدم احتجاجه إلى الباب العالي، وكان الخلاف الذي سبّب الشكوى هو ما يختص بالأماكن المقدسة والتعديات الفرنسية على الحقوق الذي يتمسك بها اليونان بكل تعصب. وكان أحد أهم أسباب تأزم هذا الخلاف هو شعور كل فريق بأنه مدعوم من قبل الدولة التي تحميه. وقد أصدر السلطان في العام ١٨١٧ فرمانا يؤكد الأمر الواقع (Status quo ante)، إلا أن الشكاوي استمرت من تعديات الكاثوليك في الوقت الذي بدأ فيه المسؤولون الروس يشعرون بالصعوبات التي يواجهها الحجاج الروس عند زيارتهم للأراضي المقدسة وعدم وجود حماية رسمية لهم، حيث يصبحون تحت رحمة الأتراك واليونان على حد سواء. وبناء عليه أسست روسيا لها أول مركز قنصلي في يافا عام ١٨٢٠ على أساس أنها الميناء الذي يدخل منه الحجاج الروس إلى فلسطين. وقد تكون هذه الفترة بداية التحرك الروسي للادعاء بأن روسيا هي حامية الأرثوذكس في جميع أرجاء الإمبراطورية العثمانية[٨].

---

(٨) Derek Hopwood, *The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843 - 1914: Church and Politics in the Near East* (Oxford: Clarendon Press, 1969), pp. 13 - 15.

في هذه الأثناء، بدأت حرب التحرير ضد الاحتلال التركي في اليونان، فبدأ العثمانيون، وكذلك السكان المسلمون، في القدس ينظرون إلى رهبان أخوية القبر المقدس نظرة نفور وعداء. وابتدأ هذا الشعور الجارف يتطور بحيث انسحب على النصارى الأرثوذكس بوجه عام بما فيهم الأكثرية العربية الكبيرة، فبدأت موجة جديدة من الاضطهاد وإجبار المسيحيين هؤلاء على لبس العمائم السود، بالإضافة إلى زج بعضهم في السجون بادعاء أنهم يؤازرون التحرر اليوناني، مما حدا الكثيرين منهم على النزوح عن ديارهم إلى المناطق المجاورة. وقد أورد أحد المؤرخين في مطلع القرن العشرين وصفاً محزناً لهذه الحالة، فقال «أما التاريخ العام فيتذكر أن الظلم والعقوبات كانت شديدة على الأرثوذكسيين في جميع أنحاء فلسطين، وخصوصاً في عكا، فالجأوهم هناك أن لا يلبسوا إلا السواد، وكل من وجدوه مخالفاً كانوا يلقونه في السجن. وبلغ الاضطهاد حدّه في دمشق والقدس، ولم يكن المسلمون يجرون اضطهاداً وأعمالاً كهذه لولا تشويقات بقية الطوائف المسيحية واليهود أيضاً. وقد كان لليهود والأرمن الباع الطولى في هذه المفاسد في دمشق، وفي القدس خصوصاً. فاليهود، لا حاجة إلى ذكر ما كان يحملهم على هذه الأعمال، وهم المشهورون بالخبث والدهاء. وأما الأرمن فكانوا يجرونها بتأثير ما في قلوبهم من الحزازات على الروم، ولرغبتهم في الحصول على أمانيهم باكتساب الأماكن المقدسة»[٩].

كانت هذه الأمور المزعجة، بكل ما فيها من تنغيص لحياة المسيحيين اليومية، تسير وكأنها الأمر الطبيعي بين هذه الطوائف الثلاث: الروم واللاتين والأرمن، مع مشاركات جانبية من الأحباش والأقباط والسريان والكرج، عندما بدأت تظهر بالنسبة إلى القدس اهتمامات كبيرة كذلك من جانب العالم البروتستانتي الذي لم تكن له حتى هذا التاريخ أية نشاطات. ففي العام ١٨١٩ قام «المجمع الأمريكي لمندوبي البعثات التبشيرية» الذي ألفته الكنائس الاستقلالية باختيار مرسلين أمريكيين، هما: ليفي بارسونز (Levy Parsons)، وبلني فيسك (Pliny Fisk)، ليسافرا من نيويورك إلى القدس ويؤسسا فيها قاعدة للعمل التبشيري. وبهذا يكون بارسونز أول مرسل بروتستانتي يضع قدماً في القدس للعمل بين الكنائس الشرقية واليهود[١٠]. وكانت الدوافع وراء هذا القرار هي أولاً نشر الإنجيل بين الأمم كأهم عامل لتعميق إيمانهم، وثانياً العقيدة التي ترسخت في القرن التاسع عشر بأن مجيء المسيح الثاني قريب،

---

(٩) خليل ابراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، هذب لغته ناصر عيسى الراصي (القاهرة: مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٢٤)، ص ١٥٤.

(١٠) رفيق فرح، تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس ١٨٤١ ـ ١٩٩١ (القدس: [د. ن.]، ١٩٩٥)، ج ١، ص ٦٤.

وهذا مما يُلزم المسيحيين بالإسراع والاجتهاد ونشر الإنجيل في أقاصي الأرض عملاً بوصية السيد المسيح[١١]. إلا أن قزاقيا يذكر تاريخاً مختلفاً، فيقول «في سنة ١٨٢٢ وصلت إلى القدس أول مرسلية بروتستانتية من أتباع كلفينوس (كالفن)، وهنا أخذوا يوزعون على الأهالي الكتب والنشرات بأنواعها مما أتوا به أحمالاً، يرومون بذلك بث مذهبهم وإلقاء بذارهم في أرض فلسطين لأنها أخصب الأراضي لقبول بذور المذاهب والمعتقدات. وكانت هذه الكتب توزع بجميع اللغات، وبالأخص اللغة العبرية. وأول مبشر كان يوسف ولف الذي كان من أصل يهودي ثم تنصّر. وهذا اتخذ له مسكناً في دير الأرمن وأخذ يجاهد في عمله حتى تمكّن من وضع أساس للطائفة البروتستانتية في فلسطين»[١٢].

في هذه الحقبة من الزمن، حصل تطوران مهمان كان لهما أثر قوي في حياة القدس وسكانها، وكان **الأول** بدء مجيء الزوار الروس بأعداد كبيرة، **والثاني** بدء حرب التحرير اليونانية للخلاص من نير الحكم العثماني، كما ذكرنا. وقد اختلفت الآراء في أهمية كل من هذين الحدثين، وما كان لهما من نتائج ليس في القدس فحسب وإنما في فلسطين وبلاد الشام كلها، وخصوصاً أنهما حدثا في فترة قصيرة نسبياً قبل بداية الحكم المصري لبلاد الشام الذي دام بدوره عشر سنوات حافلة بالتغيير.

يذكر قزاقيا أن الزوار الروس بدأوا يتقاطرون إلى الأماكن المقدسة من سنة ١٨١١، وكان عددهم قليلاً في بادئ الأمر، إلا أنه أصبح في سنة ١٨١٩ أكثر من مائتي زائر يصحبهم أحد أشراف روسيا المدعو داشكوف الذي زار أنحاء البلاد المقدسة وغادرها يوم ٢٠ أيلول/ سبتمبر (الأرجح أنه وصل خلال آذار/ مارس من ذلك العام قبل عيد الفصح)، وقبل عودته إلى بلاده أبقى في يافا رجلاً روسي التبعية يوناني الجنس اسمه جاورجيوس موسطرا بصفته معتمداً (قنصلاً) لروسيا في فلسطين لأجل المحافظة على راحة الزوار والاهتمام بهم مدة وجودهم في أماكن الزيارة. وقد اتخذ هذا المعتمد (القنصل) مسكناً له في دير الروم، إذ لم يكن للروس أية أبنية في فلسطين عند ذاك. ولم ترق هذه الترتيبات في أعين بقية الطوائف، وكانت مما يقوي ريبة الحكومة به وبالرهبان الروم، وخصوصاً أن الثورة اليونانية كانت قائمة عام ١٨٢١ ضد الدولة العثمانية[١٣]. أما هوبود، فيذكر أن أول مركز للخدمات القنصلية الروسية كان قد أسس في يافا عام ١٨٢٠، وأن الاهتمام الروسي بسوريا قد جعل

(١١) المصدر نفسه، ص ٦٢.
(١٢) قزاقيا، المصدر نفسه، ص ١٥٤.
(١٣) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

الخارجية الروسية تنقل القنصلية من يافا إلى بيروت التي أصبحت مقر القنصلية الروسية في سوريا وفلسطين، وكانت من أولى مهامها إقامة أفضل العلاقات مع البطريرك الأرثوذكسي والسلطات الكنسية في سوريا وفلسطين، وإعطاء كل الاعتبار للمصالح الدينية والاهتمام بالكنيسة الشرقية التي تستحوذ أبداً على اهتمام البلاط الإمبراطوري الروسي، وإقامة أحسن الصلات مع رؤساء الطوائف المسيحية الأخرى ومساعدة الحجاج الروس القادمين للزيارة(١٤).

أما حرب التحرير اليونانية، فقد بدأت عام ١٨٢١ بعد أن شكل الاستقلاليون اليونان جمعية ثورية في فيينا عاصمة النمسا أطلقوا عليها اسم «هينيري» ومعناها جمعية أخوية، بدعوى تأسيس المدارس ونشر العلوم بين اليونان. وفي الوقت نفسه شكلوا جمعية سرية أخرى تحمل الاسم ذاته، ولكن بقصد سياسي محض هو السعي لاستقلال بلاد اليونان عن الحكومة العثمانية، وكان مركزها في البداية في مدينة أوديسا في بلاد القرم، ثم انتقلت إلى كييف في أوكرانيا. وهاتان كانتا منطقتين تحت الحكم الروسي، مما أعطى صدقية للأخبار بأن تشكيل الجمعية إنما كان بتحريض من اسكندر الأول قيصر روسيا لإيجاد المشاكل الداخلية في الدولة العثمانية، كي يتسنى له تنفيذ وصية بطرس الأكبر القاضية بجعل مدينة القسطنطينية مفتاح الممالك الروسية(١٥). وقد ساعد انتشار الأفكار الثورية بين الشبان، حيث التحق بالجمعية أكثر من عشرين ألفاً منهم في منطقة المورة، فانتشر لواء العصيان وبدأت هذه الجماعات تهاجم القلاع والحصون وتحاصرها، فقوي ساعدها وتمكنت في آب/ أغسطس ١٨٢٢ من الانتصار على جيش خورشيد باشا في موقعة ثرمبولي. وكان قد سبق ذلك تمكن البحارة اليونان من إحراق الدونانمة، أي الأسطول التركي، في ميناء جزيرة ساقز وقتل ثلاثة آلاف من بحارته في ١٨ حزيران/ يونيو سنة ١٨٢٢، مما جعل الأوروبيين يتغنون ببسالة اليونان ويشكلون الجمعيات لمساعدتهم، وقد انضمّ عدد منهم إلى الثورة، كاللورد بايرون الشاعر الإنكليزي المشهور، وابن جورج واشنطن الأمريكي(١٦).

وقد أدت هذه الأحداث إلى وقوع الشك في كل يوناني مقيم في أرجاء الإمبراطورية العثمانية، وأصبحت الحكومة التركية في القدس تنظر بعين الريبة

---

(١٤) Hopwood, *The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843 - 1914: Church and Politics in the Near East*, p.15.

(١٥) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٩٠٨، ط ٣ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧)، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٩.

(١٦) انظر: المصدر نفسه، ص ٢١٧ ـ ٢١٨، وخوري وخوري، خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأورثوذكسية، ص ١٨٧.

والعداوة إلى رهبان أخوية القبر المقدس، وقامت بسلب كل ما كان لديهم من المال حتى احتاجوا إلى الضروري من الأقوات، مما اضطرهم إلى الاقتراض بفوائد فاحشة. كما بدأت موجة من الاضطهاد القاسي للمسيحيين، إذ أجبروا على لبس العمائم السود، وزجّ بعدد منهم في السجون، مما اضطرهم إلى افتداء أنفسهم بالأموال الطائلة. والظاهر أن هذه الأحوال أحدثت حالة من الفوضى العامة بعد أن تعرّض الأهالي عموماً لدفع مبالغ باهظة بصفة إعانة حربية، فثاروا عام ١٨٢٤ ضد هذا الظلم والاستبداد، مسلمين ومسيحيين، على حدّ سواء. فلما أرسلت الحكومة قوة إلى جبل القدس لتأديبهم، فرّ الكثيرون منهم إلى مناطق أخرى في فلسطين بعد أن كانوا قد خبأوا أثاث بيوتهم وأموالهم في أديرة المصلبة ومار الياس. فنهبت عساكر الدولة كل ذلك واستولت على الأديرة، واغتنم الأرمن الفرصة فاستولوا على مقبرة صهيون. ولم تنفرج الأحوال السيئة هذه التي استمرت سبع سنوات إلا بعد أن تمّ الاستقلال لبلاد اليونان وقبلت تركيا بالأمر الواقع بعد المعركة البحرية التي دمرت فيها أساطيل فرنسا وروسيا وبريطانيا الأسطولين التركي والمصري في نافارين يوم ٢٠ تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٨٢٧، مما أجبر الجيش المصري على الانسحاب من بلاد اليونان في ٣ أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٢٨ (١٧).

ذكرنا آنفاً الصعوبات الكبيرة التي واجهها رهبان القبر المقدس نظراً للإرهاق الذي تعرضوا له وعدم توفر الأموال لديهم بسبب قلة الزوار حتى لدفع رسوم الحرس على باب كنيسة القيامة. ولما بلغت الديون المتراكمة عليهم الثلاثين مليون غرش، قام البطريرك أثناسيوس الخامس (١٨٢٧ ـ ١٨٤٥) الذي انتخب في الأستانة بمسعى قوي لتسديد هذه الديون، وساعده في ذلك قسطنطين البطريرك المسكوني الذي رفع استدعاء إلى السلطان محمود سنة ١٨٣٢ التمس فيه أن يفرض على كل أرثوذكسي تحت حكم الدولة العثمانية غرشاً واحداً، فصدّق السلطان على التماسه وتبرّع بخمسمائة ألف غرش، بينما تبرّع أمير صربيا بمبلغ مماثل. وقد تمكّن البطريرك من خلال جهود مندوبيه الذين قاموا بزيارة أنحاء العالم الأرثوذكسي، وبواسطة صناديق عمل الخير التي وضعت في جميع الكنائس الأرثوذكسية، من جمع مبالغ كبيرة استطاع بواسطتها تسديد الديون بالتقسيط بناء على الموافقة التي منحها له محمد علي باشا، خديوي مصر عام ١٨٣٢، بعد أن كان الجيش المصري قد احتل بلاد الشام (١٨) وتولى زمام السلطة في أرجائها.

---

(١٧) فريد، المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(١٨) خوري وخوري، المصدر نفسه، ص ١٨٨، وانظر: قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، ص ١٥٦.

الفصل الثاني

فترة الحكم المصري
في بلاد الشام (١٨٣١ ـ ١٨٤١)

لم يكن اهتمام محمد علي باشا والي مصر بشؤون البلاد الداخلية بأقل من اهتمامه بشؤون علاقاته مع السلطان وبقية الولاة في السلطنة العثمانية، وكان قد بدأ منذ توليه الولاية بموجب الفرمان السلطاني المؤرخ ٨ تموز/ يوليو ١٨٠٥ العمل على تحسين الإمكانيات الاقتصادية كإنشاء الترع وتسهيل الملاحة وإقامة المدارس والورش وبناء المصانع، لسدّ حاجات البلاد المدنية والعسكرية. وفي سبيل تنفيذ برامجه المختلفة، اضطر إلى فرض الضرائب الباهظة واللجوء إلى نظام السخرة لتوفير الأيدي العاملة لمشروعاته الكبيرة، مما شجع عدداً كبيراً من المصريين على الهجرة إلى بلاد الشام، حيث التجأ عدد كبير منهم إلى عبدالله باشا والي عكا، الأمر الذي جعل محمد علي باشا يتخوف من كثرة عدد من سيتبعهم إلى الشام إذا استمر الحال على هذا المنوال، فأرسل إلى عبدالله باشا طالباً إرجاع المهاجرين إلى مصر، فامتنع عن ذلك بحجة أن الإقليمين تابعين لسلطان واحد، وأن لهم الحق في السكنى في أي منهما[١]. وقد يكون السبب الكامن وراء هذا الرفض هو رغبة عبدالله باشا في الاستفادة من خبرة هؤلاء الفلاحين في زراعة القطن.

هذا الخلاف يضاف إليه رغبة محمد علي باشا بالاستقلال، وأن يجعل الحكم منحصراً في سلالته، وكذلك أخذ سوريا من الأتراك وضمها إلى مصر، وإعلان الاستقلال التام عن الدولة العثمانية[٢]، كانا سببين في مجيء الحملة المصرية بقيادة إبراهيم باشا. فاحتلت القدس ومدن فلسطين الأخرى دون حرب خلال تشرين الأول/ أكتوبر ١٨٣١، وتمكنت بعد حصار بري وبحري لعدة أشهر من احتلال مدينة عكا الحصينة يوم ٢٧ أيار/ مايو ١٨٣٢، وبعدها تمّ احتلال جميع أجزاء سوريا ودخول الحملة إلى الأراضي التركية، حيث تمّ عقد معاهدة كوتاهية في ٥ أيار/ مايو سنة ١٨٣٣ التي انسحبت على أثرها الجيوش المصرية إلى ما وراء جبال طوروس، وأعطيت ولاية مصر إلى محمد علي باشا طيلة حياته، كما عُيِّنَ والياً على ولايات الشام

(١) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٩٠٨، ط ٣ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧)، ص ٢٣٣.
(٢) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس (القدس: مكتبة الأندلس، ١٩٦١)، ص ٢٧٦.

الأربع عكا وطرابلس وحلب ودمشق، وكذلك على جزيرة كريت، وعُيِّنَ ابنه إبراهيم باشا والياً على إقليم أضنة[٣]. أما القدس التي كانت حتى مجيء المصريين تابعة لولاية عبدالله باشا والي عكا، فكان متسلمها الشيخ سعيد المصطفى ينفذ بدقة أوامر عبدالله باشا بعدم السماح لأي شخص كان بدخول القدس أو المرور فيها دون أن يكون حاملاً معه «تذكرة مرور»، وهو ما كان يؤدي إلى صعوبات جمة لأهل القدس الذين كانوا يعتاشون من الدخل الذي كان يصل إليهم عن طريق الزوار من مختلف الأمم[٤].

في هذه الفترة، كان راهب يوناني يدعي اسبيريدون يرأس دير مار سابا قرب بيت لحم، وقد عاصر هذه الأحداث وكتب عنها مخطوطة سماها «حوليات فلسطين ١٨٢١ ـ ١٨٤١» سرد فيها الحوادث كما وقعت. وعلى الرغم من أن ذلك قد خالطه بعض التعاطف مع وجهة نظر أخوية القبر المقدس اليونانية التي كان اسبيريدون عضواً فيها، فإن من المفيد إعطاء فكرة عن الخواطر التي كانت تراود أذهان السكان في القدس في تلك الأيام القلقة والمليئة بالمفاجآت. يبدأ هذا المؤرخ حديثه بأن العناية الإلهية ساعدت على تقويم الاعوجاج الذي كان سائداً في شؤون بيت المقدس، لأن عبدالله باشا كان يرتكب الأخطاء ويضطهد الأرثوذكس، فإن الله أراد عقابه ليعاني نتيجة أخطائه وأن تكال له العقوبة بالكيل نفسه الذي استعمله ضد المؤمنين. لقد دفعه غروره وعنجهيته إلى الخصام مع والي مصر محمد علي باشا الذي أراد أن يثأر منه ويقضي على عنفوانه، فأرسل لمحاربته ابنه إبراهيم باشا الذي كان قد عاد مؤخراً من حرب اليونان. وفي كانون الأول/ ديسمبر ١٨٣١ كانت ولايته قد هوجمت من البر والبحر، وبعد أن أخذت معظم البلدان في منطقته دون حرب، حوصر في مدينة عكا، مما اضطره في ١٤ أيار/ مايو سنة ١٨٣٢ إلى طلب الرحمة من إبراهيم باشا الذي أرسله مخفوراً إلى محمد علي باشا في مصر. أما احتلال عكا، فقد احتفل به أهل القدس بالمشاعل والأنوار والرقص والموسيقى في كل شارع وحي في المدينة، وخلال خمسة أيام استمر أهل البلد من مسلمين ويونان وإفرنج وأرمن، وحتى اليهود، في إظهار مشاعر الفرح. الجميع كانوا مسرورين ومنشرحين على اعتبار أن دخول الجيش المصري كان يعني الحرية لهم، كما حصل فعلاً، إلا أن المسلمين وحدهم لم يتمكنوا من إخفاء أسفهم وحزنهم ولو أنهم رقصوا مع الآخرين، لأنه كان لديهم شعور بأن مصر سوف تستعمل سلطتها ضدهم. لقد شعروا بأنهم سوف لن يتمكنوا من

---

(٣) فريد، المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

(٤) العارف، المصدر نفسه، ص ٢٧٦ و٢٩١.

الاستمرار في المسلك الذي يسلكون، وأنه بعد هذا الحدث سوف يصار إلى تغيير الشؤون في القدس وجميع أرجاء فلسطين بدعوى الإصلاح. لقد سمعوا وشاهدوا أموراً كانوا يكرهون سماعها أو رؤيتها، مثل مشاهدة العساكر النظامية وقد لبس أفرادها السراويل الضيقة، وحملوا الأسلحة البغيضة وأدوات الموسيقى، وصاروا يتحركون كطوابير في الاستعراض تماماً حسب النمط الأوروبي.

وينتقل هذا الراهب من المسرح السياسي إلى الأمور الاقتصادية، فيذكر أن سنة ١٨٣٢ كانت سنة قليلة الأمطار، ولذلك فان أسعار الحبوب ارتفعت بسبب قلة الإنتاج بحيث أصبح سعر القنطار (الذي وزنه ١٤٥ أوقه) ١٣٠ قرشاً، وأنه لذلك كانت هنالك معاناة للفقراء، وكذلك لأخوية القبر المقدس اليونانية التي كان عليها أن توزع الخبز يومياً (الطلامي) على الفقراء والمعوزين. وهو يذكر أنه كرئيس لدير مار سابا، كان عليه أن يشرف على توزيع الخبز على الرجال من أفراد عشيرة العبيدية، وعددهم ١٨٥ رجلاً الذين يقول إنهم على الأرجح أصلاً من لازستان، وأن القديس سابا تمكن من إقناع الإمبراطور جستنيان بالعفو عن شقاوتهم، فما كان من الإمبراطور إلا أن قدمهم هدية هم وعيالهم إلى دير مار سابا ليكونوا عبيداً وحراساً فيه. وقد أسلموا بعد مدة من تسليم مفاتيح القدس إلى الخليفة العربي عمر بن الخطاب، ولكنهم ظلوا حول الدير. ويؤكد أثناء حديثه عن هذه الفترة أن هذه السنة، أي سنة ١٨٣٢، كانت آخر سنة يقدم فيها الخبز، إذ إن إبراهيم باشا أبطل هذه العادة التي استمرت لقرون عديدة، والتي كانت تشكل مصدر معاناة للدير[٥]. والظاهر أنه كانت هنالك علاقات سابقة بين هؤلاء الرهبان الروم ومحمد علي باشا، فقد كتبوا إليه بتاريخ ٢٢ آب/ أغسطس ١٨٢٦ يذكرون القحط في فلسطين ويسترحمون أن يؤذن لهم بابتياع ٥٠٠ أردب حنطة و ٥٠ أردب أرز بالسعر الرائج والثمن لمضي سنة[٦].

يقول هذا المصدر إن العناية الإلهية سمحت لفجر الحرية أن ينبلج عندما جاء إلى القدس ضابط روسي بعد انتصار روسيا على تركيا في أدريانوبل وفي آسيا، وإنه عندما لاحظ الطريقة التي يعامل بها الزوار عند زيارتهم كنيسة القيامة، انتهز فرصة وجوده في مصر لمقابلة محمد علي باشا، وشرح له مدى الإزعاج والضرر الذي يتعرض له الحجاج عن طريق دفع الخفر (رسم الدخول) والبخشيش. كما ذكّره بأن

(٥) اسبيريدون، «حوليات فلسطين ١٨٢١ ـ ١٨٤١،» مجلة الجمعية الشرقية لفلسطين، العدد ١٨ (١٩٣٨).

(٦) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية: بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، ٤ ج (بيروت: المطبعة الأميركانية، ١٩٤٠ ـ ١٩٥٢)، ج ١، ص ٨٨.

روسيا البلد المسيحي ما كان يقبل باستمرار مثل هذا الوضع، فما كان من محمد علي باشا، حسب هذه الرواية، إلا أن أصدر أمراً بإلغاء هذه الرسوم ومنع تحصيلها في المستقبل من قبل المتولي أو حارس المفاتيح أو حرس الباب. كما أوعز بأن يبقى مصراعا الباب مفتوحين منذ ذلك الحين فصاعداً. وأرسل هذا الأمر مع الأرمني بوغوص بك الذي أرسله بدوره إلى الأرمن في القدس الذين قاموا بتسليمه إلى المستلم، أي والي القدس. وفي ١٣ كانون الثاني/ يناير ١٨٣٤ قام الأرمن بالدخول إلى الكنيسة من خلال الدرفتين (المصراعين) المفتوحتين، ودخل معهم الحجاج من جميع الأمم. وأصبح التقليد منذ ذلك التاريخ أن يقوم الأرمن واللاتين والروم بفتح الباب بأكمله(٧).

هذه الروايات، على الرغم مما قد يكون خالطها من التحيّز أو الهوى، تعطينا فكرة عن الأوضاع التي كانت سائدة في القدس عند مجيء الحكم المصري، بحيث إن فتح باب الكنيسة كان يعتبر مدخلاً إلى عالم الحرية، وأن الإعفاء من دفع الرسوم، حتى تلك التي كانت تقدم قرب القبر المقدس من قبل الزائرين كان علامة واضحة على هذا الفرح العارم بمجيء العهد الجديد من الحرية. إلا أنه في مقابل هذه التعليقات، كانت هنالك أفكار مختلفة عبّر عنها د. أسد رستم المؤرخ الشهير لهذه الحقبة في تاريخ سوريا، إذ يقول «من الخطأ الافتراض بأن إبراهيم باشا كان محبوباً، وأنه كان يعتبر في سوريا وفلسطين عام ١٨٣١ على أنه المنقذ. فعلى العكس، هنالك إثبات متوفر في الأرشيف يظهر أن إبراهيم باشا كان ينظر إليه بعين النقمة في أغلب الدوائر في سوريا وفلسطين، فإبراهيم باشا نفسه يقول في رسالة وجهها إلى والده في التاسع من ربيع الثاني عام ١٢٤٨ (آب/ أغسطس ١٨٣٣) يقول فيها إن سكان سوريا وفلسطين وأضنه قبلوا بحكمه رغماً عن إرادتهم وبحكم ضغط الظروف المحيطة بهم. وقد شكا أثناء حصاره لمدينة عكا من عدم الإخلاص والمكر الذي يبديه أهالي نابلس والقدس، وكذلك سكان دمشق وحلب، وأنه لا يستحق ثقته ونياته الحسنة سوى المسيحيين وبعض الدروز في جبل لبنان»(٨). إلا أنه من الإنصاف أيضاً أن نذكر أن إبراهيم باشا وضع أساساً للحرية والمساواة في المعاملة بين أتباع الأديان في القدس، وكان السكان حسب التقديرات عام ١٨٣٥ ما مجموعه ١٠٧٥٠ بينهم ٤٥٠٠ من المسلمين و٣٢٥٠ من المسيحيين و٣٠٠٠ من اليهود(٩). فقد ألغى العادات التي كانت

---

(٧) اسبيريدون، المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٨) Asad J. Rustum, *The Royal Archives of Egypt and the Disturbances in Palestine, 1834*, Oriental Series; 11 (Beirut:American University of Beirut, 1938).

(٩) K.J. Asali, ed., *Jerusalem in History* (Buckhurst Hill Essex England: Scorpion Publications, 1989).

سارية بالنسبة إلى ركوب الدواب وألوان الألبسة ومنع الرشوة والخوة أو أخذ أي مبالغ باسم عوائد ومرتبات وضريبة الغفر، وأمر بإلغاء نظام الجزية، وفرض على النصارى الخراج مقابل التجنيد لدى المسلمين. كما أنه أتاح للأجانب البيع والشراء داخل البلاد، وشجع التجارة والزراعة وصناعة الصابون[١٠]. ومن التغييرات الإدارية التي أحدثتها حكومة محمد علي باشا في سوريا، القضاء على الحكم الإقطاعي وجعل أصحاب الإقطاعيات في بادئ الأمر موظفين بمرتبات مقررة لا تساوي عشر ما كانوا يستولون عليه من إقطاعياتهم، ثم تدرّجت الأمور من ذلك إلى عزلهم وتولية سواهم، كما حصل في لبنان وفلسطين[١١].

كانت هذه المشاعر على ما يظهر تأكيداً للإحساس بالخطر وحصول تطور غير مؤات بالنسبة إلى المصريين ووجودهم في البلاد. فعندما سمع إبراهيم باشا بأنباء الثورة في جبل نابلس وجبل القدس، تحرك نحو القدس، فوصلها يوم الخميس ١٢ نيسان/ أبريل ١٨٣٤، وأقام في المخيم الذي أقيم على جبل صهيون، وفي اليوم التالي دخل المدينة من باب النبي داود، ومشى إلى ساحة الحرم الشريف حيث قوبل بالتحية والعراضات. وبعد الصلاة، اعتذر عن قبول الضيافة في أي بيت من بيوت القدس، ولكنه بعد الظهر استقبل الوفود التي وفدت للترحيب به يتقدمهم حسب العادة المتبعة اللاتين ثم الروم والأرمن. وفي عصر أحد الأيام الذي كان قبل عيد أحد الشعانين الشرقي، وكانت كنيسة القيامة مكتظة بالمصلين من جميع الطوائف، قام بزيارة مفاجئة للكنيسة بصحبة خمسة أو ستة من الجنود والمفتي والباشكاتب والمتولي. وبعد زيارة أرجاء الكنيسة والتعرف على معالمها، وخصوصاً القبر المقدس، قال للمحيطين به «عظيمة ورائعة كنيسة المسيحيين هذه»[١٢].

تذكر مخطوطة حوادث فلسطين أنه في الأزمان السابقة ما كان ليزيد عدد الحجاج الأرثوذكس عن الثلاثة آلاف، إذ إن الأرمن هم الوحيديون الذين كان عدد حجاجهم بين عامي ١٨٢٥ و ١٨٣٤ يزيد على ٤٠٠٠ حاج. ففي هذه السنة، كان هنالك في كنيسة القيامة أثناء الاحتفال بسبت النور ٤٥٠٠ حاج أرثوذكسي و٢٠٠٠ من الحجاج العرب الأرثوذكس من حلب وأنطاكية ودمشق وبيروت وطرابلس، بمن فيهم من لبنان، كاثوليك وموارنة، ومن القدس نفسها والقرى المحيطة بها ٢٠٠٠ من

---

(١٠) لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام، ١٨٣١ ـ ١٨٤١ (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٣)، ص ١٥٣ ـ ١٩٠.

(١١) سليمان أبو عز الدين، ابراهيم باشا في سوريا (بيروت: المطبعة العلمية، ١٩٢٩)، ص ١٣٩.

(١٢) اسبيريدون، «حوليات فلسطين ١٨٢١ ـ ١٨٤١،» ص ٣٤.

الأرثوذكس. أما الأرمن والقبط والسريان، فكان عددهم ٦٠٠٠. ومن الجدير بالذكر أن بابا الأقباط البطريرك أنطونيوس كان قد حضر بمصاحبة أحد المطارنة، فكان من الزوار أيضاً هذه السنة.

وبما أن إبراهيم باشا حضر قداس سبت النور الشرقي يوم ٢١ نيسان/ أبريل سنة ١٨٣٤، وكان معه في الكنيسة ٣٠٠ جندي، فقد كان المكان مكتظاً إلى درجة شديدة، إذ كان عدد الموجودين يزيد على الخمسة عشر ألف نفس، بمن فيهم رجال الدرك التركي والقوّاسين وحاشية إبراهيم باشا. في هذه الظروف، كانت الحرارة مرتفعة في الداخل أصلاً، وعندما ظهر النور المقدس اندفع الناس الذين في الداخل إلى الخارج، بينما اندفع الذين في الخارج، ومعظمهم من العرب والأرمن ويزيد عددهم على الخمسمائة، إلى الداخل، فاختلط الحابل بالنابل، فوقع الذين أغمي عليهم على الأرض بحيث وطئهم المتدافعون بأرجلهم. أما إبراهيم باشا الذي كان ممتلئ الجسم، فلم يتمكن من الخروج، فأصيب بإغماءة، مما اضطر جنوده إلى حمله على رؤوسهم والسير به على رؤوس وأكتاف الناس حتى أخرجوه إلى ساحة الكنيسة لاستنشاق الهواء، فاستعاد أنفاسه. وبعد أن شرب بعض الماء، أمر بتنظيم الوضع لتمكين الذين في الداخل من الخروج، وتمكين رجال الأمن من إخراج جثث الذين ماتوا أو جرحوا أثناء هذا الهياج. وقد بلغ عدد قتلى الأرثوذكس ٢٧ من الحجاج و١٦ من النساء والأطفال. أما خسائر الأرمن، فكانت أكبر، إذ بلغ عدد القتلى أكثر من مائة، بينما بلغ عدد الجرحى من الفريقين أكثر من ثلاثمائة. وقد اغتمّ الباشا كثيراً لهذا الحادث، كما أن القسم الأكبر من الحجاج والزوار غادروا المدينة ولم يشاركوا في الاحتفال بعيد الفصح في اليوم التالي، بينما لم يقم الأرمن الاحتفالات المعهودة بعيد الفصح حداداً على الضحايا الذين ماتوا خلال اليوم السابق للعيد[١٣].

في هذه الأثناء كانت الثورة ضد الحكم المصري قد بدأت تتفاعل في أرجاء فلسطين، مما حدا إبراهيم باشا على عقد اجتماع ضم شيوخ ووجهاء جبل نابلس وجبل القدس يوم ٢٥ نيسان/ أبريل ١٨٣٤ عرض لهم فيه بأنه لا بد من تجنيد الشباب في سلك الجندية بنسبة واحد من كل خمسة، وأنه لذلك يرغب في تجنيد ٣٠٠٠ شاب من تلك المناطق و ٢٠٠ شاب من مدينة القدس[١٤]. وبعد هذا الاجتماع بثلاثة أيام، وصل إلى الباشا خبر عاجل من قرية أبو ديس أن بعض الوفيات حصلت فيها بسبب

---

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(١٤) انظر: العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٢٧٩، ورستم، المحفوظات الملكية المصرية: بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، ج ٢، ص ٣٩٧.

الطاعون، مما حداه على مغادرة القدس على عجل، حيث ترك فيها حامية مؤلفة من ألف جندي. وهذا ما شجع حشود الفلاحين الذين كانوا تجمعوا حول أسوار القدس في هذه المدة إلى مهاجمة المدينة. وكأن كل هذه الأحداث لم تكن كافية، فقد نزل بالمدينة زلزال صباح يوم الأحد ١٣ أيار/ مايو ١٨٣٤ أدى إلى تدمير عدد كبير من البيوت وانهدام جزء من سور المدينة، كما حصلت أضرار مختلفة في الأديرة في مدينة بيت لحم. وفي اليوم التالي، استمرت هجمات الفلاحين الذين تمكنوا من الدخول داخل الأسوار، حيث ساد المدينة الاضطراب والفوضى وبدأت عمليات النهب والسلب على نطاق واسع، مما اضطر رؤساء الأديرة إلى الاستعانة بحراس من قرية عين كارم لحماية دير الفرنسيسكان، بينما قام دير الروم ودير الأرمن باستئجار حراس من قرية المالحة ومسلمي مدينة القدس. إلا أن الأوضاع بدأت تتمحض عن خطر مختلف ألا وهو الطاعون الذي انتشر أولاً في دير الروم ثم في أرجاء المدينة، وكانت نتيجته سبع وفيات في البطريركية، وخمسة وفيات في دير الراهبات، وتسع وفيات في حارة النصارى، بينما توفي في دير اللاتين أحد عشر راهباً وستة مدنيين، مما جعل الراهب اسبيريدون رئيس دير مار سابا يقول إن القدس عانت ثلاث بلايا: الحرب والجوع والطاعون، في وقت واحد[١٥].

هذه الأحوال الصعبة، كانت تعقدها وتزيد من سوئها بالنسبة إلى المسيحيين الخلافات الشديدة بين طوائفهم التي كانت تعكر صفو الحياة لهم، في الوقت الذي كان بامكانهم أن يستفيدوا من التوجه المنفتح نحو التعددية والوسطية الذي كان يظهره الحكم المصري، وهو الأمر الذي ارتاح له النصارى واليهود، بينما أغضب المسلمين[١٦]. ويذكر العارف في هذا الصدد أن إبراهيم باشا، عندما تذمر المسيحيون من معاملة المسلمين بعد ازدياد التنافر بين المسلمين والمسيحيين واليهود نتيجة التوجّه الجديد، قام بإرسال كتاب تهديد إلى المسلمين قال فيه «تعلمون أن في بيت المقدس كثيراً من الأديار والكنائس والآثار الدينية التي تحج إليها في كل عام الطوائف النصرانية واليهود، وقد شكا إلينا هؤلاء ما يلاقونه منكم من العنت والقسوة والغلظة عليهم والتحقير لدينهم، فضلاً عما أنتم فارضوه عليهم من التكاليف والمغارم الفادحة، غير ناظرين إلا إلى إرضاء أنفسكم والعمل بهواكم، على أن هذه الغايات الدنيئة والأفعال المزرية لا ترضاها النفوس الأبية ولا يصح السكوت عليها، ولذلك أنهاكم وأحذركم من عاقبة التعرض لأولئك القوم وأسألكم أن تفسحوا لجماعة

---

(١٥) اسبيريدون، المصدر نفسه، ص ٤٨.
(١٦) العارف، المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

القسيسين والرهبان والشمامسة وأهل البيت المقدس من جميع المذاهب، قبطاً كانوا أو أرمناً، في دينهم ودنياهم من إقامة شعائر دينهم، ولا تأخذوا ممن يذهبون زائرين لبحر الشريعة شيئاً من الكلف والمغارم، ولا تضيّقوا على زائرين كنيسة القيامة، ولا تلزموا الصغار بدفع المال، فإن أطعتم أحسنتم لأنفسكم، وإن خالفتم أسأتم، والسلام عليكم ورحمة الله».

ولم ينس المسيحيون واليهود هذه المواقف للحاكم المصري، فقد كانوا هم الوحيدين الذين خفوا لاستقباله عندما عاد إلى القدس بعد اشتعال الثورة في ١٣ أيار/ مايو سنة ١٨٣٤، كما أنهم باستقبالهم له استقبال الظافرين بعد فوزه على الثوار في معركة مخماس بين رام الله والقدس يوم ٣٠ أيار/ مايو سنة ١٨٣٤[١٧] أشعروه بمحبتهم واحترامهم. وكان لا بد لهذا التكريم من أن يترك أثره في نفوس المسلمين، فبدأت حلقة جديدة من الاستفزاز وأعمال الشغب. فقد قام الثوار بارتكاب الفظائع في قرية بيت جالا، حيث قتلوا ٣٣ رجلاً من سكانها المسيحيين ونهبوا منازلها[١٨].

واستمرت الثورات الفلسطينية في المناطق المختلفة بتحريض من الباب العالي والعناصر المحافظة في البلاد التي كانت تأخذ على محمد علي باشا وابنه إبراهيم هذا التعاون مع الدول الغربية وتطبيق عاداتهم، وخصوصاً بالنسبة إلى الجيش، وكذلك هذه المساواة التي شجعها النظام المصري بين المسلمين والنصارى واليهود. والظاهر أن التوجّه لدى إبراهيم باشا نحو معاملة الجميع بالمساواة والعدل كان خلقاً أصيلاً في طبعه. ففي جملة هذه التفصيلات التي أوردها الراهب اسبيريدون في مخطوطته عن أحداث فلسطين، يذكر عودة الباشا إلى القدس من يافا في أواخر أيار/ مايو سنة ١٨٣٤، ويقول إنه عندما وصل ترجّل عن جواده أمام باب النبي داود تحت الشمس المحرقة، ولم يدخل هو ولا أحد من جنوده المدينة، وإنما أرسلهم إلى المعسكر الذي أقامه لهم على جبل صهيون. وبعد أن شرب بعض الماء، بدأ بالسلام على مستقبليه من الأرثوذكس واللاتين والأرمن وحتى اليهود، وجميعهم وفدوا لرؤية الباشا الذي خلصهم من هذه المحنة، ولم يكن بين الحاضرين مسلم واحد. وعندها سأل الباشا المسيحيين الحاضرين عن أحوالهم وإذا كانوا قد تعرضوا لأحوال صعبة، فتمنوا له طول العمر وشرحوا المعاناة التي تعرضوا إليها، فشجعهم قائلاً: «لا تقلقوا الآن لأن أباكم قد حضر. لقد حضرت خصيصاً لمصلحتكم، ولكن أين المسلمون؟ ماذا حصل لهم؟ لماذا ليس هنالك أي منهم هنا؟». فأجابوه أن المسلمين كانوا خائفين منه،

---

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.
(١٨) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

ولذلك هربوا. فاستغرب ذلك قائلاً: «ولكن مم يخافون ومن يسعى لضررهم؟». ويؤكد الراهب اسبيريدون أن مسلمي القدس من رجال ونساء وأطفال كانوا قبل وصول الباشا وعساكره قد غادروا القدس باتجاه العيزرية في يوم حر خانق، ولم تكن المياه متوفرة لهم. ولما لم يتمكنوا من الحصول على أية ضيافة من سكان القرى في هذه الناحية، اضطروا إلى التوجه شمالاً إلى رام الله، القرية المسيحية التي كانت تضم ١٥٠ عائلة من الأرثوذكس العرب الفلاحين، فأكرموا وفادتهم وقاموا نحوهم بواجب الضيافة على أحسن ما يكون(١٩).

كانت فترة الحكم المصري في القدس فرصة طيبة للرهبان والأديرة لإجراء الإصلاحات التي لم يكونوا يستطيعون القيام بها في السابق، وكذلك بناء الكرنتينا أي مخيم الحجر الصحي في يافا لتسهيل حركة وفود الحجاج والزوار إلى القدس. فقد اتصل إبراهيم باشا برؤساء أديرة الروم والأرمن مؤكداً على أهمية إقامة الكرنتينا لمنع انتشار الأمراض، واقترح أن يكون ذلك في حيفا، حيث إنها أفضل لاستقبال الحجاج والسفن، إلا أن الأديرة أجابت بأن الفكرة جيدة، ولكن حيفا بعيدة وليس فيها أي دير للروم، كما أن الطريق لا توجد عليها أية استراحات، وأن الحجاج قد تساء معاملتهم على هذه الطريق الطويلة، ولذلك فهم يفضلون أن يكون الحجر الصحي في يافا. ولما لم يحصلوا على موافقة الباشا، صبروا حتى مغادرته إلى حلب، وعندها استرحموا إلى محمد علي باشا في مصر، فسمح لهم وبناء عليه باشروا البناء في أيلول/ سبتمبر ١٨٣٤. وقد تمكن الأرمن من إنهاء البناء يوم ٣ آذار/ مارس ١٨٣٥ لأن بناءهم كان بمساحة أصغر ٣٠ × ٦٠ متراً، بينما تأخر الروم حتى ١٧ آذار/ مارس من السنة نفسها لإتمام البناء الذي كانت مساحته كبيرة، أي ٦٠ × ١٢٠ متراً، مما اضطرهم لنقل الأحجار من مدينة صور بعد أن تغلبوا على معارضة اللاتين والروم الكاثوليك الذين كانوا قد بنوا الكرنتينا الخاصة بهم في بيروت، وكانوا يأملون عن طريق ذلك بالتحكم في هذا المصدر المهم من الدخل، إذ إن الحجاج والزوار كانوا يشكلون عماد الحركة التجارية في الأراضي المقدسة، وخصوصاً القدس.

كذلك حصلت هذه الأديرة على الموافقات اللازمة لإصلاح الضرر الذي كان قد لحق بالمباني المختلفة نتيجة الزلزال الذي وقع في ٢٣ أيار/ مايو سنة ١٨٣٤ وقد بدأ اللاتين بإصلاح ديرهم فوراً، وانتهى العمل بإعادة البناء لمعظم الدير من الأساسات في تموز/ يوليو ١٨٣٦. كذلك قام اللاتين ببناء عدة بنايات في دير السيد المخلص في

---

(١٩) اسبيريدون، المصدر نفسه، ص ٤٩.

القدس، وانتهز الأرمن الفرصة فقاموا بتوسيع ديرهم بشكل كبير، بحيث ألحقوا به أيضاً ديراً للراهبات، وبنوا لكنيسة القديس جيمس قبة كبيرة، وأقاموا مطبعة ونزلاً كبيراً للحجاج وخزاناً كبيراً للمياه، بالإضافة إلى عدة إضافات وتحسينات كثيرة في الداخل والباحات. أما الأقباط، فقد حصلوا أيضاً على التراخيص اللازمة، فأصلحوا منازلهم واشتروا من آل العلمي طاحونة السمسم مع بستان كبير، ودفعوا ثمناً لذلك كله ٨٠٠٠ قرش، وبنوا على كامل الأرض بعد إزالة المطحنة نزلاً للحجاج الذين يفدون من مصر كل سنة، بحيث استمر البناء سنة كاملة وكلفهم ٥٠٠٠٠٠ قرش.

أما الكتّاب الذين كانوا يعملون في خدمة الباشا وكانوا من طائفة الروم الكاثوليك، فقد تمكنوا من الحصول على الترخيص لشراء عدة بيوت قرب دير الأقباط في الطريق إلى بوابة النبي داود، حيث بنوا عليها ديراً كبيراً أنزلوا فيه رهبان الروم الكاثوليك. وبذلك تم تأسيس كنيسة جديدة أخرى كان لها في المستقبل أن تبدأ بالمشاركة في النزاع ضد الروم الأرثوذكس للحصول على موقع في كنيسة القيامة لإقامة صلواتهم. وفي هذه الأثناء كان الروم الأرثوذكس ينشطون في إصلاح وتعمير الطريق من البطريركية الأرثوذكسية حتى كنيسة القيامة، بحيث أصبحت الجمال المحملة تتمكن من الدخول حتى ساحة الكنيسة. كما أنهم قاموا بشراء بيت كبير مجاور لكنيسة القديس أيثيميوس، ودفعوا ٥٠٠٠٠ قرش ثمناً له من تبرعات كان أحضرها من موسكو كبير أساقفة الروم الأرثوذكس في الناصرة الذي كان مرشحاً لمنصب البطريرك[٢٠]. وسيكون من الخطأ الاعتقاد بأن هذا النشاط العمراني كان يخفف من غلواء الخلافات الطائفية التي كانت تتكون باستمرار بين الطوائف، وخصوصاً الروم الأرثوذكس واللاتين والأرمن. فقد طلب اللاتين أن يرخص بإنشاء مقام لهم فوق جبل الزيتون في مكان صعود السيد المسيح إلى السماء، وحصلوا على الموافقة. وتقدم الأرمن بطلب مماثل، فقام الروم الأرثوذكس وقدموا احتجاجاً قوياً ضد الفريقين، فلم يكن من إبراهيم باشا إلا أن قرر إنشاء مقام للعموم، ولكنه أعطى ترخيصاً للروم الأرثوذكس لتصليح كنيسة «نصف الدنيا» على رغم معارضة اللاتين واحتجاجاتهم، كما أعطى تصريحاً للروم الأرثوذكس لإصلاح كنيسة المهد في بيت لحم، بينما كان الأرمن يحدثون المخالفات والتعطيلات الكثيرة. وحاول اللاتين اكتساب حق المرور من أمام القبر المقدس أثناء إقامة الروم الأرثوذكس للصلوات في كنيسة القيامة، فحصلت مناوشة ثم شجار كبير استعملت فيه الأسلحة، واضطرت الحكومة إلى

---

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٧٨.

التدخل خلال آذار/ مارس ١٨٣٥. واستمر اللاتين في محاولاتهم، فحصلوا على أمر من محمد علي باشا بواسطة علاقتهم بالفرنسيين بامتلاكهم المكان المدعو «حبس المسيح»، وبأن يستلموا كنيسة القيامة جميعها ما عدا القسم المختص للروم الأرثوذكس الكائن مقابل القبر المقدس، وكنيسة «ستنا مريم»، وكنيسة بيت لحم، مع مغارة ميلاد السيد المسيح، وكنيسة الرعاة، فاعترض الروم الأرثوذكس بشدة على ذلك كله. وفي تلك المدة تمكن الأرمن بواسطة متنفذ منهم اسمه بوغوص آغا من الحصول على ثلاثة فرمانات سلطانية وافق عليها محمد علي باشا، تمكّن الأرمن بموجبها من إعادة بناء كنيسة القيامة، وكنيسة جبل الزيتون، وكنيسة بيت لحم، التي تضررت بالزلازل، وباشروا العمل. فما كان من رهبان دير الروم إلا أن لجأوا إلى الأرثوذكس الوطنيين الذين تصدّوا لهذا العمل بالقوة على رغم معارضة السلطات، وأوقفوا الأرمن عن الاستمرار في العمل[٢١]. والجدير بالذكر في هذا الصدد أن الوطنيين من الأرثوذكس كانوا لبساطة نياتهم يسلمون أمورهم إلى هؤلاء الرهبان اليونان الذين كانوا ولا يزالون يهدفون إلى السيطرة على المقدسات والاستفادة مما توفره لهم البطريركية من امتيازات ومنافع. ولذلك نلاحظ أن دور الأرثوذكس من أبناء البلد في جميع هذه الخلافات كان ينحصر في اللجوء إلى التظاهر واستعمال القوة عندما يشعرون بأن الأوقاف والحقوق الأرثوذكسية كانت في خطر حقيقي.

كانت فترة الحكم المصري في فلسطين، وفي القدس بشكل خاص، بعد إخماد الثورة في حزيران/ يونيو ١٨٣٤ غير عادية لما واكبها من ظروف استثنائية. فقد أصر ابراهيم باشا على أن يقوم جميع السكان في قضاء القدس بتسليم كل ما لديهم من أسلحة، واستعمل في سبيل ذلك جميع الوسائل ليكره أهل القدس على الخضوع لحكمه. فكانت الأمور خلال السنوات الأربع التي تلت عام ١٨٣٤ سنوات صعبة للأهالي، وقد زاد الطين بلة أن الكوليرا انتشرت بين الناس في خريف ١٨٣٨، وعادت فظهرت في منتصف كانون الثاني/ يناير ١٨٣٩، حيث مات من جرائها عدد كبير من السكان والزوار بمن فيهم جنود الجيش المصري الذين كانوا يرابطون في المنطقة.

هذه الأحداث المتعاقبة من عدم الاستقرار في البلاد مع ما واكبها من جهود دبلوماسية وتدابير عسكرية قامت بها دول بريطانيا وفرنسا والنمسا بحجة مساعدة السلطان العثماني لاسترداد سيطرته على أرجاء الامبراطورية، كانت حافلة بالنسبة إلى

---

(٢١) خليل ابراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، هذب لغته ناصر عيسى الراصي (القاهرة: مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٢٤)، ص ١٦٣.

أهل القدس، مسلمين ومسيحيين. ولا شك في أنهم تنفسوا الصعداء عندما شاهدوا الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا ينسحب من ديارهم في نهاية ١٨٤٠ بعد أن قضى مدة عشر سنوات حاكماً في ربوعهم، إلا أنه من الضروري أن نشير مع ذلك كله إلى التغيير الكبير الذي أحدثه الوجود المصري في بلاد الشام، وعلى الأخص بالنسبة إلى الوجود المسيحي في القدس. وقد عدد المؤلف عارف العارف في كتابه **المفصل في تاريخ القدس** النواحي البارزة في هذا العهد كما يلي(٢٢):

١ ـ ساوى بين المسلمين واليهود والنصارى، ومنع التمييز ضد أحد، كما أمر بأن لا يؤخذ من اليهود والنصارى أي مبلغ من المال باسم عوائد ومرتبات وضريبة الغفر.

٢ ـ كلف النصارى أن يدفعوا الخراج مقابل تجنيد المسلمين في الجيش بعد أن ألغى استعمال كلمة الجزية.

٣ ـ أتاح للتجار الأجانب البيع والشراء في داخل البلاد، وكان محظوراً عليهم قبل ذلك الاتجار إلا في بعض الثغور والموانىء الساحلية.

٤ ـ ألغى الضريبة التي كان يجبيها آل نسيبة وجودة حراس كنيسة القيامة منذ عهد صلاح الدين، وبهذا شجع الزيارة من قبل أهل البلاد والزوار والحجاج.

٥ ـ شجع المزارعين بإلغاء حصة الخمس من الحاصلات الزراعية، وساعدهم في غرس الأشجار المثمرة واستعمال الأدوات الزراعية، كما أنه أسكن عدداً غير قليل من الفلاحين في القدس والسهول ليستغلوها في الزراعة بدل استعمالها كمراعٍ، وأنشأ مصرفاً زراعياً.

٦ ـ شجّع صناعة الصابون في القدس عن طريق زيادة الضريبة على الصابون المستورد، فأوجد بذلك مجالاً للاستفادة من إنتاج زيت الزيتون الوفير.

٧ ـ كافح الرشوة ومنع تقديم الهدايا إلى الحكام.

٨ ـ كان له نشاط مشهود في الحقل العمراني، حيث بنى الزاوية الإبراهيمية وأنشأ سلسلة من القلاع على الطريق بين يافا واللد لحفظ الأمن، كما مهّد الطرق وأشرف على نظافة مصادر المياه، وخصوصاً برك سليمان التي كانت تزوّد القدس بحاجتها من المياه.

---

(٢٢) العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص ٢٨٨.

٩ ـ ومن أهم مآثره أنه رفض بإصرار عندما استشاره والده عام ١٨٣٦ بشأن القبول بطلب السر موزس مونتفيوري تأجيره أرضاً مساحتها خمسون فداناً ومئتا قرية لخمسين عاماً بإيجار مغر يسدد على أقساط سنوية، والذي كان ينوي استقدام إخوانه اليهود للاستيطان فيها واستغلال خيراتها .

من المعتقد بهذا أن العرب المسيحيين في القدس كانوا يتعاطفون مع الوجود المصري في البلاد نظراً للحرية التي نعموا بها والفوائد الاقتصادية التي جناها السكان في القدس نتيجة لازدياد النشاط التجاري وارتفاع أعداد الزوار والحجاج القادمين إلى المدينة المقدسة، وخصوصاً أن معظم السكان المسيحيين كانوا إما من التجار أو أصحاب الحرف والصناعات. الا أنه من الواضح أنهم لم يكونوا يستطيعون إظهار عواطفهم بحرية تحسباً لردة الفعل لدى الأغلبية المسلمة التي كانت ترفض الحكم المصري الذي صادر الأسلحة وجنّد الأبناء في صفوف الجيش، علاوة على أن الشعور الديني لم يكن متعاطفاً مع وال من ولاة السلطان اغتصب حكم بلاد الشام دون أن يعطي أي اهتمام للاحترام الكبير الذي كان الناس يكنونه لخليفة المسلمين المتربع على عرش الخلافة في الأستانة.

الفصل الثالث

عـودة الحكـم العثمانـي (عـام ١٨٤١)
وحـرب القـرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦)

لا شك في أن حملة محمد علي باشا على بلاد الشام بقيادة ابنه إبراهيم باشا كان لها أكبر الأثر في إجبار العثمانيين على تغيير نهج الحكم، بسبب ما أحدثته من تغييرات أساسية وما طرحته من أفكار جديدة تتعلق بإبطال الرشوة والخوة وإزالة الفوارق الدينية والاجتماعية وتعميق مفهوم الحرية الشخصية وإدخال طريقة جديدة في تسيير الشؤون العسكرية وضبط جوانبها المختلفة من تجنيد وتدريب وتخطيط وتموين وإشراف أمني، فقد اضطر السلاطين إلى إعادة النظر في الأوضاع التي كانت تعيشها الإمبراطورية، مما حداهم على مسايرة الدول الغربية في محاولة للحصول على مساعدتها للتغلب على التوسع المصري وكبح جماحه، حيث أصدر السلطان عبد المجيد في الثالث من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٣٩ بعد أمد قصير من توليه السلطنة الخط الشريف أو خط همايون، وهو ما اعتبر بداية لعصر التنظيمات الذي كان له الأثر في تغيير النهج، كما ذكرنا سابقاً. وقد شملت هذه الإصلاحات أولاً تنظيم إدارة الدولة، بما في ذلك تحديث أصول الحكم، كالتجنيد الإجباري والمحاكم ومنع المصادرة، وثانياً مصالح الرعية بما في ذلك منع الرشوة، وثالثاً أوضاع الرعايا من غير المسلمين بالنسبة إلى الأسس القانونية في الدولة العثمانية، بما في ذلك المساواة بين أتباع الأديان من مسلمين ومسيحيين ويهود، ومنع الغرامات والمرتبات والهدايا وسوء المعاملة والاستغلال[1].

أدت المواكبة بين صدور الخط الشريف وانسحاب الجيش من بلاد الشام إلى رد فعل قوي في مدينة القدس التي كانت لها دائماً منزلة خاصة في نفوس أتباع الدينين المسيحي واليهودي، والذين كان عددهم قد ازداد خلال الحكم المصري، إذ قدر أحد الباحثين في هذا المجال الحيوي أن عدد السكان في القدس عام ١٨٤٠ بلغ ما مجموعه ١١٠٠٠ نسمة، بينهم ٤٦٥٠ من المسلمين، و ٣٣٥٠ من المسيحيين، و ٣٠٠٠ من

(١) انظر: محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٩٠٨، ط ٣ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧)، ص ٢٥٤؛ لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام، ١٨٣١ ـ ١٨٤١ (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٣)، ص ٨٣، و Moshe Ma'oz, *Ottoman Reform in Syria and Palestine, 1840 - 1861; the Impact of the Tanzimat on Politics and Society* (Oxford; London: Clarendon P., 1968), p. 21.

اليهود[٢]، بحيث شعر المسلمون أنهم أصبحوا أقلية. وكذلك أعطت التغييرات للمدينة أهمية أدت إلى حركة نشاط شديد فيها، إذ أقبلت الدول التي كانت تتنافس على أخذ مواقع خاصة لها بالنسبة إلى المسيحيين واليهود عن طريق إعلان الحماية لهذه الطائفة أو تلك على تأسيس القنصليات وشراء العقارات.

وكان الإنكليز من النشيطين في هذا المجال، وخصوصاً أن المبشر نيكولايسن، وهو أول أوروبي سمح له بالسكنى في القدس عام ١٨٣٣، قد تعلّم العربية والعبرية، وبعد أن نجح بإقامة علاقات طيبة مع السكان من مختلف الطوائف وإقامة الخدمات الدينية لليهود والمسيحيين في غرف الإرسالية، شرع يطالب ببناء كنيسة إنكليزية في القدس. فقامت الحكومة البريطانية عن طريق القنصل البريطاني العام في الإسكندرية بتقديم طلب إلى محمد علي باشا ليأذن لجمعية لندن لليهود ببناء كنيسة صغيرة مع أبنية أخرى لأغراض الجمعية في القدس، وكذلك السماح بتعيين قنصل بريطاني في القدس، فوافق على ذلك كله، ولكنه اشترط حصول موافقة السلطان بصفته الحاكم الشرعي. ولكن السلطان لم يكن في موقف يسمح له بذلك بسبب مواقف علماء الشريعة الذين كانوا ضد بناء أماكن عبادة للمسيحيين أو لليهود في الوقت الذي كان القانون العثماني لا يسمح للأجانب بامتلاك العقارات من بيوت وأراض. وعدا ذلك، فقد كانت روسيا تضغط على السلطان ليرفض إصدار فرمان لبناء كنيسة بروتستانتية في القدس[٣].

وكان من جراء هذا أن رفض السلطان ترخيص بناء الكنيسة، ولكنه سمح بإقامة قنصلية بريطانية في شهر تموز/يوليو ١٨٣٨، إلا أن الجمعية خوّلت نيكولايسن شراء قطعة أرض لبناء كنيسة واستعمال جزء منها كمقبرة. أما المبشر، فكان قد استأجر قبل ذلك بعدة سنوات بيتاً ملاصقاً لحارة اليهود لسكناه، واستعمل إحدى غرفه لإقامة الصلاة اليومية. كما أنه اشترى عام ١٨٣٣ قطعتين من الأرض مقابل قلعة داوود بالقرب من باب الخليل، وكانت عليها بيوت مهجورة، وتفادياً للقانون قام بتسجيلها باسم أحد الوسطاء.

في هذه الأثناء، كان قد سمح للقنصليات الأجنبية بأن تتولى جميع شؤون الأجانب من رعاياها، وكانت بريطانيا قد افتتحت لها قنصلية في القدس عام

---

(٢) K.J. Asali, ed., *Jerusalem in History* (Buckhurst Hill Essex England: Scorpion Publications, 1989).

(٣) رفيق فرح، تاريخ الكنيســة الأسقفية في مطرانية القدس، ١٨٤١ ـ ١٩٩١ (القدس: [د. ن.]، ١٩٩٥)، ج ١، ص ٦٨.

١٨٣٩، فقام نيكولايسن بتسجيل الأرض باسم الجمعية لدى القنصلية مثبتاً أنه دفع ٧٥٠ جنيهاً استرلينياً ثمناً لها، بالإضافة إلى ٣٠ جنيهاً كمصاريف. أما قاضي المحكمة الشرعية الذي وافق على هذه العملية فقد أعفي من وظيفته بعدئذ لقبوله الرشوة. وكان هذا النجاح مدعاة للمبشر في استمرار النشاط، ففي ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٨٣٩ باشر بحفر الأساسات بإشراف مسّاح مهندس استدعي خصيصاً من لندن، وبعد الوصول إلى الصخر على عمق ١٢ متراً باشر البناء بعد أن كان قد اشترى الأحجار من محاجر بيت لحم وعناتا شمال القدس، واستأجر معلمي الدقاقة والبناء من بيت لحم والرملة بإشراف معلم بناء استحضر من مالطة. فكان له ما أراد على رغم المقاومة المحلية من قبل سلطات المدينة والإدارة المصرية، وبعض الدوائر الشعبية على الأرجح، فكان بذلك مثالاً احتذته الطوائف الأخرى عندما بدأت هي الأخرى في حملتها العمرانية في المدينة المقدسة[٤].

أما الوجود الفرنسي فقد كان أيضاً نشيطاً للأسباب إياها، وبسبب كون القنصلية الفرنسية التي أسست في القدس عام ١٨٤٣ أصبحت تعتبر عنواناً للحماية الفرنسية للمسيحيين اللاتين والكاثوليك في الوقت الذي كانت فيه القنصلية البريطانية تعتبر عنواناً للحماية البريطانية لليهود والبروتستانت. وحسب قول القنصل البريطاني فن الذي خدم في القدس بين عامي ١٨٥٣ و١٨٥٦، فقد حاول أول قنصل لفرنسا قبل سنين أن يرفع العلم الفرنسي فوق القنصلية، مما أدى إلى ثورة غضب لدى السكان المسلمين الذين تنادوا إلى إنزال العلم وجرّوه على الأرض وراء عصبة منهم في شوارع المدينة. أما القنصل في هذه الفترة، فكان بول إميل بوتا، صديق بطريرك اللاتين فاليرجا، وابن المؤرخ الإيطالي كارلو بوتا الذي كان يعتبر صديقاً شخصياً لنابوليون بونابرت، والذي كان قد تعرّف عليه أثناء عمله كنائب قنصل في الموصل، بينما كان البطريرك يرأس الطائفة هناك[٥]. وفي ١٧ حزيران/ يونيو سنة ١٨٤٨ باشر البطريرك عمله في المدينة المقدسة بكل حماس وشوق[٦]، يؤازره في ذلك قنصل متحمس ومستعد للحضور الدائم خلال الحفلات الكنسية المعهودة في القدس، وتساعدهما في سياستها هذه وزارة الخارجية الفرنسية التي كانت تشك في نيات بطريركية الروم الأرثوذكس والحكومة الروسية على حد سواء، وخصوصاً أن الأخيرة كان لها في هذا المضمار أيضاً قنصل متحمس هو باسيلي الذي أصبح في عام ١٨٤٣ قنصلاً لروسيا في

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٥) James Finn, *Stirring Times*, 2 vols. (London: C.K. Paul and Co., 1878).

(٦) Allessandro Possetto, *Il Patriarcato Latino di Gerusaleme (1848 - 1938)* (Milano: El Cura di Crociata, 1938).

بيروت ومشرفاً على القنصليات والمثليات الروسية في حلب واللاذقية وصيدا والقدس، وكانت تعليماته «أن يعطي الاهتمام إلى المصالح الدينية للكنيسة الشرقية التي هي محطّ اهتمام البلاط الإمبراطوري، وأن يقيم العلاقات الودية مع رؤساء الطوائف المسيحية الأخرى، كما كان عليه مساعدة الحجاج الروس». وقد نفّذ الأمر الأخير عن طريق استئجار ديرين من الروم الأرثوذكس، وبدأ بالقيام بزيارات متكررة إلى القدس، حيث كان وجوده يعطي طابعاً خاصاً لاحتفالات اليونان والأرمن بحضور أعداد من الحجاج الروس الذين كان معظمهم من رجال الجيش السابقين، والذين بدأوا يتفاخرون بالقول إنه «لن تمضي مدة طويلة قبل أن تصبح البلاد تحت سيطرة الحكومة الروسية»(٧).

وكانت هذه التطورات تخلق جواً من التنافس غير المفيد للوجود المسيحي العربي في الأراضي المقدسة، فقد انعدم التأثير العربي بعد أن أصبح هناك عدد من القنصليات، منها البريطانية التي تأسست عام ١٨٣٨، والبريطانية والروسية اللتان تأسستا عام ١٨٤٣، والنمساوية التي تأسست عام ١٨٤٩، بالإضافة إلى قنصلية سردينيا التي انضمت إلى النمسا، والإسبانية التي تأسست عام ١٨٥٤. وكانت المؤامرات تحاك يومياً بين هذه القنصليات وبين البطريركيات والكنائس التي لم يكن للعرب فيها أي نفوذ، لأن الروم أو اليونان كانوا قد سيطروا على بطريركية الروم الأرثوذكس وديرها عن طريق أخوية القبر المقدس، حيث إن بطريرك القدس الأرثوذكسي كان حتى ذلك التاريخ يقيم في القسطنطينية. أما رعية اللاتين العربية، فقد كانت صغيرة، ومعظم أفرادها كانوا من الأرثوذكس الذين تحولوا إلى الكثلكة لسبب أو لآخر، وكان ينضمّ إليهم العرب من الروم الكاثوليك بسبب ولائهم للفاتيكان في روما، بالإضافة إلى أنهم كانوا يشعرون بأهمية الالتزام بتعليمات بطريرك اللاتين الذي تسانده فرنسا والنمسا. أما العرب البروتستانت، فكان عددهم أيضاً ضئيلاً جداً، وكان معظمهم قد تحوّل إلى البروتستانتية بسبب الفوائد التي كان يمكن للمرء أن يحصل عليها، وخصوصاً في حقل التعليم(٨). لقد كانت هذه الأوضاع غير المناسبة للمسيحيين العرب على جانب كبير من الخطورة، لأن ازدياد نفوذ واهتمامات هذه الإرساليات التبشيرية في الأربعينيات من القرن التاسع عشر كان يزيد من سوء الأحوال بالنسبة إليهم، وخصوصاً أن كنيستهم الأساسية، وهي الأرثوذكسية، كانت

(٧) Derek Hopwood, *The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843 - 1914: Church and Politics in the Near East* (Oxford: Clarendon Press, 1969), pp. 15 - 16.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٠.

في حالة متردّية. ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن التردّي هذا قد واكب مسيرة الكثلكة التي كانت نشيطة منذ عام ١٦٢٢ عندما بدأت عملها التبشيري عن طريق الرهبنة اليسوعية، وفي ما بعد ذلك إعلان ولاء طائفة الروم الكاثوليك للفاتيكان بعد أن تمّ الانقسام في بطريركية أنطاكية بينهم وبين الأرثوذكس عام ١٧٢٨. ومع أن السلطان كان قد أصدر فرماناً بناء على طلب البطاركة الأرثوذكس الأربعة في القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية والقدس يمنع فيه الكاثوليك من التبشير بين صفوف الأرثوذكس في الدولة العثمانية، فإن التحوّل استمر في طريقه، خصوصاً بواسطة الطوائف الشرقية الكاثوليكية، بحيث إن عدد اللاتين والكاثوليك في منطقة القدس ارتفع من ثلاثة آلاف عام ١٨٤٠ إلى ثلاثة عشر ألفاً عام ١٨٨٠، بحسب ما رواه ديريك هوبود، نقلاً عن المصادر الروسية الرسمية[٩].

هذه النشاطات كانت تسير جنباً إلى جنب في القدس بين الدول والكنائس المختلفة بسبب المنافسة الشديدة والرغبة القوية في احتلال مواقع تمييزية دينية وسياسية وعسكرية، كما حصل في أوقات لاحقة عندما نشبت حرب القرم عام ١٨٥٦ بدعوى الاختلافات الدينية، بينما كانت في الحقيقة خلافات سياسية ـ عسكرية بين الدول القوية في تلك الفترة، بحيث امتدت إلى المنافسة الدينية. ففي مقابل القنصلية الفرنسية والبطريركية اللاتينية أسست القنصلية البريطانية، ثم تبع ذلك تأسيس المطرانية الإنجيلية في القدس لخدمة جميع البروتستانت بعد أن كان التوجّه البروتستانتي للعمل الإنجيلي محصوراً بين صفوف اليهود. وقد حاول بعض النبلاء الإنكليز، مثل السر موزس مونتفيوري، واللورد آشلي، والكولونيل تشرشل، العمل على إعادة إرسال اليهود إلى فلسطين ليقوموا هنالك بالأعمال الزراعية[١٠]، ويظهر أن تشرشل كان إنجيلياً متحمساً، وكان على صلة باليهودي الثري السير موزس مونتفيوري الذي كان قد قدم مبالغ من المال لمساعدة الفقراء اليهود وتحسين إمكانيات العمل والخدمة الصحية لهم[١١]، مما جعل له الذكر الطيب في القدس لدى الدوائر اليهودية والبريطانية، حيث جرى تسمية حي باسمه في المدينة الجديدة عرف باسم حي مونتفيوري.

بدأت عملية تأسيس المطرانية الإنجيلية بتعليمات أرسلها الملك ولهلم الرابع ملك بروسيا بتاريخ ٨ حزيران/ يونيو ١٨٤١ إلى مندوبه الخاص لدى بلاط الملكة

---

(٩) المصدر نفسه، ص ٣١.

(١٠) Finn, *Stirring Times*, p. 39.

(١١) فرح، تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس، ١٨٤١ ـ ١٩٩١، ص ٧٥.

فكتوريا في لندن حول ضرورة حماية رعايا بريطانيا وبروسيا في الإمبراطورية العثمانية، ومعرفة مدى استجابة إنكلترا لمنح الكنيسة الإنجيلية الوطنية في بروسيا منزله متساوية مع كنيسة إنكلترا في الأراضي المقدسة كأخت مع أختها. ولدى إعلان حكومة إنكلترا موافقتها التامة على رغبات ملك بروسيا في قيام كنيسة إنكلترا بتأسيس مطرانية في القدس تشمل جميع ما لها من مؤسسات ومبان على جبل صهيون، قام الملك ولهلم الرابع فوراً بتقديم خمسة عشر ألف جنيه استرليني كرأسمال تجنى منه فائدة سنوية بحوالى ستمائة جنيه تدفع سنوياً، وقدمت إنكلترا مبلغاً مماثلاً. ولدى ظهور بعض المعارضة لهذا التوجه عن طريق ما سمي بـ «حركة أكسفورد» ظهرت أفكار تقول إنه نتيجة لنشاط المرسلين الإنجيليين تنصّر عدد من اليهود في القدس، وتكوّنت هنالك جماعات إنجيلية صغيرة، مما لم يعد معه أي مبرر لشكوى الروم الأرثوذكس واللاتين بأن أعضاء من كنائسهم قد تحولوا عن مذهبهم. فهؤلاء المتنصرون اليهود لا ينتمون إلى تلك الكنائس، وإن هي خافت من أن تسبقها الكنيسة الإنجيلية في فلسطين في نشاطها وانتشارها وتوسعها، فلتبذل تلك الكنائس جهداً فكرياً وروحياً بحسب ما وهبها الله من نعمة، عوضاً عن تلك المخاصمات التي تشمئز منها النفس[(١٢)].

وفي ٥ تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٨٤١ صدر مرسوم مطرانية القدس في البرلمان بلندن، وتبعته إرادة الملكة فكتوريا الموجهة إلى رئيس أساقفة كنتربري بتعيين القس مايكل سولومن ألكسندر، اليهودي المتنصر، ليكون أسقف الكنيسة المتحدة وايرلندا في القدس، بينما قامت بروسيا بالإعلان عن مساعيها «بهدف حصول الإنجيليين الألمان على الامتيازات ذاتها التي يتمتع بها أتباع كنائس اللاتين والأرثوذكس في الإمبراطورية العثمانية، خاصة في سوريا وفلسطين، وخصوصاً أن كنائس اللاتين والأرثوذكس في الشرق تعتمد على معاهدات قديمة حصلت بواسطتها على اعتراف رسمي يمنحها معظم الحقوق السياسية، كما تتمتع الكنيسة اليونانية (الأرثوذكسية) بالإضافة إلى ذلك بحماية قيصر روسيا، بينما يتمتع اللاتين بحماية الدول الكاثوليكية الكبرى. ولذا فإن حكومة بروسيا ترى لزاماً ما يحملها على الانضمام إلى تلك الدول بالنسبة إلى رعاياها الكاثوليك الألمان. أما الكنيسة الإنجيلية، فلم يكن لها اعتراف رسمي في تركيا إلا مؤخراً. ولذلك، ففي هذه الأوضاع لن تقف في وجه حكومة بروسيا صعوبات لتحقيق هدفها بما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمشاعر الكنيسة الوطنية». ويعنينا أن نبيّن بوضوح في هذا الصدد أن حكومة بروسيا

(١٢) المصدر نفسه، ص ٧٩.

التي أصبحت بعد ثلاثة عقود نواة الإمبراطورية الألمانية، كانت تسعى للمحافظة على حقوق رعاياها من الكاثوليك، وكذلك تثبيت حقوق جديدة للكنيسة الوطنية التي هي الكنيسة اللوثرية التي أصبحت شريكة مع كنيسة إنكلترا في المطرانية الجديدة التي سيكون ترشيح أسقفها بالتناوب من قبل تاجي إنكلترا وبروسيا مع حق النقض لرئيس أساقفة كنتربري بالنسبة إلى أولئك الذين يرشحهم التاج البروسي (الألماني)[١٣].

فتح النشاط التبشيري القوي الذي واكب افتتاح المطرانية الإنجيلية عام ١٨٤١ أعين الروس الذين كانوا يزورون القدس كحجاج بأعداد كبيرة، ناهيك عن أن المصالح الإمبراطورية الروسية والتوجهات الكنسية في بطريركية موسكو كانت تؤخذ دائماً بعين الاعتبار من قبل الخارجية الروسية ودوائر القصر الإمبراطوري الروسي. ففي السنة نفسها بدأت الخطوات الأولى لتأسيس وجود روسي في القدس، عندما قام الكونت نيقولاي بروتاسوف أمين المجمع الروسي المقدس بالتوصية لإرسال أرشمندريت مع راهبين أو ثلاثة إلى القدس لتأسيس مدرسة في دير الصليب الأرثوذكسي لتعليم اللغات اليونانية والروسية، وللإشراف على توزيع العطايا والنذور الروسية، والعناية بالحجاج الروس القادمين إلى الديار المقدسة. وكان تقديم هذه الاقتراحات مباشرة إلى القيصر الروسي الذي حولها بدوره إلى وزير الخارجية في موسكو الكونت نسلروده (الذي كان ألمانياً من أتباع المذهب البروتستانتي). فأجاب على المقترحات بالإيجاب، ونالت موافقة القيصر في ٣ تموز/ يوليو ١٨٤٢، وتم تعيين الأرشمندريت بورفيري أوسبينسكي لشغل هذا المنصب، وفي أيلول/ سبتمبر ١٨٤٣ زار القسطنطينية وسوريا ولبنان والقدس، وأجرى اتصالات مختلفة، وعلى الأخص مع الأرثوذكس اليونان، وكذلك مع الأرثوذكس العرب الذين شعروا لأول مرة باهتمام روسيا بشؤونهم. هذا التعيين كان كذلك تثبيتاً للمنافسة الشديدة بين ممثلي الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا وروسيا. وكانت التعليمات التي صدرت إلى المبعوث في وقت لاحق تقضي بضرورة حصوله على ثقة العرب، وذلك عن طريق قيامه بالحديث دائماً عن الكنيسة ككل وليس عن اهتمامات روسية، مما قد يؤدي إلى إثارة الشبهة بأن هنالك وراء بعثته غايات سياسية[١٤]. لقد فوجئ أوسبينسكي عندما فتح هذه الآفاق الجديدة للأرثوذكس العرب واكتشف العلاقة السيئة والعقيمة التي تسيطر على علاقتهم باليونان، وكان ذلك من خلال حديث حصل بينه وبين مطران اللد الذي أصبح بطريرك القدس الأرثوذكسي كيرللس الثاني (١٨٤٥ ـ ١٨٧٢)، عندما

---

(١٣) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(١٤) Hopwood, *The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843 - 1914: Church and Politics in the Near East*, p. 36.

قال المطران له في جلسة خاصة «هؤلاء العرب أوغاد يكرهوننا ويسيئون إلى سمعتنا وأنت لا تحبنا وتدافع عنهم»، فأجابه «الله يعلم مدى محبتي لكم، ولكنني أشفق على العرب وأنا مستعد للدفاع عنهم أمام أي كان». فقال البطريرك «ليس لديهم إيمان وهم برابرة وأنذال»، فقال أوسبينسكي «يجب عليكم أن تعلموهم الإيمان، فأنتم الذين شجعتم عدم الإيمان لديهم، ولماذا لا تقبلون الاكليروس العرب وتساعدونهم وتتعلمون اللغة العربية». فقال البطريرك «نحن لا نقبل الكهنة العرب بيننا حتى لا تخفض مكانتنا الاكليريكية، ولا نتعلم العربية لأننا لا يمكن أن نخلق عادات جديدة». وهو حوار بائس أظهر للمبعوث الروسي جو انعدام الثقة والشك والريبة بين العرب واليونان، وشجعه على أن يتبنى إمكانيات التطور العربي لدى المراجع المسؤولة في سانت بطرسبرغ[(١٥)].

كان هذا الخلاف بين العنصرين المهمين في أكبر كنيسة مسيحية في الأراضي المقدسة يكشف عن الإهمال الواضح للشؤون الدينية في بطريركية القدس الأرثوذكسية إلى درجة أن البطريرك المقدسي الذي كان عادة ينتخب ويقيم في القسطنطينية لم يكن يتمتع باحترام أو محبة الأرثوذكس العرب في أرجاء البطريركية، لقلة اهتمامه بشؤونهم، وخلو المنصب لأكثر من مائتين وخمسين سنة. فلما استتب الأمر للبطريرك كيرللس الثاني، وأصبح المال متوفراً لديه بسبب الدخل الذي كانت تدره عليه الأماطيش التي هي الأديرة والأوقاف الواسعة التي كانت للقبر المقدس في بلاد واليشيا (الفلاخ) والبغدان وسربيا والكرج (جورجيا) والقفقاس وبر الأناضول ومقدونيا وتراقيا، والتي كانت تبلغ ٣٠ مليون قرش في السنة إلى درجة أنه كني بأبي الذهب، قام بنقل مكان إقامته إلى القدس وفتح عدة مدارس ابتدائية، ورقى مدرسة القدس التي كانت قد أسست في القرن الثامن عشر، وأنشأ مطبعة عربية في القدس، وشيّد عدة كنائس، وفتح المدرسة اللاهوتية في دير الصليب المعروفة بمدرسة المصلبة سنة ١٨٥٥ لتهذيب اكليروس الكرسي الأورشليمي[(١٦)]. هنا لا يسعنا إلا أن نلاحظ أن هذا التغيير ما كان ليحدث عفوياً لولا التطورات التي بدأت تحصل في الأراضي المقدسة من قبل الحركات التبشيرية ونصائح أوسبنسكي والتحرك الروسي الذي كان له شأن كبير في وصول هذه الأموال الطائلة إلى البطريركية الأرثوذكسية في القدس، حيث لم تتأثر هذه الواردات إلا عندما استولى كوزماس أمير رومانيا سنة ١٨٦٣ على أديرة القبر المقدس وعددها ٧٢ ديراً من خلال استيلائه على أوقاف سائر البطريركيات

---

(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(١٦) انظر: المصدر نفسه، ص ٤٤؛ شحادة خوري ونقولا خوري، **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية** (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥)، وط ٢(عمان: [د. ن.]، ١٩٩٢)، ص ١٩٧.

وتحويل الواردات منها إلى الخزينة الحكومية في بلاده[١٧].

ولم تنقطع الخلافات في هذه الأثناء بين الكنائس الأرثوذكسية من جهة، واللاتين من جهة أخرى، بحيث اضطرت حامية كل منهما إلى التدخل والدخول في صراعات جديدة. ففي يوم ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٨٤٧ زار كنيسة المهد في بيت لحم طبيب المستشفى الأرثوذكسي في القدس اليوناني ومعه زائران آخران من اليونان. وأثناء الزيارة هجم عليهم الرهبان الفرنسيسكان، وأثناء القتال اختفى النجم الفضي الذي كان معلقاً في مغارة المهد. ومع أن المزار كان للأرثوذكس، فإن النجم الفضي كان اللاتين الذين سمروه هناك عام ١٧١١، حين كانت المغارة تحت سلطتهم. فقضت الحكومة العثمانية في الأستانة أن يبقى ملكاً لهم، وكان قد نقش عليه كتابة لاتينية، وعند اختفائه اتهم اللاتين الروم بأنهم هم الذين سرقوه ليضعوا مكانه نجماً يونانياً، بينما اتهم الروم اللاتين بأنهم هم الذين أزالوه ليضعوا مكانه نجماً جديداً بعد أن قدم العهد به. فلما وصلت الشكاوي إلى الباب العالي صدر الأمر بوضع النجم كما كان أولاً، وتشكيل لجنة للنظر في سائر الحقوق والامتيازات المالية. فأصدرت اللجنة حكمها الذي لم يرق لسفير فرنسا في الأستانة، فاحتج عليه، بينما طلب مندوب روسيا من الباب العالي ثلاثة مطالب: الأول أن يؤيد هذا الحق الشرعي بفرمان آخر، والثاني أن يمنح للبطريرك الأرثوذكسي الحق بتجديد بناء قبة كنيسة القيامة بواسطة الحكومة العثمانية، والثالث أن يعطي لروسيا حق حماية المسيحيين في تركيا، والاشتراك في الحكم معها بشأن المزارات الشريفة. فقبلت تركيا الطلبين الأول والثاني، ورفضت الثالث، لأنه يمسّ كرامتها واستقلالها. فما كان من روسيا إلا أن أعلنت الحرب على تركيا وهاجمت المقاطعات على نهر الدانوب في تشرين الأول/ أكتوبر ١٨٥٣[١٨]، ولكن نتائج هذه الحرب لم تكن مناسبة للمطامع الروسية. فقد أكدت الهزيمة عام ١٨٥٦ التغيّر الأساسي الذي حصل لعلاقات روسيا بالشرق الأرثوذكسي، وبما أنه لم يعد من المستطاع أن يكون لها المركز الممتاز في الإمبراطورية، فقد اضطرت إلى قبول المساواة مع الدول التي كانت تنافسها في هذا الحقل، والتي بالفعل انتصرت عليها في حرب القرم، وأجبرتها على توقيع معاهدة باريس عام ١٨٥٦.

هذه التطورات جلبت لأهل القدس المصاعب والنقص في الأقوات بسبب الحرب وانقطاع الوارد من الحبوب من شبه جزيرة القرم بسبب العمليات الحربية.

---

(١٧) خوري وخوري، المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(١٨) Finn, *Stirring Times*, p. 73.

وكان الأرثوذكس في القدس، وخصوصاً الروم اليونان، قد اضطروا إلى إعلان ولائهم للسلطان مع تمنياتهم له بالنصر، كما فعل مثلهم الأرثوذكس العرب حتى لا يؤخذ عليهم أنهم يؤازرون أعداء الدولة. أما اللاتين والبروتستانت، فلم تكن لديهم مشكلة ولاء لأن الدولتين اللتين كانوا تحت حمايتهما، وهما فرنسا وبريطانيا، كانتا حليفتين للدولة العثمانية في حربها ضد روسيا. وكانت الممثلية التي يرأسها أوسبينسكي قد اضطرت إلى مغادرة القدس عام ١٨٥٣، ولم تتمكن روسيا من إرسال ممثلية جديدة إلى القدس إلا في أوائل عام ١٨٥٨ برئاسة المطران سيريل الذي كانت تعليماته من وزارة الخارجية الروسية تقضي بأن يعطي الاهتمام الخاص إلى العون الواجب تقديمه إلى الأرثوذكس العرب، على أساس أن الشعب الأرثوذكسي في سوريا وفلسطين كان ولا يزال عربياً، وأن مهمة روسيا كانت قد أصبحت رعاية التوفيق بين العرب واليونان ومساعدة العرب، وليس جيوب الرهبان اليونان، بحيث تؤدي هذه المساعدة بين صفوف العرب إلى منع اللاتين من استقطاب الأرثوذكس العرب إلى حظيرة الكثلكة(١٩).

لقد كان الاهتمام الكبير الذي كان اللاتين يبذلونه للتبشير في صفوف العرب الأرثوذكس، والجهد الذي كان يقوم به البروتستانت للتبشير في صفوف العرب الأرثوذكس واليهود، يقابله اهتمام أشد يبذله الروس لخلق أجواء أفضل لزيارة الحجاج الروس ولرفع مستوى الأرثوذكس العرب الذين هم بالحقيقة عماد البطريركية الأرثوذكسية في القدس، في الوقت الذي كان فيه الرهبان الروم (اليونان) مشغولين بخلافاتهم الداخلية ومع الطوائف الأخرى. وقد أدى هذا النشاط القوي إلى حركة عمرانية مستمرة في القدس، ففي سنة ١٨٥٥ قام سائح بريطاني يدعى جون جادسبي بزيارة القدس، وكتب يقول بالحرف الواحد «بالحقيقة حصل في القدس تغيّر كبير منذ عام ١٨٤٧، فقد هدمت البيوت القديمة وبنيت بيوت هي أشبه بالقصور، مكانها في كل شارع تقريباً، وليس هذا من قبل المسيحيين فقط، وإنما من قبل المسلمين أيضاً. الناس هنا تقلد بعضها البعض، وتقام البيوت خلال عدة أسابيع، وهنالك كل هذه التغييرات والتحسينات التي ستجعل القدس مدينة مختلفة خلال عدة سنوات. لقد تضاعفت أسعار الأراضي، ورغماً عن الكلفة الإضافية التي تعرّض لها بناء مدرسة المطران وبناء الكنيسة البروتستانتية بسبب عمق الأساسات، فإن المشرفين سيتمكنون من تحقيق ربح في ما لو قاموا ببيع هذه الأملاك غداً»(٢٠).

---

(١٩) Hopwood, *The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843 - 1914: Church and Politics in the Near East*, p. 47.

(٢٠) John Gadsby, *My Wanderings: Being Travels in the East (Between 1846 and 1860)*, 2 vols. (London: Gadsby, 1855 - 1860), vol. 2, p. 491.

الفصل الرابع

الأوضاع العامة في القدس
في أواسط القرن التاسع عشر

كانت فترة حرب القرم التي انتهت بمؤتمر باريس يوم ٢٥ شباط/ فبراير ١٨٥٦ والذي أقرت فيه معاهدة باريس بين كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا وسردينيا والدولة العلية العثمانية، وشاركت فيه النمسا وبروسيا، عنوان توجّه لدى الجميع للقبول بالأمر الواقع، بحيث إن المادة التاسعة وردت كما يلي: «سلطان الدولة العثمانية، لعنايته بخير رعاياه جميعاً، قد تفضل بإصدار منشور غايته إصلاح ذات بينهم وتحسين أحوالهم بغض النظر عن اختلافهم في الأديان والجنس، وأخذ في ذمته مقصده الخيري نحو النصارى القاطنين في بلاده، وحيث كان من رغبته أن يبدي الآن شهادة جديدة على نيته في ذلك، عزم على أن يطالع الدول المتعاهدة بذلك المنشور الصادر عن طيب نفس منه، فتتلقى الدول المشار إليها هذه المطالعة بتأكيد ما لها من النفع والفائدة، ولكن المفهوم منه صريحاً أنها لا توجب حقاً لهذه الدول في أي حال كان على أن تتعرض كلها أو بعضاً لما يتعلق بالسلطان ورعاياه أو بإدارة سلطنته الداخلية»[1]. وقد اعتبر رهبان الروم أن عام ١٨٥٦ هذا هو ذلك الذي تمّ فيه تثبيت جديد للمصادقة على الوضع الراهن في الأماكن المقدسة، وخصوصاً أن السلطان العثماني أصدر الخط الهمايوني الذي اعترف بحقوق رعاياه من غير المسلمين دون تفريق بين العناصر والمذاهب، وانتظم المسيحيون على أثر ذلك في الجندية مثلهم كمثل المسلمين[2].

وكان القصد منه إضعاف المطالبة الروسية بحق حماية الرعايا الأرثوذكس من المسيحيين في أرجاء السلطنة العثمانية، في الوقت الذي قامت فيه الدول جماعياً برفض أية حقوق للتدخل في شؤون السلطنة العثمانية[3]. أما الوضع الراهن أو ما عرف بالستاتي سكو، فيعود السبب الرئيسي لإصداره إلى أن الأماكن المقدسة لثلاثة عشر قرناً كانت تحت سيادة غير مسيحية، عندما كانت امتيازات أي طائفة مسيحية في

(١) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٩٠٨، ط ٣ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧)، ص ٢٧٨.

(٢) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس (القدس: مكتبة الأندلس، ١٩٦١)، ص ٢٧٦.

(٣) Derek Hopwood, *The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843 - 1914: Church and Politics in the Near East* (Oxford: Clarendon Press, 1969), p. 48.

هذه الكنائس لا يتم الحصول عليها إلا بالهدايا وبالرشى، أو بواسطة الضغط الدبلوماسي، أو بمؤثرات أخرى، والأماكن المقدسة موضوع البحث هي: كنيسة القيامة وساحتها، وكنيسة العذراء مريم في الجثمانية، وكنيسة المهد في بيت لحم، وكنيسة الصعود على جبل الزيتون في القدس، ودير السلطان على سطح كنيسة القيامة. وعندما تجدّدت النزاعات بعنف حول الحقوق في الكنائس في بداية القرن التاسع عشر، كانت السلطات المسؤولة تعود باستمرار إلى سياسة الأمر الواقع الذي كانت قد أيدته معاهدات باريس وفيينا وبرلين، وإعلانات سلطانية عامي ١٨٦٨ و١٨٦٩، مما أصبح معه سياسة مرسومة يسير عليها أيضاً البريطانيون والأردنيون والإسرائيليون أثناء حكمهم لفلسطين منذ عام ١٩١٨ وحتى وقتنا الحاضر، علماً بأن الطوائف التي لها حقوق في هذه الأماكن المقدسة هي الروم الأرثوذكس واللاتين الفرنسيسكان والأرمن الأرثوذكس والأقباط والسريان الأرثوذكس فقط[٤].

ولإعطاء فكرة عن تفصيلات المساحة في البلدة القديمة في القدس، وجدنا من المناسب تزويد القارئ بالخريطة الظاهرة على الصفحة ٢٤١ من هذا الكتاب التي تبيّن الأسوار والأبواب وجميع البنايات ذات الأهمية في البلدة القديمة التي هي في الحقيقة شبه مربع لا يزيد أي ضلع من أضلاعه الأربعة على الألف متر طولاً، والمساحة هي ٩٢٧ دونماً موزعة بين الفئات المختلفة على النحو التالي[٥]:

الجدول رقم (٤ ـ ١)
مساحة أملاك الطوائف الثلاث
ومواقع الخدمات الحكومية في القدس (بالدونم)

الأملاك المسيحية	٤٢٠
الأملاك الإسلامية	٤٠٥
الأملاك اليهودية	٤٠
مساحة مواقع الخدمات الحكومية	٦٢
المجموع	٦٢٧

وينقسم المسيحيون في المدينة إلى كنائس شرقية وغربية تتبع كل منها رئاساتها

(٤) ابراهيم قندلفت، «الستاتيكو والمؤسسات الكنسية في الأراضي المقدسة،» النعمة (سوريا) (آذار/مارس ١٩٩٩)، ص ١٨ ـ ١٩.

(٥) انظر: سليم الصايغ، الوضع الراهن بالنسبة للأماكن المقدسة (روما: [د. ن.]، ١٩٧١)، و«من هم المسيحيون في الشرق الأوسط،» مجلة مجلس كنائس الشرق الأوسط (تشرين الأول/اكتوبر ١٩٨٦)، ص ١٣.

المختلفة. أما الكنائس الشرقية فتنقسم بدورها إلى:

بطريركية الروم الأرثوذكس.

بطريركية الأرمن الأرثوذكس.

مطرانية الأقباط.

مطرانية السريان الأرثوذكس.

مطرانية أو دير الأحباش.

الكنيسة الروسية وكنيسة الكرج (جورجيا).

أما الكنائس الغربية فتنقسم بدورها إلى:

البطريركية اللاتينية.

مطرانية الروم الكاثوليك.

مطرانية الأرمن الكاثوليك.

مطرانية السريان الكاثوليك.

مطرانية الموارنة.

مطرانية البروتستانت.

مجمع الطائفة الإنجيلية الأسقفية العربية.

الإرساليات الألمانية.

أولاً: الكنائس الشرقية

١ ـ بطريركية (الروم) الأرثوذكس

كان البطاركة في هذه الحقبة هم بوليكاريوس (١٨٠٨ ـ ١٨٢٧)، وأثناسيوس الخامس (١٨٢٧ ـ ١٨٤٥)، وكيرللس الثاني (١٨٤٥ ـ ١٨٧٢)، والأخير هو الذي اضطر إلى إعادة مركز البطريركية إلى القدس بعد أن كان قد هجرها البطاركة الأرثوذكس نحو قرنين من الزمان، حيث كانوا يقيمون في القسطنطينية.

أثناء ولايته، قام البطريرك كيرللس بشراء الدور الواقعة فوق باب العمود المعروفة بدور خضير من عائلة الخالدي، فعمّرها لأجل سكنى الأرثوذكس الوطنيين، وسماها دير اسبيريدون، كما بنى القنطرة التي تصل الدير المركزي بالبطريركية.

وعندما زار القدس الغرندوق قسطنطين، شقيق القيصر الروسي ألكسندر، زيارة رسمية في ٣٠ نيسان/أبريل ١٨٥٨ قام البطريرك باستقباله خير استقبال، مما شجعه على اتخاذ المبادرات الكريمة في سبيل الأعمال الخيرية وتشجيع الوجود الروسي في الأراضي المقدسة. وهنا علينا أن نتذكر أن معظم الأملاك والعقارات العائدة للبطريركية لم تكن في القدس أو حتى في الأراضي المقدسة، وإنما في بساربيا والمقاطعات الرومانية الأخرى، وأن هذه الأوقاف التي صودرت في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٦٢ كانت تقع في أراضي ضمتها روسيا إليها عام ١٨١٢ بعد معاهدة بوخارست[٦]. وكان فقدان البطريركية لهذه الأملاك الحافز الذي جعل أخوية القبر المقدس تقوم بتشجيع الوطنيين على وقف الأراضي باسم البطريركية، وكذلك شراء الأراضي في ضواحي القدس وأنحاء أخرى من فلسطين، حيث إن ملكيتها قبل ذلك كانت محصورة في البلدة القديمة في القدس.

وتتناقض الروايات بشأن الأسباب التي حدت البطريرك كيرللس الثاني على الانتقال من الإقامة في القسطنطينية إلى الإقامة في مقر بطريركيته في القدس. والأرجح أن الأسباب متعددة، وتضافرت في جعله يتخذ قراره المهم هذا. فقد أكد وجوده المستمر في البطريركية في القدس بعيداً عن القسطنطينية استقلاله، بحيث مكّنه ذلك من التصرف بالأمور دون الرجوع إلى بطريرك القسطنطينية، بالإضافة إلى أنه كان مضطراً لمواجهة التطورات الكبيرة التي حصلت نتيجة لإقامة الأسقفية الانغليكانية في القدس، وتنامي النفوذ اللاتيني الذي أثبت وجوده بإقامة البطريركية اللاتينية من جديد. وهنالك من يعتقد أن الصراع على الأماكن المقدسة الذي كان مستمراً بين الأرثوذكس (الروم) من جهة، والأرمن واللاتين من جهة أخرى، أوجب الوجود اليوناني في القدس بشكل أكثر فاعلية، لأن رهبان أخوية القبر المقدس شعروا بالخطر القادم الذي أصبح يتهدد سيطرتهم السابقة على أمور مسيحية كثيرة، بسبب علاقتهم عن طريق بطريركية الفنار في اسطمبول بالسلطان العثماني وحكومة الدولة العلية.

إلا أن هنالك وجهة نظر عربية أرثوذكسية وردت في كتاب **لمحة تاريخية في أخوية القبر المقدس اليونانية** للأسقف رفائيل هواويني، وهذا نصها: «ولما ارتقى السدّة البطريركية الأورشليمية كيرللس مطران اللد، وذلك سنة ١٨٤٥، فلم يلبث أن نقل مركزه البطريركي من القسطنطينية إلى أورشليم ليس رغبة منه في الاعتناء بأمور رعيته المحلية، بل بغية التخلص من مطامع إكليروس الفنار، أي بطريركية

---

(٦) انطوان برترام وهاري شارلز لوك، تقرير اللجنة التي عينتها حكومة فلسطين لدراسة أوضاع البطريركية الأرثوذكسية في القدس ([د. م.]: مطبعة جامعة اوكسفورد، ١٩٢١)، ص ٣١٥.

القسطنطينية، على أنه عندما حضر إلى أورشليم ونظر نجاح اللاتين العظيم فيها وما شادوه من المدارس والمطابع لأجل تنوير الأهالي، خشي على أخوية القبر المقدس من الانحلال، إذ كان أعضاؤها غارقين في حمأة الجهل والغباوة ولا يعرفون سوى حشر الأموال ولا يهتمون إلا بالبذخ والإسراف، فأراد أن ينهضهم من حمأتهم هذه. ولذلك أسس لهم مدرسة لاهوتية في دير الكرج القديم المعروف بدير المصلبة، وجمع تلامذتها ومن أبناء الرهبان المدعوين عندهم بأبناء الأخ أو الأخت تأدباً. نعم إنهم سمحوا بقبول بعض تلامذة من أبناء العرب الأرثوذكسيين، على أنهم لم يساووهم بأبناء الرهبان من حيث إتمام العلم في هذه المدرسة، إذ قد سنّوا لهم قوانين بموجبها يقتضي على أولاد الرهبان اليونان أن يقيموا في المدرسة حتى نهاية سني العلم الست فيها»[٧]. وفي الحقيقة، كان انتقال البطاركة إلى القدس وانتخابهم فيها عملية استقلال للكنيسة المقدسية وتحررها من التبعية التقليدية لبطريركية القسطنطينية. ويثبت ذلك ما حدث عند احتدام الصراع بين كنيسة بلغاريا والكنيسة اليونانية عموماً، مما سيأتي تفصيله في ما بعد.

البطريركية الأرثوذكسية هي أكبر الكنائس رعية وأوقافاً وأملاكاً، وقد أثبتنا في فصل لاحق قائمة أصدرها الرهبان اليونان عام ١٩٨٤ تبيّن أهمية ومدى اتساع هذه الأوقاف، إلا أن هذه الأوقاف للأسف استهدفت من قبل الهيئات والسلطات الإسرائيلية منذ أواخر الحرب العظمى الأولى، وبشكل خاص منذ حرب ١٩٤٨، فبيع قسم كبير منها أو جرى تأجيره لمدد طويلة معظمها يصل إلى ٩٩ سنة، مما أدى إلى حصول خلاف كبير بين الرهبان اليونان المسيطرين على البطريركية برئاسة البطريرك ذيوذوروس، وبين الأرثوذكس العرب الذي وجهوا أنظار السلطات والشعب العربي إلى الأخطار الكبيرة الناجمة عن فقدان العرب السيطرة على هذه الأوقاف، ،خصوصاً أنها تستعمل من قبل السلطات الإسرائيلية كمواقع للاستيطان وإثبات الوجود، وبشكل خاص في المدينة القديمة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين بالنسبة إلى المسلمين، وأم الكنائس بالنسبة إلى جميع المسيحيين.

٢ ـ بطريركية الأرمن الأرثوذكس

ظهر في ما سبق من هذا البحث أن الأرمن الأرثوذكس كانوا دوماً ينازعون الروم الأرثوذكس في أحقية السيطرة على بعض الأماكن المقدسة نظراً للحقوق التي اكتسبوها على مر الزمن، مما أهلهم ليكونوا طرفاً في الحقوق والواجبات التي حددها

---

(٧) رفائيل هواويني، لمحة تاريخية في أخوية القبر المقدس اليونانية ([د. م.]: طبعة لجنة الدعم والمساعدة للأرثوذكس في البطريركية المقدسية، ١٩٩٧)، ص ١٣٢.

الستاتيكو المذكور آنفاً. ومن المؤكد أن مجيء الحجاج الأرمن بأعداد كبيرة والذي تزايد منذ بداية القرن التاسع عشر، كان له تأثير قوي في موقفهم في القدس، بالإضافة إلى أن وجودهم في المدينة المقدسة قديم ويعود إلى القرن الثاني عشر، حيث كانت لهم كنائس ثلاث على جبل الزيتون، وأخرى قرب باب العمود. والظاهر أن أعدادهم كانت قد بدأت في الازدياد بعد القرن السادس عشر، إذ يذكر أوليا جلبي الرحالة التركي الذي زار المدينة عام ١٦٧٠ أنه رأى فيها كنيستين للأرمن[٨].

إن الأملاك الأرمنية في القدس كثيرة ومساحتها كبيرة، وقد ذكرها عارف العارف بالتفصيل في كتابه **المسيحية في القدس**[٩]، إلا أنه من الجدير بالذكر أن دير مار يعقوب الذي يشغل مساحة كبيرة من الأرض وفيه البطريركية حيث يقيم البطريرك ومدرسة اللاهوت والمطبعة ومكتبتان، في إحداهما ٣٧٠٠ مخطوطة، بينما في الثانية ٣٥٠٠٠ ألف مجلد مطبوع، كان موضوع نزاع بين الأرمن وبين الروم الأرثوذكس الذين كانوا يدّعون ملكيته، بحيث لم يحسم النزاع بينهما إلا عام ١٧٣٥ في المحكمة الشرعية، حيث حكم القاضي للأرمن بحق التصرف بعد أن استمع إلى شهادات رؤساء طوائف القبط والحبش والسريان وعلماء المسلمين وأئمتهم وخطبائهم وزعمائهم وأرباب التجار الإقطاعيين من أهل القدس في ذلك الزمن. ومن الثابت من سجلات المحكمة الشرعية أنه بعد هذه الفترة في عام ١٧٦١ قام دير الأرمن بشراء دارين من عبدالله أفندي ابن عمدة السادات الحاج عبد اللطيف نقيب السادة الأشراف في القدس (الحسيني)، وأوقفهما على فقراء رهبان طائفة الأرمن القاطنين في دير مار يعقوب في القدس.

ومن الجدير بالذكر أن بطريرك القدس ظل تابعاً لبطريرك الأرمن في الأستانة حتى عام ١٩١٧، وهذا الوضع يشابه ما كان سائداً في بطريركية الروم الأرثوذكس حتى سنة ١٨٤٥ عندما قام البطريرك كيرللس بعد توليه سدة البطريركية بنقل مقره إلى القدس متخلصاً بذلك من سيطرة بطريرك القسطنطينية الأرثوذكسية. والسبب في الحالتين هو أن وجود بطاركة القدس في اسطنبول كان يعطي بطاركة القسطنطينية امتيازات كثيرة يستطيعون بواسطتها تنفيذ مآربهم وفرض سلطانهم على الكنائس المحلية في ولايات الدولة العثمانية.

---

(٨) انظر: عارف العارف: **المسيحية في القدس** (القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس، ١٩٥١)، ص١٠٠، و **المفصل في تاريخ القدس**، ص ٢٦٨.

(٩) العارف، **المسيحية في القدس**، ص ٩٨ ـ ١١٠.

٣ ـ مطرانية الأقباط

تعود علاقة الأقباط بالقدس إلى عصور المسيحية الأولى نظراً للعلاقة الوثيقة القائمة مع الأراضي المقدسة نتيجة لزيارة العائلة المقدسة لمصر، إلا أن زياراتهم للحج توقفت أثناء العهد الصليبي. فلما جاء صلاح الدين، انتعشت حركتهم، وخصوصاً أنه أراد أن يكافئهم على إخلاصهم، فردّ إليهم معظم الأملاك والأديرة والكنائس التي كانت لهم قبل الفتح الصلاحي. وقد كان لهم انتعاش أقوى عندما احتلت جيوش محمد علي باشا بلاد الشام بقيادة ابنه إبراهيم باشا عام ١٨٣١، فازداد عددهم في هذه الفترة بعد أن كانوا فئة قليلة بحسب سجلات الدولة العثمانية عند احتلالها للبلاد في مطلع القرن السادس عشر. ويذكر العارف أن عددهم في أوائل القرن العشرين كان حوالى ألف وثلاثمائة، وازداد في فترة نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ ليصبح حوالى العشرة آلاف نسمة، بينما كان عدد الحجاج من الأقباط قبل ذلك يزيد على الثلاثة آلاف حاج سنوياً[١٠].

يُعتبر دير السلطان الملاصق لكنيسة القيامة من الجهة الجنوبية الشرقية هو المركز الرئيسي لوجود الأقباط في القدس، وقد عُرف بهذا الاسم بعد أن ردّه السلطان صلاح الدين إلى الأقباط في جملة الأوقاف التي ردّها إليهم بعد الفتح الصلاحي. وهناك أيضاً للأقباط دير كبير معروف بدير مار أنطونيوس، وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الشمالية الشرقية، وكان قد رمّم في عام ١٨٦٥. وكذلك هناك أيضاً دير مار جرجس في حارة الموارنة. ومن أهم أوقافهم كنيسة السيدة مريم العذراء الملاصقة للقبر المقدس في كنيسة القيامة، وقد ورد في ما سبق كيف أنه اقتطع منها جزء من المساحة عندما سمح بإعادة بنائها بعد الحريق الكبير الذي دمر كنيسة القيامة عام ١٨٠٨.

أما الزوار من الحجاج، فقد كان العدد الكبير منهم ينزل في خان القبط الواقع بالقرب من دير مار جرجس في حارة الموارنة، وكان قد بني عام ١٨٣٩ أثناء الحكم المصري بعد أن تمّ شراء معصرة السيرج (زيت السمسم) وهدمها لإقامة البناء في الموقع. ويشرف على أحوال الأقباط في القدس وأرجاء الأراضي المقدسة مطران الكرسي الأورشليمي والشرق الأدنى للأقباط الأرثوذكس الذي أصبح يأتي في الدرجة الثانية بعد بطريرك الأقباط مباشرة، وذلك منذ عام ١٩٤٦ تقديراً لأهمية القدس ومنزلتها الدينية لدى الكنيسة القبطية. وبهذه المناسبة لا بد من الإشارة إلى أن

---

(١٠) المصدر نفسه، ص ١١٨.

الأنبا شنودة البطريرك الحالي، كان قد منع الزيارة لبيت المقدس طالما أنها تحت الاحتلال الإسرائيلي، ولا يزال هذا المنع ساري المفعول حتى تاريخ كتابة هذا البحث.

٤ ـ مطرانية السريان الأرثوذكس

يذكر العارف أن عدد السريان المقيمين في القدس في أواخر الانتداب (١٩٤٥) كان يقرب من الألفي نسمة، وأنهم كانوا يعيشون في القدس منذ القرن الأول للميلاد ويخضعون لبطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، بينما كان يدير شؤونهم في القدس المطران السرياني الأرثوذكسي الأورشليمي حتى أواسط القرن العشرين، ويرأسهم حالياً عام ٢٠٠٠ النائب البطريركي للسريان الأرثوذكس، ومقرهم في المدينة المقدسة هو دير مار مرقس الواقع في حارة الشرق بين حارتي الأرمن واليهود، وفيه العلّية التي تناول فيها السيد المسيح طعام الفصح مع تلاميذه في فجر المسيحية، وكان قد تمّ توسيعه وإتمام عمارته في عام ١٨٥٥. كما أن لهم كنيسة صغيرة في كنيسة القيامة وراء كنيسة الأقباط إلى الغرب من القبر المقدس وهيكلاً في كنيسة ستنا مريم في الجثمانية، كما أنهم تمكنوا من شراء أملاك في العمارة الواقعة إلى الشمال الشرقي من المسكوبية في عام ١٨٧٢، وكذلك دير العدس، ويظن أنه المكان الذي سجن فيه القديس بطرس.

ومن الواضح أن تقلب الأحوال وقلة أعداد السريان الموجودين في الأراضي المقدسة أضعف الوجود السرياني. ففي نشرة صادرة عام ٢٠٠٠ عن البطريركية برئاسة البطريرك أغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم، نجد تحليلاً حديثاً لهذه الأوضاع عندما يقول: «الظروف السياسية القاسية التي مرت بها المنطقة منذ أربعمائة سنة أضعفت كنيسة السريان كثيراً، فخسرت الكثير من أملاكها وتشرد أبناؤها وهربوا إلى أماكن بعيدة. ولكن مع ذلك ما زالوا موجودين في الأراضي المقدسة، حيث يفتخرون بأنهم يمتلكون حقوقاً مهمة في الأماكن المقدسة، وكذلك بعض العقارات المتواضعة، لكنها ذات أهمية تاريخية. ومن أوقافهم في المدينة المقدسة دير مار مرقس، وهو أقدم دير في القدس، وكنيسة السيدة العذراء التي يعتقد أنها «علّية صهيون»، حيث تناول السيد المسيح العشاء الأخير، وكنيسة مار بهنام خلف كنيسة القديس مرقس، وأملاك وعقارات حول الدير المرقسي، بينها المدرسة والنادي السرياني وبعض البيوت التي يقطنها السريان في المدينة المقدسة. وبطريركية السريان الأرثوذكس هي من بين الكنائس الخمس التي لها حقوق في

كنيسة القيامة وكنيسة المهد وكنيسة قبر العذراء ستنا مريم وكنيسة الصعود على جبل الزيتون[١١] بموجب ترتيبات الستاتيكو.

٥ ـ مطرانية الأحباش

كان وجود الأحباش في القدس قليلاً منذ البداية، وكانت الكنيسة الحبشية تعتبر بنت الكنيسة القبطية، بحيث إن رئيس ديرهم في القدس كان في ما مضى ينصّب من لدن بطريرك الأقباط في مصر، وعلى رغم ذلك فقد كانت هنالك نزاعات مستمرة بين الأحباش والأقباط والأرمن خلال القرن التاسع عشر بسبب الخلاف على الأوقاف وأماكن العبادة. وتتضح أسباب هذا الخلاف القديم المستحكم عند قراءة ما أورده العارف في كتابه المسيحية في القدس[١٢] عندما قال: «وظل الأرمن يزوّدون الأحباش في كل يوم بصندوقين من الصابون وخمسة وسبعين رغيفاً من الخبز لقاء ٤٠ قرشاً (أو عشرة فرنكات)، كما كانوا يفعلون منذ مئة وستين عاماً عندما كادوا يهلكون من الجوع، فتبرّع الأرمن بتزويدهم بهذه المؤن لقاء تنازلهم عن حقهم في كنيسة القيامة».

يُعتبر دير السلطان الملاصق لكنيسة القيامة هو مقرّ الأحباش في القدس، حيث يقيم مطران الأحباش الأرثوذكس في القدس. وهذا الدير كان سبب خلاف شديد بينهم وبين الأقباط الذين يدّعون أنه لهم، وأنهم سمحوا للأحباش بالسكنى فيه بالنظر إلى فقرهم. والظاهر أن فقر الأحباش الموجودين في القدس وقلة عددهم أدى إلى جعلهم محطّ أطماع المجاورين من أرمن وأقباط، إذ إن عددهم عام ١٨٢٣ تناقص وأصبح في حدود العشرين فقط. وفي عام ١٨٥١ حصل خلاف شديد بينهم وبين الأقباط على مفتاح دير السلطان الذي كانوا يقيمون فيه، فحُكم للأقباط بأن يظل المفتاح معهم، وبهذا أصبحوا يتحكمون في مجيء ورواح الرهبان الأحباش ومن يقيم معهم من الرعية في الدير. وكانوا قبل ذلك قد تعرّضوا لمعاناة من نوع آخر أثناء الحكم المصري عندما أحرقت مكتبتهم التي كانت تحتوي عدداً كبيراً من الكتب والمخطوطات بأمر إبراهيم باشا، حسب ما قيل. ولا شك في أن الخلافات بين الكنيستين الحبشية والقبطية كانت وراء هذا العمل. وقد تجدّد الخلاف عام ١٨٦٣ بينهم وبين الأقباط حين عُقد مجلس كبير ترأسه متصرف القدس خورشيد باشا، وحضره بالإضافة إلى الوجوه والأعيان كل من القاضي الشرعي والمفتي، وحكم على

---

(١١) العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ١١٤.
(١٢) العارف، المسيحية في القدس، ص ١٤٧.

الحبش بتسليم مفاتيح الكنيسة الموجودة داخل دير السلطان إلى الأقباط.

إلا أن أحوال الأحباش لم تستمر على هذه الدرجة من السوء، فقد قضى الله أن يكون لهم في أواخر القرن التاسع عشر رئيساً مخلصاً هو الأب جريس الذي تمكّن من إيصال توسلاتهم إلى النجاشي يوحنا ملك الحبشة الذي أخذ يرسل إلى القدس الأموال اللازمة لسدّ حاجة دير الأحباش، فتمكنوا بذلك من المحافظة على بعض أملاكهم. كما قام الأب جريس بشراء أرض خارج أسوار القدس، وقد بنى عليها ديراً وكنيسة جميلة. وبعد ذلك قامت عائلة الإمبراطور مينليك بشراء ثلاث دور كبيرة أوقفت لمنفعة دير الأحباش لينفق من إيجارها على الرهبنة، كما أن الإمبراطور مينليك نفسه اهتم بالأمر ووضع في البنك الفرنسي الكريديه ليونيه تحت تصرفهم عام ١٩٠٥ مبلغ مائتي ألف تالير نمساوي، كانت تساوي في ذلك الوقت ٧٥٠ ألف فرنك فرنسي، فتبدلت أحوالهم واستعادوا قوتهم وأصبحوا أكثر استقلالاً في أمورهم[١٣].

٦ ـ الكنيسة الروسية وكنيسة الكرج (جورجيا)

كانت نهاية حرب القرم عام ١٨٥٦ نقطة تحول في تاريخ العلاقات الروسية في الشرق الأرثوذكسي، فقد تبيّن لها أن حلمها باحتلال مركز خاص في الإمبراطورية العثمانية أصبح غير ممكن، وأن عليها أن تقبل بالتعامل مع منافسيها على مستوى أكثر تعادلاً. ونتيجة لذلك، فقد بدأ الحديث في الأوساط الروسية عن الخطوات الواجب اتخاذها تجاه الأوضاع في سوريا، وكان من أهم المنشغلين بهذه الأمور القيصر، ومتروبوليت سانت بطرسبرغ عميد الرهبان الأرثوذكس لدى البلاط القيصري، والكونت تولستوي وزير المجمع المقدس، والكونت غورشاكوف وزير الخارجية. وتبلور الموقف نحو إرسال بعثة جديدة إلى القدس، وبعد البحث وافق القيصر على تعيين المطران بوليكارب في نيسان/ أبريل ١٨٥٧. وبذلك تمّ استبعاد أوسبينسكي صاحب الخبرة في هذا المجال، إلا أن بوليكارب استقال بعد فترة قصيرة، مما جعل المجمع المقدس يتجنب أوسبينسكي مرة ثانية ويعينّ للمنصب الأرشمندريت سيريل الذي وافق عليه القيصر بعد تردد، وتم ترفيعه إلى رتبة مطران ميلتوبول قبل مغادرته روسيا لاستلام مهام منصبه في المدينة المقدسة.

عند إلقاء نظرة فاحصة على الأهداف التي كانت تتوخاها وزارة الخارجية الروسية عند موافقتها على إرسال هذه البعثة إلى سوريا والأراضي المقدسة، يتبينّ لنا

---

(١٣) نقلاً عن: منشور للبطريركية تكرم بموافاتي به الأستاذ جورج هزو في عمان.

مدى ارتباط ذلك بأهداف السياسة الروسية. فقد جاء في قرارات الخارجية: «أولاً إنه يجب أن يكون وجودنا في الشرق ليس سياسياً، وإنما بواسطة الكنيسة لأن الأتراك والأوروبيين الذين لهم بطاركة ومطارنة في المدينة المقدسة لا يمكنهم الاعتراض على ذلك. فالقدس مركز العالم ويجب أن تكون مهمتنا الأساسية هناك. وثانياً يجب مدّ يد العون والمساعدة إلى العرب الأرثوذكس، إذ إننا حتى الآن كنا ننظر إلى الكنيسة في فلسطين وسورية من خلال المنظار اليوناني، بحيث إن الرهبنة اليونانية كانت وحدها تستلم جميع المساعدات الروسية رغماً عن أن الأرثوذكس في بطريركيات أنطاكية والقدس، وبنسبة أقل الإسكندرية، هم جميعاً من العرب ولا يصلهم أي شيء من هذه المساعدات. وكذلك علينا بناء المدارس وطبع الكتب العربية في مدينة القدس. وثالثاً الإشراف الأخلاقي على الأعداد المتزايدة من الحجاج الروس عند زيارتهم لفلسطين. ورابعاً فتح مطبعة روسية في القدس»[١٤].

في الوقت نفسه، نشأت حركة أخرى يتزعمها الغرندوق قسطنطين نيقولايفتش الابن الثاني للقيصر نيقولاس الأول (١٨٢٧ ـ ١٨٩٢) الذي كان مهتماً عندها بتأسيس شركة ملاحة يكون في مقدورها نقل الأعداد الكبيرة من الحجاج الروس إلى الديار المقدسة، وبذلك يقلل من اعتمادهم على السفن النمساوية والإيطالية. وبناء على التقارير التفصيلية التي أعدّت عن هذا المشروع، فقد بادر القيصر إلى إصدار أمره في آذار/مارس سنة ١٨٥٨ بتأسيس «لجنة فلسطين»، كما عُيّن سيريل نوموف مديراً لها على أن يرافقه أوسبينسكي في زيارته الأولى للقدس. ومما يلفت النظر إلى أن المجموعة التي أسست هذه اللجنة كانت تسعى لتخليص الحجاج الروس من الاستغلال اليوناني عند وجودهم في الأراضي المقدسة، وكانت قررت أن تتولى دفع رواتب جميع الكهنة العرب في فلسطين، إلا أن هذا القرار ظل حبراً على ورق دون تنفيذ[١٥].

أما المطران سيريل، فقد وصل إلى فلسطين في مطلع عام ١٨٥٨، حيث غادر يافا إلى القدس في موكب كبير ضمّ القنصل العام الروسي في بيروت والرهبان اليونان والأرمن وجمعاً غفيراً من الحجاج الروس. وكان يسير في مقدمة الموكب عند مغادرته الرملة حرس شرف أرسله متصرف القدس، وهو مؤلف من آغا وعشرة فرسان، بحيث كان الوصول إلى المدينة تظاهرة تحفّ بها علائم النصر وتعطي لليونان الانطباع بأن هذا النجاح سيكون على حسابهم، إذ إنه سيخفض من

---

(١٤) العارف، المسيحية في القدس، ص ١٤٤.

(١٥) Hopwood, *The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843 - 1914: Church and Politics in the Near East*, p. 53.

العائدات التي كانوا يتلقونها من مساعدات الكنائس الروسية والحجاج الروس. وفي الحقيقة أن مخاوفهم كان لها ما يبررها، فابتدأ من مطلع عام ١٨٥٩ بدأت جميع هذه الأموال تحوّل إلى «الجنة فلسطين» التي تمكنت بين عاميْ ١٨٥٩ و١٨٦٤ من جمع أكثر من مليون روبل من حملتها لجمع التبرعات في روسيا، حيث جمعت ٣٠٠ ألف روبل من الكنائس في روسيا و٢٠٠ ألف من الهيئات والأفراد و٥٠٠ ألف من القيصر والحكومة الروسية. وقد استعملت هذه الأموال لشراء الأراضي التي تفاوض بشأنها الغرندوق قسطنطين أثناء زيارته الفخمة للديار المقدسة. وكانت عبارة عن أرض الميدان الواقعة شمال القدس، والتي كانت تستعمل ميداناً للعرض العسكري التقليدي للحامية التركية، بالإضافة إلى أنها كانت تشكل متنزهاً لأهل المدينة. كما تمّ شراء أربع قطع أرض قرب أسوار المدينة، بالإضافة إلى قطعة أرض صغيرة داخل الأسوار، وقطعة أرض كبيرة على جبل الزيتون. وقد أبدى الغرندوق حماساً كبيراً لهذا المشروع، وفور عودته إلى بلاده أشرف على إعداد المخططات المعمارية للبنايات التي ستنشأ في فلسطين، وبدأ العمل ولكن ببطء، إذ إن تنفيذ المشروع الضخم لم يكن قد اكتمل منه في عام ١٨٦٣ سوى دار البعثة والمستشفى. ونزل الرجال في الوقت الذي استغرق إنهاء البناء في نزل النساء والكاتدرائية سنين أخرى، وبتحقيق هذا المشروع الكبير الذي سماه أهل المدينة المسكوبية، أصبح لروسيا المجال لتحقيق غاياتها لأن تصبح سيدة الموقف وتتحرر من العلاقة مع اليونان، وكذلك البدء بتقديم خدمات أفضل للعرب والرعايا من مختلف الدول السلافية[(١٦)]، حيث أصبح يباح للحجاج الروس النزول في هذه المنازل لمدة ثمانية أشهر دون أجر أو عوض[(١٧)]. لذلك تمّ لروسيا في هذه الفترة تأسيس أول وجود قنصلي لها في القدس عام ١٨٥٨، وكان بداية عبارة عن تمثيل قنصلي لشركة البواخر، ثم عدل في ما بعد ليصبح قنصلاً عاماً، وليسكن بعد عام ١٨٦٣ في المسكوبية التي أصبحت عنوان هيبة روسيا وقوتها.

أما كنيسة الكرج، وهو التعبير العربي لكنيسة بلاد جورجيا الواقعة في جنوب منطقة القوقاز، فقد كانت ذات شأن في العصور الماضية، إذ إن الروايات تذكر أن دير المصلبة كان في الأصل للكرج، وأن بناءه قد يكون تم في عام ٣٤٢م عند زيارة الملك ماريام للقدس، بينما تذكر رواية أخرى نقلاً عن وثيقة كرجية في مكتبة دير الروم الأرثوذكس في القدس أن الدير بناه الكرج عام ١٠٣٨، وهو الآن من ممتلكات

---

(١٦) المصدر نفسه، ص ٦١.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٧٢.

دير الروم الأرثوذكس، وليس فيه أي نشاط بعد أن كان مقر مدرسة اللاهوت التي أنشأها الأرثوذكس عام ١٨٥٥[١٨]. كما أن هنالك رواية تقول بأن دير مار يعقوب، أو دير الأرمن الأرثوذكس الكبير، هو في الأصل للكرج، وانتقل إلى الروم، ثم استأجره الأرمن[١٩]، وبعدها صار لهم. وهذه الروايات هي فعلاً عنوان الحقيقة التاريخية بأن بلاد الكرج عانت كثيراً من هجمات الفرس في القرن السابع عشر، مما أدى إلى انقطاع المعونات المرسلة إلى الأديرة في فلسطين، وبذلك وقع الرهبان الكرج تحت طائلة الديون الباهظة، فلم يجدوا سبيلاً سوى مغادرة البلاد والعودة إلى أوطانهم. وعندها تمكّن الروم اليونان بعد تسديد الديون من الاستيلاء على هذه الأوقاف[٢٠].

ثانياً: الكنائس الغربية

١ ـ البطريركية اللاتينية

كان أول بطريرك للمدينة المقدسة هو المونسنيور جيوسبي فاليرجا الذي باشر جميع الترتيبات لإنشاء البطريركية اللاتينية في القدس خلال كانون الثاني/ يناير عام ١٨٤٨. وأثناء رئاسته للبطريركية التي انتهت عام ١٨٧٢ تمكّن من إنجاز الكثير بالنسبة إلى الكنيسة اللاتينية من خلال عمله الرعوي وتأسيس المراكز في فلسطين وشرقي الأردن. وفي هذه المناسبة يجب أن يذكر أن علاقات اللاتين بالدولة العثمانية كانت قد قويت عام ١٥٣٥ عندما عقدت معاهدة بينها وبين الدولة الفرنسية، أيّدت حقوق اللاتين في القدس، وأقرت لهم حقوق الزيارة والمكوث، حتى سنة ١٧٤٠ عندما عقدت معاهدة ثانية منح اللاتين بموجبها حقوقاً أساسية في الأماكن المقدسة، مثل حق التجول وتأسيس الكنائس والأديرة. وقد اعتبرت فرنسا بموجب هذه المعاهدة «حامية المسيحية في الشرق الأدنى»[٢١]. والأرجح أن هذه الفترة هي تلك التي أصبحت فيها الكنيسة اللاتينية تنازع الكنيسة الأرثوذكسية في كل ما يتعلق بالأماكن المقدسة في فلسطين.

عند مجيئه إلى القدس عام ١٨٤٨ بعد تعيينه من قبل البابا بيوس التاسع عشر،

---

(١٨) انظر: شحادة خوري ونقولا خوري، خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥)، وط ٢ (عمان: [د. ن.]، ١٩٩٢)، ص٢٠٠، والعارف، المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(١٩) العارف، المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٢٠) العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٥٣٣.

(٢١) العارف، المسيحية في القدس، ص ٤٨.

وجد البطريرك فاليرجا أنه لم يكن هنالك في أرجاء البطريركية التي ترأسها أكثر من ٤٠٠٠ نفس من اللاتين يعيش منهم في القدس حوالى التسعمائة نفس. وقد استغرب لدى وصوله أن رعيته كانت منقسمة على نفسها، فئة منهم تؤيد البابا ومبعوثه البطريرك الجديد، وفئة تعضد الآباء الفرنسيسكان حراس الأماكن المقدسة، وهم الذين كان البابا غريغوريوس التاسع عهد إليهم بخدمة كنيسة القيامة عام ١٢٣٦. فراح البطريرك لتقوية موقفه يحث الرهبان الأوروبيين للمجيء إلى الأراضي المقدسة[٢٢]، فتوافدوا وازدادت أعدادهم بشكل مكّن البطريرك من تقوية مركزه وتقديم الخدمات الرعوية إلى التجمعات اللاتينية بشكل أفضل في مناطق الناصرة ونابلس والقدس وبيت لحم ويافا واللد والرملة في فلسطين ومناطق الحصن وعجلون والسلط في شرقي الأردن[٢٣].

تعدّ أوقاف اللاتين في القدس كثيرة، وقد رأينا من المفيد لهذا البحث أن نثبت في فصل لاحق قائمة كانت البطريركية اللاتينية قد أصدرتها عام ١٩٨٤ لتعداد هذه الممتلكات، إلا أنه يجدر بنا أن نذكر أن اللاتين هم إحدى الفئات التي لها حقوق بموجب فرمانات الستاتيكو، وأنه علاوة على حقوقهم في كنيسة القيامة وكنيسة العذراء مريم في الجثمانية وكنيسة الصعود على جبل الزيتون، فإن لهم دير المخلص المعروف بدير اللاتين الواقع في حارة النصارى، وقد ابتاعوه من الكرج عام ١٥٥٩[٢٤]، وفيه مكتبة ومدرسة وكنيسة وميتم وصيدلية ومطبعة وفرن ومطحنة وعدة معامل، بالإضافة إلى خزانات المياه التي كان مخزونها من الماء يشكل عنصراً من أهم عناصر الحياة في القدس. ولهم كذلك الكازانوفا المخصصة لنزول الحجاج قرب الباب الجديد، ودار البطريركية بجانبها، وكنيسة الجثمانية، وهي كنيسة على مستوى عال من الجمال والروعة بنيت سنة ١٩٢٤ بتبرعات من قبل اللاتين في أنحاء العالم، وهي في الموقع الذي يقال إنه ألقي القبض على السيد المسيح فيه من قبل رئيس الكهنة اليهودي والحبر الروماني بتواطؤ من يهوذا الاسخريوطي، وكذلك عدد كبير من الأديرة التي أسستها الرهبنات المختلفة للرهبان والراهبات على مرّ السنين، والهوسبيس النمساوي الذي كان قد بني عام ١٧٥٦ وأصبح المستشفى الوحيد داخل أسوار المدينة القديمة بعد حرب ١٩٤٨.

---

(٢٢) Allessandro Possetto, *Il Patriarcato Latino di Gerusaleme (1848 - 1938)* (Milano: El Cura di Crociata, 1938), p. 30.

(٢٣) العارف، المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٢٤) بيير دوفجنوي، المونسنيور جوزيف فاليرجا بطريرك اللاتين في القدس (القدس: مطبعة دير اللاتين، ١٩٧٢)، ص ٩٨.

على رغم الصعوبات التي واجهت البطريرك فاليرجا عند استلامه مهام منصبه، يذكر تاريخ البطريركية الفضل له في إنشاء معهد اللاهوت في القدس الذي بدأ التعليم فيه قبل نهاية ١٨٥٢ في بيت قريب من منزل البطريرك، بعد أن حصل عليه من حراسة الأماكن المقدسة في نهاية عام ١٨٥١. ومن الجدير بالذكر أن جو الانفتاح الذي سيطر على التعلم في هذا المعهد كان مخالفاً تماماً للجو الذي كان يفرضه الرهبان اليونان على التعليم الأرثوذكسي، والذي كان يميّز عنصرياً ضد أبناء العرب، حتى بعد أن تم فتح مدرسة المصلبة التي ذكرت سابقاً، وقد افتتحها عام ١٨٥٥ البطريرك الأرثوذكسي في محاولة لمنافسة اللاتين في هذا المضمار. وتظهر قائمة بأسماء الطلبة الذين التحقوا بالمعهد خلال السنوات ١٨٥٢ ـ ١٨٥٦ أن معظمهم تقريباً كانوا من العرب، مثل أنطون ديخه وسيمون اسحق وأنطون مرقص وأنطون قيصر من القدس، ويوسف طنوس وحنا سارينا وأنطون رزق من الناصرة، وحنا مرتا من بيت جالا، بالإضافة إلى خمسة شبان من قبرص، بينهم بعض العرب، مثل اميل زخريا، والمستعربين مثل شارل كاتوني، والموارنة مثل أنطون بارتيلا[٢٥].

هذه الفترة من تاريخ اللاتين في القدس كانت فترة حافلة بالنشاط التعليمي والاجتماعي، فبالإضافة إلى الرهبان الفرنسيسكان والكرمليين الذين كانوا في الأراضي المقدسة منذ أكثر من مائتي سنة، بدأ نشاط راهبات مار يوسف سنة ١٨٤٨، وراهبات صهيون سنة ١٨٥٦، وراهبات الكرمل سنة ١٨٥٣، ورهبان صهيون سنة ١٨٧٣، ورهبان الفرير سنة ١٨٧٦، والآباء البيض سنة ١٨٧٨، ورهبان مار يوسف، وآباء القلب المقدس سنة ١٨٧٩[٢٦].

٢ ـ مطرانية الروم الكاثوليك

هذه الأبرشية أنشئت في القدس عام ١٨٤٨، وتقع في حارة الموارنة وفيها كنيسة باسم بشارة العذراء، ونزل للزائرين، ويقيم فيها النائب البطريركي في القدس. وقد ذكر عارف العارف أن عدد الروم الكاثوليك الذين يدعون بالملكيين في مدينة القدس كان حوالى الثمانمائة نفس عام ١٩٤٥، بينما كان يزيد على الثلاثين ألفاً في فلسطين كلها[٢٧].

---

(٢٥) العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٥٣١.
(٢٦) المصدر نفسه، ص ٥٣٠.
(٢٧) بيير ميديبل، معهد البطريركية اللاتينية اللاهوتي في القدس (القدس: مطبعة دير اللاتين، ١٩٥٢)، ص ١٢و٦٧.

أما أملاكهم الأخرى في القدس، فلا تزيد على دار القديسة فيرونيكا، وهي الواقعة عند المرحلة السادسة من درب الآلام، وكانوا قد ابتاعوها بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة فرنسية ذهباً ربما عام ١٨٧٩ من عبد الرحمن حدوته العلم، حيث قاموا بموجب فرمان سلطاني صادر بتاريخ ٧ تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٨٩٤ بإنشاء كنيسة فيها. كما أن لهم كنيسة القديسة حنة الواقعة بين باب حطه وباب ستنا مريم إلى الشمال من الحرم، وهي المكان الذي تقول الروايات إنه كان موقع مسكن يواكيم وحنة والدي مريم البتول. وكانت جمعية الأباء البيض من الرهبان الذين نزلوا القدس عام ١٨٧٨ قد اشتروا أرضاً واسعة مجاورة لها وأنشأوا عليها مسكناً ومدرسة، حيث زارهم فيها بطريرك الروم الكاثوليك عام ١٨٨٠ وتمنى أن تكون كلية اكليركية للروم الكاثوليك في البلاد المقدسة. وبعد اتصالات مع البابا لاون الثالث عشر، تحوّلت إلى الكلية التي كان يحتاج إليها الروم الكاثوليك وتخرّج فيها على مر السنين عدد كبير من الأساقفة ورجال الكهنوت العرب. وقد نقلت نتيجة الحوادث عام ١٩٤٧ وقرار التقسيم إلى مدينة حمص(٢٨).

٣ ــ مطرانية الأرمن الكاثوليك

انفصلت هذه المجموعة عن كنيسة الأرمن الأرثوذكس بعد الانشقاق الذي تمّ بين الروم الكاثوليك والروم الأرثوذكس في مطلع القرن الثامن عشر، وأسست لنفسها وجوداً في القدس عن طريق إنشاء دار للبطريركية وكنيسة اسمها «أوجاع العذراء» عام ١٨٨٦ في حارة الواد عند المرحلتين الثالثة والرابعة من درب الآلام. وقد سمح لهم بذلك بأمر صدر عن الأستانة إلى متصرف القدس شريطة أن يتركوا خمسة أمتار لتكون طريقاً بين دارهم وبين زوايا القادرية والنقشبندية التي تبعد ستين ذراعاً عن الحرم، وأن لا تزيد مساحة الكنيسة على الخمسة والعشرين متراً ونصف المتر في الطول، وعشرة أمتار ونصف المتر في العرض، وثلاثة عشر متراً ارتفاع، كما سمح لهم بإنشاء ٢٢ غرفة للزوار وإسطبل مناسب لحاجات النائب البطريركي، والدار، علماً بأن عدد الأرمن الكاثوليك في ذلك الزمن ما كان ليزيد على الاثنين والعشرين نفساً مكوّنة من أربع عائلات(٢٩).

٤ ــ مطرانية السريان الكاثوليك

تفرع السريان الكاثوليك من السريان الأرثوذكس، وفي سنة ١٨٧٢ اشتد

---

(٢٨) العارف، المصدر نفسه، ص ٥٣١ و٥٣٢.

(٢٩) العارف، المسيحية في القدس، ص ٦٠.

ساعدهم بعد أن اتبعوا مذهب الكنيسة الرومانية اللاتينية في روما. وقد أنشئت لهم رئاسة مستقلة يرأسها بطريرك تخضع له المطرانيات في سورية ولبنان والعراق ومصر وفلسطين والأردن. وكان عددهم في عام ١٩٤٥ لا يزيد على الأربعمائة نسمة(٣٠)، يرأسهم النائب البطريركي في المدينة المقدسة.

أغلب أوقاف السريان الكاثوليك حديثة، فالدير والكنيسة يقعان على الطريق بين كنيسة النوتردام وباب العمود، وأنشئا عام ١٩٠١، ولهم كذلك دير مار مبارك الذي يسمونه أيضاً دير القديس بندكتوس، وهو يقع على رأس جبل إلى الشرق من قرية سلوان، وقد أنشئ عام ١٩٠٣ بعد أن أشتريت قطعة الأرض له البالغة مساحتها ٢٥ دونماً من أهالي سلوان قبل ذلك بثلاث سنوات. وفي الدير مدرسة اكليركية يديرها الرهبان البندكتيون(٣١)، وقد قامت المطرانية في القدس بدراسة الفرمانات والأوامر والبراءات في سجلات المحكمة الشرعية الإسلامية التي ظهر نتيجتها أنهم كانوا طائفة معتبرة أيام حكم المماليك في القرن الخامس عشر.

٥ ـ مطرانية الموارنة

الوجود الماروني في القدس قديم، إلا أنه على ما يظهر ضعف بعد حروب الفرنجة، ولكن وجودهم تجدّد عندما حضر المطران الياس الحويك موفداً من قبل بطريرك الموارنة في لبنان عام ١٨٩٣ مجمعاً قربانياً برئاسة الكاردينال لارنجيه، وقام بعدها بسنتين بزيارة القدس وشراء قطعة من الأرض من قنصل دولة ألمانيا وبنى عليها كنيسة وداراً للبطريركية المارونية أصبحت تعرف ببطركخانه الموارنة، وتقوم بالإشراف على شؤون الموارنة الذين لم يكن يزيد عددهم في عام ١٩٤٨ على الخمسمائة شخص(٣٢)، وقد هبط في عام ١٩٥٠ إلى ما يقارب الستين نسمة فقط. ومن الجدير بالذكر أن المطران الياس الحويك لم تطل إقامته في القدس، فقد استدعي في عام ١٨٩٦ للعودة إلى لبنان، حيث انتخب بطريركاً للموارنة في عام ١٨٩٩.

٦ ـ مطرانية البروتستانت

تكمن أهمية هذه المطرانية في أنها كانت مرتبطة بالدولة العظمى بريطانيا خلال القرن التاسع عشر، ورغماً عن كونها بدأت نتيجة تعاون مشترك مع بروسيا، فان

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٦٨.
(٣١) المصدر نفسه، ص ١١٢.
(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

بريطانيا كان لها الدور الأكبر في تأسيس المطرانية وفي تقويتها، بحيث أصبحت على درجة من الأهمية تفوق بكثير أهمية عدد المسيحيين الذين أصبحوا أعضاء في كنائسها الإنجيلية واللوثرية على حدّ سواء. وقد كنا ذكرنا في بداية الفصل الثالث بداية النشاط التبشيري، وكيف أن السلطان العثماني رفض إصدار فرمان لبناء كنيسة بروتستانتية في القدس، إلا أنه سمح بإقامة قنصلية بريطانية في تموز/ يوليو ١٨٣٨. وقد تطورت الأمور بعد صدور التنظيمات عام ١٨٣٩، فقد قام البرلمان البريطاني بإصدار مرسوم تحت اسم «مرسوم مطرانية القدس» خلال تشرين الأول/ أكتوبر ١٨٤١ بعد أن كان قد حصل اتفاق على تأسيسها بين بريطانيا وبروسيا، وقد عينّ مطراناً لها مايكل سولومون ألكساندر اليهودي الأصل الذي كان قد عمد في كنيسة بليموث في ٢٢ حزيران/ يونيو ١٨٢٥[٣٣].

وصل المطران ألكساندر إلى القدس عن طريق بيروت، فيافا، فالرملة، حيث أدهشه كرم الضيافة العربية في بيت مرقس عبود الذي كان يشغل منصب قنصل أمريكا. ورغم المؤازرة التي لقيها من السلك القنصلي البريطاني فقد قاومه الفرنسيون والكنائس التي كانت تحت الحماية الفرنسية، وخصوصاً اليسوعيين، كما أنه لقي مقاومة من اليهود، وهو الذي كانت مهمته الأساسية تنصيرهم. أما بالنسبة إلى الروم الأرثوذكس، فعلى رغم أن العلاقات كانت ودّية معهم، بحيث إنه نزل لفترة أشهر في ضيافتهم في دير المصلّبة، فلا شك في أن افتتاح المطرانية هذه وازدياد النشاط التبشيري كان من الأسباب القوية التي دفعت بالبطريرك كيرللس إلى العودة من القسطنطينية والإقامة بشكل دائم في البطريركية الأرثوذكسية في المدينة المقدسة. كما أن ويلهلم الرابع ملك بروسيا الذي كان يتابع في هذا الوقت أخبار المطرانية بسرور، عيّن لبلده قنصلاً في القدس عام ١٨٤٣ في العام نفسه الذي قامت فيه فرنسا أيضاً بتعيين قنصل لها في المدينة المقدسة. ومن الجدير بالذكر أن المطران ألكسندر الذي توفي في عام ١٨٤٥ كانت ثمرة أتعابه تنصير ٣٩ يهودياً، بحيث أصبح عدد البروتستانت في القدس تلك السنة حوالى الستين شخصاً، بينهم واحد وعشرون من المرسلين[٣٤].

كانت الملكة فكتوريا هي التي عيّنت المطران ألكساندر بموجب اتفاق التناوب المعقود بين بريطانيا وبروسيا عند تأسيس المطرانية، ولذا قام ملك بروسيا بتعيين خلفه المطران صموئيل جوبات الذي وصل إلى القدس يوم ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر سنة

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٢١.
(٣٤) المصدر نفسه، ص ١٤٨و١٥٠.

١٨٤٦، واختط لنفسه طريقاً مختلفاً عن سلفه، حيث نال اليهود قسطاً ضئيلاً من اهتمامه، ووجّه جهوده نحو المسيحيين الشرقيين عن طريق مدارس للعرب المسيحيين. وكانت أول مدرسة فتحها هي المدرسة المطرانية الداخلية للبنين التي أصبحت تعرف في ما بعد بمدرسة المطران جوبات، ثم مدرسة صهيون. كما أنه فتح عام ١٨٤٧ مدرسة يومية لأبناء القدس، وقوى علاقته مع جمعية المرسلين الكنسية (C.M.S)[٣٥] التي أصبح لها بعد ذلك نشاط قوي في حقل الخدمات الكنسية والاجتماعية، وخصوصاً التعليم، بحيث افتتحت فروعاً لها في كل من القدس والناصرة وحيفا ويافا ونابلس. وبلغ عدد المدارس البروتستانتية في البلاد عام ١٨٨٢، أي بعد ثلاث سنوات من وفاة المطران جوبات، خمساً وثلاثين مدرسة للبنين والبنات كانت تضم ١٦٣٥ تلميذاً وتلميذة[٣٦]، وهو مؤشر قوي على الاهتمام الذي كانت بريطانيا توليه لهذه المنطقة، قبل أن يتطور إلى اهتمام أشد بعد أن أصبح الاحتلال البريطاني لمصر في نهاية ذلك العام حقيقة واقعة.

الظاهر أن نشاط المطران قد أثار الفئات المختلفة في القدس، وأدى إلى احتجاجها، بحيث لجأ القنصل البريطاني فن إلى إصدار أمر يمنع المطران من الخروج من القدس، إلا أن وزير الخارجية في لندن عند سماعه بذلك، كتب إلى القنصل بتاريخ ٢٨ نيسان/ أبريل ١٨٥٩ محذراً إياه بأنه مضطر إذا استمرت الشكاوي إلى أن يرفع توصياته بعزل القنصل من منصبه[٣٧]. وبذلك تمكّن المطران جوبات من الاستمرار بنشاط في عمله حتى وفاته عام ١٨٧٩.

٦ ـ مجمع الطائفة الإنجيلية الأسقفية العربية

كانت جمعية المرسلين الكنسية (CMS) في فلسطين وشرقي الأردن قد تأسست في أواخر القرن الثامن عشر في لندن، وكان هدفها مناقشة جميع المواضيع الكنسية، ومنها موضوع البعثات التبشيرية. وفي عهد المطران جوبات برز توجّه خاص نحو المسيحيين العرب في الكنائس الشرقية، فتمّ تسليم هذه المهمة إلى جمعية المرسلين الكنسية التي سلمت بدورها للكنيسة الوطنية، والتي صارت رئاسة مجمعها لقس وطني من أهل البلاد. ويعود الفضل في هذا التحول إلى أفكار القس جون فن الذي

---

(٣٥) رفيق فرح، تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس ١٨٤١ ـ ١٩٩١ (القدس: [د. ن.]، ١٩٩٥)، ج ١، ص ٩٨.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١١٩.

تمسك بالمبدأ الكنسي الذي يعطي العلمانيين دوراً مهماً، بحيث تنحصر السيطرة في إدارة الكنيسة ومشاريعها في أيدي المطارنة والقساوسة المرسومين، انطلاقاً من القواعد الأساسية الثلاث بالنسبة إلى الكنائس الوطنية، وهي الاستقلال المالي، والحكم الذاتي، والتوسع الذاتي، بينما تنحصر مهمة الجمعية في تشجيع الكنائس الوطنية على تحمل مسؤولياتها، حتى إذا تمكنت من ذلك تنسحب الجمعية من حقل تلك الكنيسة الوطنية[٣٨]، وهو مبدأ مهم لم تتمكن كنيسة اللاتين من استيعابه إلا في عام ١٩٨٨، عندما نصّب البطريرك ميشيل صباح بطريركاً للاتين، بينما لا تزال البطريركية الأرثوذكسية تعاني معاناة شديدة من استفراد اليونان بالمناصب فيها، وعدم وجود الوعي الصحيح لأهمية مشاركة الوطنيين في إدارة وخدمة كنائسهم بأنفسهم.

وعندما اشتد ساعد هذه الكنيسة، باشرت بناء كنيسة القديس بولس خارج السور، في الشارع الذي يتفرع منه شارع ملكة الحبشة بجوار أرض المسكوب، ثمّ تدشين الكنيسة عام ١٨٧٤ التي أوقف لها البروتستانتي عودة عزام، وهو أصلاً من الناصرة، جميع أملاكه الواقعة داخل باب العمود، ومقابل جامع الخانقاه، وفي شارع ملكة الحبشة[٣٩]، بينما كان موسى طنوس البروتستانتي وترجمان القنصل البريطاني في القدس هو الذي وهب قطعة الأرض التي بنيت عليها الكنيسة[٤٠]. وفي عام ١٨٨٣ راحت الطائفة تفكر بتنظيم مجمع وطني يشرف على الشؤون الدينية والاجتماعية في القدس وبقية مدن فلسطين وشرقي الأردن، وذلك بالاشتراك مع جمعية المرسلين الكنسية. أما عدد البروتستانت يوم تدشين كنيسة مار بولس، فلم يكن يزيد على ١٣٦ عضواً، بينهم قبطيان، والبقية من الذين كانوا سابقاً أعضاء في الكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة الروم الكاثوليك[٤١].

٧ ـ الإرساليات الألمانية

كان الوجود الألماني في الأراضي المقدسة قبل الاتفاق الذي تم في ٦ أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٤١، بين فريدريك ملك بروسيا، ورئيس أساقفة كنتربري، محصوراً في زيارات متباعدة. وفي عام ١٨٥٣ تأسست «جمعية بيت المقدس» في القدس مع

(٣٨) أ. ل. طيباوي، المصالح البريطانية في فلسطين، ١٨٠٠ ـ ١٩٠١([د. م.]: مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦١)، ص ١٣٧.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

(٤٠) فرح، المصدر نفسه، ص ١١٥ و١٥٠.

(٤١) العارف، المسيحية في القدس، ص ١٧١.

مراكز في أماكن عديدة من فلسطين. وظلت الأمور على هذا المنوال حتى عام ١٩٠٩ عندما قام مجمع لوثري عربي، بحيث أصبح القساوسة العرب التابعون للاتحاد الإنجيلي الألماني في القدس يقيمون الصلاة الخاصة بهم في كنيسة المارستان في الدباغة، حيث أسس لهم القائمون على شؤون دار الأيتام السورية مدرسة ابتدائية (مدرسة شنللر) (٤٢).

ومن الضروري أن نذكر هنا دار الأيتام السورية نظراً للخدمات الكبيرة التي قامت بها في فلسطين، وبعد حرب ١٩٤٨ في الأردن أيضاً. فقد أقامها القس يوحنا لودفيغ شنللر بتاريخ ١١/ ١١/ ١٨٦٠ اعتماداً على المساعدات التي كانت ترسل إليها من ألمانيا. وعند وفاته عام ١٨٩٧ تولى شؤون إدارتها ابنه، وكان طلابها من الفتيان والفتيات الأيتام، واشتهرت بتعليم الصناعات كالنجارة والحدادة والخياطة والطباعة وصنع الخزف والفخار وشغل الأحذية والموسيقى (٤٣). وقد اضطرت إلى إيقاف الكثير من أعمالها في فلسطين بعد عام ١٩٤٨ بسبب المضايقات اليهودية، ونقلت جانباً كبيراً من نشاطها إلى عمان، حيث أصبحت مؤسسة متشعبة الخدمات في منطقة ماركا شمال عمان، خصوصاً بعد أن قامت بتقديم كل إمكانياتها لمساعدة سكان مخيم حطّين الذين سكنوا في الموقع بعد حرب ١٩٦٧.

وقد كان للألمان فخر تأسيس أحد أكبر المستشفيات الذي عرف باسم المستشفى الألماني في القدس القديمة داخل الأسوار، وكان تأسيسه عام ١٨٥١، وتبرع بجزء من نفقاته ملك بروسيا ووزارة الأديان في برلين، كما كانت لهم مدرسة «طاليثا قومي»، وهي ميتم للبنات أدى خدمات كثيرة لسكان فلسطين، مثله في ذلك مثل بقية المؤسسات الألمانية التي كان ولا يزال من أبرزها نزل أوغستا فكتوريا الذي يسميه العرب «المطلع» بعد أن تحوّرت الكلمة من كلمة «أم الطلعة». ولتسميته قصة طريفة، فقد بدأ بناؤه سنة ١٩٠٥ بتبرعات جمعت من ألمانيا بعد الزيارة التي قام بها الإمبراطور ويلهلم الثاني ترافقه قرينته الإمبراطورة أوغستا فكتوريا. وقد تم إهداؤه عند انتهاء بنائه عام ١٩١٠ إلى الإمبراطور والإمبراطورة تذكاراً لعيد زواجهما الفضي. وحضر حفل التدشين الابن الثاني للقيصر الأمير إيتل والأميرة قرينته. وهذا المستشفى الكبير ما زال يمارس نشاطه في تقديم الخدمات الصحية للسكان العرب بإدارة الاتحاد اللوثري، وبأموال تقدمها هيئة الأمم المتحدة عن طريق وكالة غوث وتشغيل اللاجئين.

---

(٤٢) فرح، تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس، ١٨٤١ ـ ١٩٩١، ص ١٨٣.
(٤٣) العارف، المصدر نفسه، ص ١٧٢.

هنالك بالإضافة إلى هذه المؤسسات كنائس وأديرة ومدارس ونزل ومدرسة للآثار، ومن أهمها كلية شميدت للبنات التي تأسست عام ١٨٨٦ من قبل «الجمعية الألمانية الكاثوليكية للأرض المقدسة»، وغايتها تعليم البنات العربيات وتدريبهن في الشؤون المنزلية حتى مستوى الثانوي العالي. وكان عدد التلميذات في المدرسة عام ١٩٤٥ يتجاوز الأربعمائة والخمسين طالبة، يعيش عدد منهن بحدود السبعين طالبة في القسم الداخلي[٤٤].

(٤٤) فرح، المصدر نفسه، ص ١٩٢.

الفصل الخامس

حكم السلطان عبد الحميد الثاني
واشتداد المنافسة بين الطوائف

انتهى حكم السلطان عبد العزيز الذي اعتلى العرش سنة ١٨٦١ بخلعه في ١٠ أيار/ مايو ١٨٧٦ واستبداله بابن أخ له مصاب بداء الصرع، هو مراد الخامس. وبعد ثلاثة أشهر، خلع مراد بدوره عن العرش، واستبدل بشقيقه الأصغر عبد الحميد الثاني الذي نودي به سلطاناً في ٣١ آب/ أغسطس سنة ١٨٧٦. فبدأ عهده بالتظاهر بالطيبة وحسن النيات، بينما كان في الحقيقة ماكراً، وله قدرة كبيرة على إخفاء مآربه الحقيقية[١]. وتنفيذاً لخطته منح الشعب بتأثير مدحت باشا دستوراً في ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر من السنة نفسها، «في نفس اليوم الذي كان يجتمع فيه في الأستانة ممثلو الدول الكبرى في مؤتمر عام لتسوية حالة مسيحيي الدولة بكيفية ثابتة منعاً لحصول الحرب بينها وبين روسيا التي كانت تسارع في جمع جيوشها والاستعداد للحرب»[٢]. وبهذه الحيلة الرائعة تمكن السلطان الجديد من تفويت الفرصة على الدول الأوروبية، وبدأ عهده بداية جيدة رفعت من مستوى المحبة والثقة بين الرعية إلى درجة أن وكيل بطريرك الأرمن وحاخام اليهود كانا من أشد المعارضين لاقتراحات المؤتمر لحماية المسيحيين، حيث أعلنا أن جميع أبناء طائفتيهما مستعدون للدفاع عن شرف الدولة العلية واستقلالها استعداد المسلمين لذلك، إذ الكل صاروا عثمانيين متساوين أمام القانون طبقاً للقانون الأساسي، بينما كان أهالي المجر مع بقائهم أجيالاً تابعين للسلطنة العثمانية، أشد الأمم إخلاصا للدولة العلية[٣].

أما في البلدان العربية، فقد رحّب السكان بالدستور الجديد وبتعيين مدحت باشا صدراً أعظم (رئيس الوزراء)، وكذلك بالنظام الإداري الجديد على بلاد الشام الذي أصبحت بموجبه القدس سنجقاً ذا كيان إداري متميز. وفي سنة ١٨٧٧ تمّ انتخاب يوسف ضيا باشا الخالدي عضواً في مجلس المبعوثان الذي كانت مهامه أن ينفذ تأكيدات السلطان لرعاياه في الدستور بأنه لن يفرق بين دين ودين ولا بين إنسان

(١) جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تقديم نبيه أمين فارس؛ ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢)، ص ٢٧٨.
(٢) محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٩٠٨، ط ٣ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧)، ص ٣٤٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٧.

وإنسان، فالكل سواء تجاه القانون، إلا أن هذه الآمال تبدّدت حين قام السلطان بعد ذلك بسنتين بتعطيل الدستور وإغلاق مجلس المبعوثان. وأخذ يدير البلاد وفق إرادته الشخصية غير حاسب للأمة حساباً، فأصبحت الحالة في فلسطين بوجه عام، وفي القدس بشكل خاص، تسير من سيىء إلى أسوأ من جميع النواحي الزراعية والاقتصادية والإدارية(٤).

في هذه الأثناء كانت الأمور تتمخض عن تطورات مهمة بالنسبة إلى الأرثوذكس في المدينة المقدسة، وفي أرجاء البطريركية الأرثوذكسية المقدسية بوجه عام، وهو ما كان له أثر واضح في حياة السكان في القدس نظراً لأهمية البطريركية ورعيتها في حياة القدس اليومية. وقد بدأت الخلافات بين الأرثوذكس العرب ورهبان البطريركية اليونان بالتصاعد عندما عقدت كنيسة القسطنطينية مجمعاً مكانياً أو إقليمياً حضره البطاركة اليونان الأربعة في القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية والقدس عام ١٨٧٢ قرروا فيه اعتبار انسلاخ البلغار عن كنيسة القسطنطينية واستقلالهم في إدارة شؤونهم الكنسية بدعة، ونسبوا إليهم الهرطقة وأوجبوا الحرم على رؤساء أساقفة البلغار. فشذّ بطريرك القدس كيرللس عن هذا التوجّه، ولم يوافق البطاركة الثلاثة على رأيهم. فلما ألحوا عليه، اعتذر بأن الموضوع على جانب كبير من الأهمية، وأنه مضطر إلى الرجوع إلى القدس لاستقبال الغرندوق الروسي نقولا الذي كان متوجهاً لزيارة الأماكن المقدسة، وأنه لذلك سيبحث الأمر مع المجمع المقدس عند رجوعه، ويخبر البطاركة بما يتم إقراره. ويقال إنه كان قد تعرض أثناء وجوده في القسطنطينية لتهديد من الكونت أغناتيف سفير روسيا فيها بأنه إذا لم يقف هذا الموقف فستقوم روسيا بقطع واردات أملاك وأوقاف البطريركية المقدسية في بساربيا، بحيث يتوقف تحويل أية أموال إلى القدس(٥).

عند وصول البطريرك كيرللس إلى القدس، وجد أن أخوية القبر المقدس كانت قد عقدت اجتماعاً قررت فيه الاعتراف بقانونية مجمع القطسطنطينية وتنزيل البطريرك عن سدّة البطريركية لأنه لم يوافق على أعمال مؤتمر القسطنطينية وتنفيذ قرارهم بقطع كل علاقة كنائسية وإدارية معه. فثارت عندها ثائرة الأرثوذكس الوطنيين وانتصروا

(٤) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس (القدس: مكتبة الأندلس، ١٩٦١)، ص ٢٩٧.

(٥) انظر: شحادة خوري ونقولا خوري، خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥)، ص ٢٠٦؛ خليل ابراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، هذب لغته ناصر عيسى الراصي (القاهرة: مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٢٤)، ص ١٧٦، وأنطوان برترام و ج. و. أ. ينغ، تقرير اللجنة ـ بطريركية أورشليم الأرثوذكسية، ترجمة وديع البستاني (القدس: [د. ن.]، ١٩٢٥)، ص ٧٣.

للبطريرك بدعوى أن الأخوية، وهي فئة قليلة، لا يحق لها أن تستقل في عزل البطريرك، وقد نادوا به بطريركاً شرعياً للكرسي الأورشليمي، وساعدهم قنصل دولة روسيا على تأييده بإيعاز من دولته. فتدخلت الحكومة المحلية في الأمر وعبأت الأديرة بالجنود المسلمين لمقاومة الرهبان الذين لا يعترفون للبطريرك بحق بقائه على الكرسي بطريركاً قانونياً، كما هو في نظر الحكومة والشعب. وهنا أرسل الرهبان اليونان وفداً إلى الأستانة لمطالبة الحكومة العثمانية بالمصادقة على عزله على اعتبار أنه يميل إلى روسيا عدوة الدولة ويأتمر بأمرها ويتلقى المعونات منها، كما أنه يرغب في منحها امتيازات في كنيسة القيامة ويثبّت أقدامها في البلاد. وكان الأتراك بسبب العداوة المتأصلة والحروب المستمرة على استعداد لتصديق مثل هذه الأقوال عن روسيا، فنقمت على البطريرك وأقرت عزله، وأمرت نظيف باشا متصرف القدس أن يرسله محفوظاً إلى الأستانة، فسافر إلى يافا في ٦ كانون الأول/ ديسمبر ١٨٧٢، وقد نصبت أخوية القبر المقدس بروكوبيوس مطران غزة بطريركاً، ولم يكن أهلاً لهذه الوظيفة، فأغلق المدارس الابتدائية والمستشفى. فهبّ الأرثوذكس لمقاومته، فتألفت منهم الجمعية الأرثوذكسية الوطنية عام ١٨٧٣، وذهب وفد لها إلى الأستانة للاحتجاج على هذه الأعمال، بينما أظهر الأرثوذكس في البلاد اتحاداً عظيماً وإقداماً وجرأة، إذ قطعوا كل علاقة بالرهبان اليونان، واستولوا على الكثير من الأديرة، وأبطلوا الصلاة في كنيسة مار يعقوب، لكي لا يكون لهم أي اتصال مع الرهبان اليونان الموجودين في كنيسة القيامة، كما قاموا بالطلب إلى الحكومة الروسية أن تعطيهم جانباً من واردات الأوقاف في بساربيا لكي يتمكنوا من مقاومة الرهبان الذين ينفقون الأموال الطائلة لأجل تثبيت مراكزهم، بينما الوطنيون لا يملكون من المال ما يساعدهم على المطالبة بحقوقهم المغتصبة وتبنّيها. ولكن هذه المحاولات لم تفلح، إذ إن كل ما قامت به الحكومة الروسية هو تخصيص عشرة آلاف روبل تدفع سنوياً إلى البطريرك كيرللس الذي أنزل عن الكرسي البطريركي.

يلاحظ من متابعة هذه التطورات أن الصراع الذي كان دائراً بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية يصبّ بدوره في تأجيج نار الخلافات بين الأرثوذكس العرب والرهبان اليونان في أخوية القبر المقدس. وقد تمكّن الرهبان اليونان بدهائهم وكثرة الأموال الموجودة تحت تصرفهم من كسب الجولة، كما سيحصل في جولات لاحقة لهم. ويذكر خليل ابراهيم قزاقيا في كتابه **تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية** أن الرهبان الخبراء بطرق الحيل وأساليب المداخلات تمكنوا ببذل الأموال الطائلة من اكتساب مساعدة متصرف القدس كامل باشا، وبالواسطة نفسها وغيرها تمكنوا في الأستانة من النجاح بإقناع الدولة بإصدار القانون المعروف بـ «قانون البطريركية

الأورشليمية» الذي أقرّ في أيام متصرفية كامل باشا في القدس في آذار/ مارس سنة ١٨٧٥، الا أن الوفد الأرثوذكسي العربي أفلح جزئياً في نقل وجهة النظر العربية إلى الحكومة العثمانية، فقامت في السنة نفسها بعزل البطريرك بروكوبيوس الذي لم تطل مدته على الكرسي أكثر من سنتين(٦). وقد كان من الواضح أن السرعة التي لجأت إليها الدولة في إعلان قانون البطريركية كانت تعود إلى تخوفها من التدخلات الروسية في قضايا الأرثوذكس وخصوصاً أن روسيا القيصرية كانت تعلن باستمرار أنها الحامية للأرثوذكس في أرجاء الدولة العثمانية(٧).

لم يطل ترحيب العرب بالدستور الجديد كثيراً، فقد قام السلطان عبد الحميد بعد أن وطد سلطته بعزل مدحت باشا أبي الدستور في ٥ شباط/ فبراير ١٨٧٧، لأنه لم يكن راغباً في بقائه في السلطة بجانبه، بعد أن كان قد أفلح في عزل سلطانين من سلاطين العثمانيين قبل عبد الحميد، كما أنه كان يجاهر بآرائه التحريرية في كل ميدان. وقد أظهر السلطان اهتمامه فقط بسلامته الشخصية وأفكاره المتشددة في سبيل المحافظة على حكمه، وإغلاق الباب أمام التيارات الغربية في التحرر. وقد جوبهت الدولة العثمانية عام ١٨٧٧ بالحرب التي أعلنتها روسيا، وكانت الرابعة خلال القرن التاسع عشر، والتي كان من أسبابها طموح روسيا في احتلال القسطنطينية، ويأسها من أن يقوم السلطان بإجراء الإصلاحات السياسية والاجتماعية بصورة سلمية. فانتهز السلطان عبد الحميد هذه الفرصة وقام بحلّ المبعوثان، وأطلق العنان للاستبداد وحكم الجواسيس الذين أصبحوا عنوان العهد الحميدي، وجعلوا حياة الناس في أرجاء الامبراطورية العثمانية حياة بؤس وشقاء(٨).

خلال هذه الأحداث المصيرية، ظلت الحياة تسير سيرها العادي في القدس من خلال الوجود المشترك بين المسلمين والمسيحيين، على رغم وجود حضور مهم لليهود في المدينة، حيث ارتفع عددهم إلى أحد عشر ألف نفس عام ١٨٧٠، وهو عدد مساو

---

(٦) برترام وينغ، المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٧) يذكر صلاح الدين المنجد في كتابه أن مدحت باشا من الولاة الذين خدموا دمشق خدمة كبرى، وأنه أسس مكتب الصنايع وجمع الكتب بدار الكتب العمومية ووسع كثيراً من شوارع المدينة وتشكلت في زمانه دوائر العدلية والبوليس والدرك. انظر: صلاح الدين المنجد، محمد بن جمعة المقار ورسلان بن يحيى القاري، ولاة دمشق في العهد العثماني: وهو يتضمن «الباشات والقضاة» لابن جمعة والوزراء الذين حكموا دمشق لابن القاري ومصادر عن تاريخ دمشق أيام العثمانيين، ص ٩٣. كما ذكر الأمير علي الحسني أنه حاول ربط دمشق مع صيدا بطريق مواز لخط بيروت دمشق إلا أنه لم يتيح له الوقت الكافي لتحقيق هذه الأمنية. انظر: علي الحسني، تاريخ سوريا الاقتصادي: الاقتصاد روح الحرية والاستقلال (دمشق: مطبعة بدائع الفنون، [١٩٢٣])، ص ٢٤٢.

(٨) ارفت رام ساور، الأتراك الجدد (تركيا الفتاة) (لندن: [د. ن.]، ١٩٥٧)، ص ٨.

تماماً للوجود الإسلامي (٦٥٠٠ نفس)، والوجود المسيحي (٤٥٠٠ نفس) حسب تقديرات اليهود أنفسهم، في الوقت الذي أعلنت فيه المصادر العثمانية أن السكان في القدس كانوا في عام ١٨٧١ ٦١٥٠ من المسلمين، و٤٤٢٨ من المسيحيين، و ٣٧٨٠ من اليهود. هذا الازدياد في عدد السكان اليهود جعلهم يطمعون في طلب المزيد، فبدأوا يطالبون الحكومة العثمانية بتسهيلات وأذونات، وبدأوا باللجوء إلى الرشوة تنفيذاً لمآربهم. فلما شعر بذلك السلطان عبد الحميد، أصدر عام ١٨٨٢ قانوناً حرّم فيه الهجرة اليهودية إلى البلاد، ومنع شراء الأراضي. ولدى تدخل الوزير المفوض لأمريكا في اسطنبول، منح اليهود حق الدخول إلى فلسطين والبقاء فيها لمدة أقصاها ثلاثة أشهر للعبادة(٩)، إلا أنهم تمكنوا من الالتفاف على هذا القرار بوسائلهم المعهودة. فما حلّت نهاية القرن إلا وكان لهم وجود كبير في المدينة المقدسة، تعبّر عنه ستة من الكنس: اثنان لليهود الأوروبيين (السكناج)، وثلاثة لليهود الشرقيين (السفرديم)، وواحد للقرائين(١٠).

أما عن الإدارة المحلية في المدينة، فقد كانت قد بدأت في التطور والانفتاح، حيث أسس المجلس البلدي الذي شارك فيه جميع السكان عام ١٨٦٣، وصدرت التعليمات لتنظيم شؤونه في عام ١٨٧٥، حيث كان عدد الذين انتخبوا في سنين لاحقة سبعمائة من المسلمين، وثلاثمائة من المسيحيين ومائتين من اليهود، بينما كان المجلس يتألف من ستة من الأعضاء المسلمين، بمن فيهم الرئيس، وعضوان ممثلان للمسيحيين، وعضوان ممثلان لليهود. وكانت هذه المشاركة السياسية في الإدارة البلدية تواكبها مشاركة أكبر في حقول النشاط الاقتصادي والخدمات، وهو الدليل الثابت على تطور مهم في حياة القدس كمجتمع مختلط. وعلى الرغم من أن المعلومات المتوفرة ليست دقيقة، فقد ذكر وارين (Warren) من إحصائية في أواخر الستينيات أن عدد الذين كانوا يعملون في الحرف والصنائع بلغ ١٩٣٢، بينهم ٨٢٨ مسلمين و٦٠١ مسيحين و ٥٠٣ يهود(١١).

كان النشاط اليهودي الذي أشرنا اليه يسعى لتقوية الاستيطان في الأراضي المقدسة وتأسيس دولة لليهود في فلسطين التي كانت تشكل بالنسبة اليهم أرض الميعاد، إلا أنه كان يواكب هذا الصراع العربي ـ اليهودي صراع شديد آخر بين

---

(٩) هندريكوس باكوبوس فرانكن [وآخرون]، القدس في التاريخ، حرر الطبعة الانكليزية وترجمها كامل جميل العسلي (عمان: الجامعة الاردنية، ١٩٩٢)، ص ٢٨٠.

(١٠) العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٥٦٦.

(١١) فرانكن [وآخرون]، المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

الروس واليونان هدفه تقوية النفوذ الروسي في القدس خصوصاً، وفي بلاد الشام عموماً، على اعتبار أن وزارة الخارجية الروسية كانت قد شرحت للقيصر أن أضمن السبل لاختراق الشرق الأدنى كان عن طريق الكنيسة الأرثوذكسية. وبناء على اقتناعه بذلك، فقد صدرت الإرادة القيصرية في ٢٤ آذار/مارس سنة ١٨٨٩ بالموافقة على تأسيس الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية التي أصبحت في الحقيقة جزءاً من وزارة الخارجية الروسية(١٢). وقد جعلت هذه الجمعية من أولى أهدافها زيادة عدد الحجاج الروس إلى البلاد المقدسة وتشجيع النشاط التعليمي. وعليه، فقد بدأت أعداد الزوار في الارتفاع من ثلاثة آلاف عام ١٨٨٨ إلى ستة آلاف عام ١٩٠٠، بالإضافة إلى زيارات متتابعة لبحاره الأسطول الروسي ومجموعات الطلاب والرهبان. وقد أجبرت هذه الزيادة في عدد الوافدين الجمعية على بدء برنامج إسكاني كبير لإيواء هذه الأعداد الكبيرة، في الوقت الذي لم تكن تتوفر فيه في القدس أية أماكن لاستضافتها. وقد لاحظ مدراء الجمعية نقص المياه في المدينة وخصوصاً أن عدد السكان قد تضاعف ثلاث مرات منذ عام ١٨٥١، فقاموا عام ١٩٠٠ ببناء اثني عشر خزاناً لجمع المياه كانت طاقتها الاستيعابية تزيد على ضعفي طاقة الاستيعاب في خزانات المياه البلدية المفروض أن تكفي جميع السكان. وفي سبيل إنجاز هذا المشروع، اضطرت الجمعية الروسية إلى حفر قناة صخرية بطول يزيد على الألفين من الأمتار، بإشراف كبير مهندسي القدس في العهد العثماني المهندس جورج فرنجية اللبناني الأصل(١٣).

أما في حقل التعليم، فقد لاحظ خيتروفو أول مدير للجمعية الروسية أن أعداد الأرثوذكس في تقهقر مستمر، اذ إنهم كانوا ٩٠ بالمئة من مجموع السكان المسيحيين في الأراضي المقدسة عام ١٨٤٠، بينما أصبحوا فقط ٦٧ بالمئة من المجموع عام ١٨٨٠، في حين بلغ مجموع الكاثوليك والبروتستانت ثلاثة عشر ألف نفس، وكانت لهم ٨٢ مدرسة، بينما كان عدد الأرثوذكس ستة وعشرين ألف نفس، وكانت لهم مدرستان فقط. كما أنه لاحظ أن المساندة للكاثوليك كانت من فرنسا والنمسا وايطاليا واسبانيا، وللبروتستانت من ألمانيا وانكلترا، في الوقت الذي لم يكن للأرثوذكس أية مساندة على الإطلاق. وقد لاحظ خيتروفو كذلك أنه كانت للكاثوليك في حقل الخدمات الاجتماعية خمس جمعيات فرنسية وثلاث ألمانية، في الوقت الذي كان فيه للبروتستانت ثماني جمعيات انكليزية وأربع جمعيات ألمانية، بينما لم يكن للأرثوذكس

---

(١٢) Theofanis Stavrou, *Russian Interests in Palestine, 1882 - 1914: A Study of Religious and Educational Enterprise*, Hidryma Meleton Chersonesou tou Haimou; 68 (Thessaloniki: Institute for Balkan Studies, 1963), p.127.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

سوى الجمعية الروسية، في الوقت الذي انشغل فيه الرهبان اليونان في اضطهاد الأرثوذكس العرب وحرمانهم من حقوقهم وسرقة أموال البطريركية. وكان في نظره أن هذه الأحوال السيئة كانت السبب الذي شجّع أرثوذكس فلسطين على إرسال استرحام إلى القيصر الروسي عام ١٨٧٩ يطالبون فيه مساعدتهم على منع الأغراب اليونان الذين وفدوا من القسطنطينية من البقاء في البلاد المقدسة(١٤).

جدير بنا في هذه المرحلة أن نشير إلى الأبحاث الأثرية التي قد بدأت في القدس، وكان الدافع الشديد لها هو الرغبة في استجلاء العلاقة بين ما ورد في التوراة والواقع على الأرض في البلاد المقدسة. وكان الانكليز هم الروّاد في هذا الحقل، فقد قامت لجنة صندوق استكشاف فلسطين (Palestine Exploration Fund)، وهي التي كانت قد تأسست في لندن وباشرت العمل عام ١٨٥١ ببدء أعمالها في فلسطين. وكانت الدراسات والحفريات التي بدأها الكابتن شارلز وارين في الثاني من شباط/ فبراير ١٨٦٧ وشاركه فيها كل من الكولونيل السير شارلز ويلسون، والمؤرخ كليرمون جانو، والمؤرخ بترويت ديريك، والكابتن أندرسون، والكابتن ستيورات، والكابتن كلود رينيه كوندر، ، والدكتور شابلن الخطوة الأولى في هذا المجال، حيث استمرت حتى نهاية عام ١٨٧٠، ونشرت أبحاثها في المنشورات والكتب العديدة التي أصدرها الصندوق(١٥). وما من شك في أن هذه الدراسات كان لها أكبر الأثر في ما سمي بالدراسات التوراتية التي استعمل جزء كبير منها لخدمة المطامع والأغراض التي بدأت تتوخاها الحركة الصهيونية منذ نموها في نهاية القرن التاسع عشر. ومما يذكر هنا أن الحكومة العثمانية كانت تسمح بمثل هذه الدراسات والأبحاث والحفريات، ولكن تشترط عدم المساس بمنطقة الحرم الشريف وجميع أماكن العبادة والمزارات للمسلمين ولغير المسلمين، وكذلك التوصل إلى اتفاق مع الملاكين(١٦).

أدت هذه الأبحاث والحفريات إلى ازدياد الاهتمام البريطاني بكل ما يتعلق بفلسطين، وخصوصاً القدس. وخلال نيسان/ أبريل ١٨٨٢ قام الأميران: ألبرت فيكتور زوج الملكة فكتوريا، وولي العهد الأمير جورج أمير ويلز، بزيارة استمرت

---

(١٤) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٥) لجنة صندوق الأبحاث الفلسطينية: عملنا في فلسطين (القدس: اللجنة، ١٨٥١)، و(نيويورك: اللجنة، ١٨٧٣)، المقدمة، ص٣٣٥. مما يذكر أن الصندوق تأسس في لندن عام ١٧٩٩. ولمزيد من التفاصيل، انظر: C.R. Conder: The Survey of Western Palestine (London: Committee of the Palestine Exploration Fund, 1881-1885), *and The Survey of Eastern Palestine: Memoirs of the Topography, Orography, Hydrography Archaeology* (London: Committee of the Palestine Exploration Fund, 1889).

(١٦) مركز القدس للدراسات التوراتية، كتاب الدراسات (ليكلاند فلوريدا: المركز، ١٩٨٧).

أربعين يوماً قطعا فيها ٥٨٥ ميلاً في الأراضي المقدسة وزارا خلالها، بالإضافة إلى القدس، العديد من الأماكن الأثرية في فلسطين والأردن. وقد صاحبهما في هذه المرحلة فريق كبير كان يرأسه القس ج. ف. دالتون، والأثريون الكولونيل السير شارلز ويلسون، والكابتن كلود كوندر[١٧].

واكب هذا النشاط التعليمي والآثاري نشاط في الحقل الصحي، فقد قامت جمعية القديس يوحنا (The Order of St. John) في بداية عام ١٨٨٢ بإعادة تأهيل مستشفى القديس يوحنا الذي اشتهر بخدماته الجلى في حقل معالجة العيون، بحيث أصبح يعرف بمستشفى العيون البريطاني[١٨]. ومن الجدير بالذكر أن هذا المستشفى قديم جداً، ويقال إنه كان يخدم المرضى في عام ١٣٣٢م عندما قام بزيارة القدس السير جون مانديفل الذي أورد وصفاً له[١٩]. وفي عام ١٨٨٠ قام الفرنسيون ببناء المستشفى الفرنسي الذي يسمونه أيضاً مستشفى القديس بولس، وهو يعمل بمساعدة الحكومة الفرنسية[٢٠]، بينما قام الألمان ببناء المستشفى الألماني عام ١٨٩٤، وكان أهالي القدس يسمونه المجيدي لأنه كان يتوجب على كل مريض يستشفي فيه دفع قطعة من العملة العثمانية المعروفة بالمجيدي أو الريال[٢١]. وكان الروس قد بنوا لأنفسهم ولحجاجهم مستشفى في عام ١٨٥٩ في المسكوبية خارج السور اتخذته الحكومة البريطانية بعد سقوط القدس بأيديهم عام ١٩١٧ كمستشفى لعلاج موظفي حكومة الانتداب[٢٢]. ولا شك في أن هذه الخدمات الطبية قد أثرت بشكل ايجابي في مستوى الصحة عموماً في القدس وضواحيها، وأن توفرها جعل من القدس مركزاً طبياً مهماً، وخصوصاً أن تلك الخدمات كانت تشمل عدة مستشفيات أخرى، حكومية وخاصة، كان من بينها، حسب ما أورده عارف العارف، المستشفى المورافي الذي أسسته الجمعية المورافية لمعالجة أمراض الجذام عام ١٨٦٧، ولذلك أصبح يعرف بمستشفى البرص[٢٣].

---

(١٧) نظر النشرة الربعية الصادرة في لندن عن لجنة صندوق الأبحاث الفلسطينية عام ١٨٨٢، و Conder, Ibid., p. 65.

(١٨) الموسوعة الفلسطينية، ٢ قسم في ١٠ مج (دمشق: هيئة الموسوعة، ١٩٨٤-١٩٩٠)، قسم ١: القسم العام في أربعة مجلدات، مج ١، ص ١٩٩.

(١٩) Conder, Ibid., p. 256.

(٢٠) العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٤٥٩.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٤٥٩.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤٥٨.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٥٨.

الفصل السادس

النهضة التعليمية في القدس
والنضال ضد الغزو الصهيوني

ذكرنا في الفصول السابقة النشاط التعليمي الذي قامت به الهيئات المختلفة في القدس ابتداء من أواسط القرن التاسع عشر. ولدى الرجوع إلى تقرير أعمال المجمع العلمي الشرقي لعام ١٨٨٢ الذي نشر في مجلة **المقتطف**(١)، نجد أن أهل القدس كانوا نحو عشرين ألف نسمة، وأن مجموع سكان قضاء القدس لم يكن يزيد على المئة وستين ألفاً، وأن مدينة القدس كانت تتمتع بنهضة تعليمية كبيرة، نظراً لانتشار مدارس الأولاد والبنات ووجود عدد كبير نسبياً من المطابع. وقد ذكر التقرير بالتفصيل أسماء هذه المدارس، وتاريخ إنشائها، وعدد تلاميذها، وعدد المعلمين في كل منها، مع بعض الملاحظات عن أعداد الخريجين ومؤسسي بعض هذه المدارس. ومن الجدير بالملاحظة أن جهد الحكومة العثمانية في هذا المجال كان محدوداً للغاية، إذ إنه اقتصر على مكتب الرشدية للصبيان الذي تأسس عام ١٨٦٨، وفيه ثمانون تلميذاً ومعلمان اثنان، يضاف إليه سبع مدارس، هي في الحقيقة كتاتيب لتعليم القراءة والكتابة العربية، معدل تلاميذها أربعون طالباً مع معلم واحد لكل مدرسة. أما مدارس الهيئات المختلفة، فقد كانت كما يلي:

الجدول رقم (٦ ـ ١)
أعداد المعلمين والطلاب في مختلف مدارس القدس

العدد	الهيئة	عدد التلاميذ	عدد التلميذات	عدد المعلمين
٣	مدارس الروم الأرثوذكس	١٩٤	١٠٠	١١
١١	مدارس اللاتين	٢٥٥	٥١٠	٥٦
١	مدرسة الروم الكاثوليك	-	١	٥
٥	مدارس الجمعيات الألمانية	٢٣٩	١١٠	٣٠
٤	مدارس جمعية انتشار الإنجيل	٥١	٧٩	٩
٣	مدارس المرسلين البروتستانت	٦٦	٦٥	٩
٣	مدارس الأرمن	٧٠	٤٠	١٢
١٠	مدارس اليهود	١٥٧٥	١٦٠	٨٧

(١) «تقرير أعمال المجمع العلمي الشرقي لسنة ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣،» المقتطف، السنة ٨ (١٨٨٢ ـ ١٨٨٣)، ص ٥٣٣.

وقد ذكر التقرير أن مجموع عدد تلاميذ هذه المدارس يبلغ نحو ٣٨٥٤ وأكثر ما بين فتيان وفتيات.

ولا شك في أن مثل هذا العدد الكبير من المدارس التي يبلغ عدد الخريجين فيها المئات كان لها أثر كبير في رفع مستوى التعليم في القدس، علماً بأن هذه الهيئات التي أسستها لم تغفل أهمية المطابع. فأنشأ الآباء الفرنسيسكان مطبعتهم عام ١٨٤٧، وتبعتها مطبعة دير الروم الأرثوذكس عام ١٨٥١، ومطبعة دير الأرمن عام ١٨٦٦، وجمعية المرسلين البروتستانت الإنكليزية عام ١٨٧٩، وست مطابع لليهود ابتداء من عام ١٨٣٠ وحتى عام ١٨٧٠.

وقد رافق هذه النهضة التعليمية فريق من شباب القدس، قد يكون خليل السكاكيني الأرثوذكسي خير من يمثلهم. فقد ولد في القدس سنة ١٨٧٨، وأنهى دروسه في الكلية الإنكليزية عام ١٨٩٣، واشتغل بالتدريس طيلة حياته، بالإضافة إلى نشاطاته الأخرى في حقول الصحافة، وجمعية زهرة الآداب، وجمعية الاتحاد والترقي، وجمعية الإخاء الأرثوذكسي، ومقاومة رجال البطريركية الأرثوذكسية اليونان لطمسهم حقوق العرب الأرثوذكس، مما حمل بطريرك القدس اليوناني داميانوس إلى حرمانه من الكنيسة. وتعبيراً عن شعوره الوطني الذي لازمه طيلة حياته، قام بتأسيس المدرسة الدستورية في القدس عام ١٩٠٩، بالاشتراك مع علي جادالله، وجميل الخالدي، وأفتيم مشبك، بغرض تنمية الوعي الوطني بين الطلاب وتهيئة معلمين وطنيين للمستقبل[٢].

كان السكاكيني عنواناً لهذا الشعور الجارف بالخطر الذي استحوذ على مشاعر العرب الفلسطينيين بعد أن تحسّسوا الخطر اليهودي، وبدأت تظهر لهم المناورات الدولية التي كانت تقف وراء تنفيذ مخططات الاستيطان، وتأسيس الظروف الملائمة للوجود الصهيوني في فلسطين. وقد هبّ المثقفون العرب في القدس، وفي أرجاء فلسطين المختلفة، في محاولات لردع هذا الخطر. وكان عنوان حركتهم أن العرب، مسلميهم ومسيحييهم، هم في خندق واحد للدفاع عن كيانهم ووجودهم في بلاد أجدادهم. وكانت مجموعة من الشباب قد أسست في عام ١٨٩٨ جمعية الإخاء العربي، برئاسة داود الصيداوي، وعضوية عيسى العيسى، وفرج فرج الله، وأفتيم

(٢) الموسوعة الفلسطينية، ٢ قسم في ١٠ مج (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠)، قسم ١: القسم العام في أربعة مجلدات، مج ٢: ج ـ ش، ص ٧٩٥ و٣٧٠، وقد اعتمد المؤلف على الكثير مما ورد في هذه الموسوعة للكتابة عن رجالات فلسطين ونشاطهم في هذا الفصل.

مشبك، وشبلي الجمل، وجميل الخالدي، ونخلة ترزي، وخليل السكاكيني[٣]، لتحقيق هذه الأهداف والغايات.

هذا الشعور بالخطر كان على ما يظهر قوياً، ولكن لم يكن بمقدور الناس التعبير عن آرائهم بحرية أثناء حكم السلطان عبدالحميد الذي اشتهر بقسوته وانتشار جواسيسه في جميع أرجاء الإمبراطورية العثمانية، إلا أن أحد الرهبان الكاثوليك كان بين أوائل الذين أشاروا إلى أطماع الصهيونية في فلسطين التي كان الكاثوليك يتابعونها بقلق واهتمام. فقد نشر الأب هنري لامنس اليسوعي مقالة في مجلة **المشرق** عام ١٨٩٩ بعنوان «اليهود في فلسطين ومستعمراتهم»، تحدث فيها عما ذكرته صحف الأستانة عن انتشار اليهود في فلسطين، وقيام تلك الصحف بحثّ السلطات العثمانية على مواجهة النشاط الصهيوني. وبعد أن استعرض تاريخ نشأة المستعمرات والجمعيات اليهودية ونشاطاتها وأوضاعها، ومقدرة الأفراد والهيئات التي تدعمها، وتقدّم لها العون المالي، حذّر من الأطماع اليهودية في شرقي الأردن التي لا يزال اليهود يطمحون إليها ببصرهم، إذ إنه سمع من مختار قرية أم قيس أن البارون روتشيلد كان لديه وكلاء يطوفون في تلك النواحي في محاولات لامتلاك الأراضي، ووضعها تحت تصرف اليهود ليفلحوها ويستغلوا غلاتها[٤].

إن الاهتمام الذي أبداه هؤلاء المفكرون من المسيحيين في القدس، بالاشتراك مع إخوتهم المفكرين من المسلمين في القدس المختصين بشؤون التعليم، كان على ما يظهر نتيجة لاعتقادهم المطلق بأن تصحيح أوضاع التعليم سيؤدي إلى نهضة شاملة ترد هذا الخطر الهائل. ومع أن تبسيط الأمور بهذا الشكل لم يؤد إلى النتائج المطلوبة، فما من شك في أن الجهد الذي بذله خليل السكاكيني، ومن قبله المعلم خليل بيدس، قد أدى إلى تطوير مؤسسة تعليم وطني تمكنت من التخلي ـ في موضوع مناهج التعليم والنظرة الفلسطينية المتعلقة بها ـ عن الوسائل التقليدية في نقل المعرفة إلى الطلاب[٥]. ولا شك في أنه من المفيد في هذا الصدد أن نذكر عدداً من هؤلاء الذين كان لهم فضل الريادة في هذا المضمار. وسنذكر تاريخ ميلاد كل منهم بجانب اسمه لإعطاء القارئ فكرة عن الفترة الزمنية التي قدّمت فيها خدمات لأبناء القدس

(٣) خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، أعدتها للنشر هالة السكاكيني (القدس: المطبعة التجارية، ١٩٥٥)، ص ٤٨.

(٤) علي محافظة، «التيارات السياسية في فلسطين في عصر النهضة،» ورقة قدمت إلى: المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، ص ٣٠٧.

(٥) سمير صيقلي، «خدمات المسيحيين للنهضة في فلسطين قبل الحرب العظمى الأولى،» نشرة المعهد الملكي للدراسات الدينية، العدد ١ (٢٠٠٠)، ص ٥٤.

هؤلاء[٦]، وجميعهم من الذين ولدوا خلال القرن التاسع عشر.

١ ـ **المعلم وهبه الله صروف (عام ١٨٣٩)**: مدير مطبعة القبر المقدس التابعة للبطريركية الأرثوذكسية في القدس، ومعرّب الكتب الدينية الأرثوذكسية من اليونانية إلى العربية، وأستاذ اللغة العربية في مدرسة المصلّبة الأرثوذكسية.

٢ ـ **المعلم نخلة زريق (عام ١٨٦١)**: وفد إلى القدس عام ١٨٨٩ ليعمل مع الإرسالية الإنكليزية، وانتقل إلى إدارة مدرسة الشبان الإعدادية، وبقي في مركزه هذا حتى وفاته عام ١٩٢١. ومن إنجازاته أنه علّم الطلبة الحساب والجبر والهندسة والمنطق والطبيعيات والجغرافية باللغة العربية.

٣ ـ **الدكتور بندلي صليبا الجوزي (عام ١٨٧١)**: اشتهر كمؤرخ عربي وباحث لغوي. تولى كرسي اللغة العربية في جامعة قازان حتى نهاية الحرب العظمى، حيث انتقل إلى جامعة باكو ليدرّس فيها حتى وفاته عام ١٩٤٢.

٤ ـ **المعلم خليل بيدس (عام ١٨٧٤)**: ولد في مدينة الناصرة، وانتقل إلى القدس عام ١٩٠٨، حيث قاد أول تظاهرة عربية قامت في بيت المقدس عام ١٩٢٠، وخطب في الجماهير أثناء عيد النبي موسى، حاضّاً على ثورة عارمة للإجهاز على وعد بلفور، فحكم الإنكليز عليه بالإعدام، ولكن الحكم خفّف إلى السجن خمسة عشر عاماً. وعندما أطلق سراحه، رفض العمل مع دولة الانتداب، وبدأ تعليم العربية في مدرسة المطران إلى أن تقاعد عام ١٩٤٥.

٥ ـ **الأستاذ خليل السكاكيني (عام ١٨٧٨)**: درس بمدرسة صهيون الإنكليزية، وبعد ذلك التحق بالكلية الإنكليزية، حيث كان أستاذه فيها المعلم نخلة زريق. وقد زاول التعليم والتحق بالجمعيات المختلفة التي كانت تهدف إلى التحرر من السيطرة العثمانية والإنكليزية سياسياً، ومن السيطرة اليونانية دينياً، وأسس مدرسة وطنية جمعت بين الطلاب على اختلاف المذاهب من دون التعرّض للأمور الدينية، ثم شارك في تأسيس كلية النهضة في القدس، وكان طيلة حياته شديد الغيرة على اللغة العربية حتى وفاته عام ١٩٥٣. وقد سبق الحديث عنه كطليعة قيادية في مقدمة هذا الفصل.

٦ ـ **الدكتور نجيب ساعاتي (عام ١٨٨٥)**: درس في مدرسة البطريركية

---

(٦) يعقوب العودات [البدوي الملثم]، من أعلام الفكر و الأدب في فلسطين (عمان: وكالة التوزيع، ١٩٧٦)، وقد اعتمد المؤلف على بعض المعلومات الواردة في الكتاب.

الأرثوذكسية، وتابع علومه في معهد المصلّبة اللاهوتي، وحاز عام ١٩٠٦ شهادة في آداب اللغة اليونانية والفلسفة والرياضيات واللاهوت، ثم نال شهادة الدكتوراه عام ١٩١١، حيث عمل طيلة حياته أستاذاً لليونانية والعربية واللاتينية في الإسكندرية، ونشر الكثير من الدراسات والمقالات والكتب.

٧ ـ **الأستاذ اسكندر الخوري البيتجالي (عام ١٨٩٠)**: ولد في بيت جالا، ولكنه أقام بالقدس بعد عام ١٩٠٨، وكان يعلم العربية والفرنسية في مدرستي المطران والفرير للصبيان، والمدرسة الروسية للبنات. وهو يعتبر من الأدباء الذين اشتهروا بأشعارهم الوطنية.

٨ ـ **الأستاذ شكري حرامي (عام ١٨٩٨)**: أنهى دراسته الثانوية في مدرسة المطران، وانضم إلى مدرسة الفرندز في رام الله معلماً، وسافر إلى أمريكا عام ١٩٢٧، حيث حصل على بكالوريوس في الآداب من جامعة إنديانا، ثم عاد بعدها إلى القدس وعمل في حقل التعليم، ثم أسس عام ١٩٣٨ مدرسة وطنية سماها مدرسة الأمة، وقد اعتبرها العرب مصنعاً للرجال. وفي عام ١٩٥٧ نقل المدرسة إلى بناية أقامها على أرض في قرية بيت حنينا.

أما في الحقل السياسي والنضال في سبيل حرية العرب والحفاظ على حقوقهم تجاه الغزو الصهيوني لبلادهم، فقد كان هنالك عدد من أبناء القدس المسيحيين الذين شاركوا أحسن المشاركة في هذا الجهد الوطني الغيور على المصلحة العربية، وفي طليعتهم المعلم خليل بيدس، والأستاذ خليل السكاكيني، وكذلك كل من :

١ ـ **الأستاذ جورج أنطونيوس (عام ١٨٩٢)**: ولد في الإسكندرية، حيث تلقى دروسه الثانوية، ثم التحق بجامعة كمبردج، وجاء إلى فلسطين بعد الحرب العظمى وعاش فيها معتزاً بعروبته ومفاخراً بالأمة التي تحدر منها. وعلى رغم عمله في حكومة الانتداب، فقد أدلى عام ١٩٣٧ بشهادته أمام اللجنة الملكية البريطانية، وانتخب عام ١٩٣٩ سكرتيراً للوفد الذي شكلته الهيئة العربية العليا، والذي مثّل عرب فلسطين في مؤتمر سان جيمس في لندن، حيث قدم مذكرة قيّمة شرح فيها وجهة النظر العربية. وأكبر إنجازاته هو نشر كتابه **يقظة العرب** بالإنكليزية عام ١٩٣٩، وقد ترجم إلى العربية مرتين. فوجئ العالم بوفاته بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٤٢، وهو في الخمسين، وقيل حقاً في رثائه «لقد كان مثلاً أعلى في الإخلاص والصدق والرزانة والكياسة، وإذا كُتب تاريخ الأمة العربية في هذه الفترة الأخيرة كانت للفقيد فيه صفحة لامعة».

٢ ـ **الدكتور عزة طنوس (عام ١٨٩٦)**: ولد في نابلس وتعلم في مدرسة المطران في القدس، ثم الجامعة الأميركية في بيروت، حيث تخرج طبيباً عام ١٩١٨

وأسس عيادته في القدس. فلما اشتعلت ثورة البراق عام ١٩٢٩، أغلق العيادة، واشترك في الثورة، وأمضى ثلاثة شهور في المجلس الإسلامي الأعلى، حيث كان مركزاً للإعلام العربي الفلسطيني. وعمل بغيرة واهتمام لإبراز الحق العربي ومحاربة الدعاية الصهيونية المضللة. واستمر الدكتور عزة في كفاحه من أجل بلده، وشارك في الإضراب العام الشامل عام ١٩٣٦، ودعي ليكون عضواً في الوفد مع جمال الحسيني وشبلي الجمل للذهاب إلى لندن والمطالبة بوقف الهجرة اليهودية. وعندما تأسس المكتب العربي الفلسطيني في لندن، طلبت اللجنة العربية العليا منه أن يتولى إدارته والإشراف عليه، فقبل المهمة واستطاع شخصياً أن يقوم بالجزء الأكبر من نفقاته. واستمر جهاده في خدمة القضية الفلسطينية في لندن والقدس وجميع أنحاء العالم حتى عام ١٩٦٤ عندما أنشئت منظمة التحرير الفلسطينية. وبعد تنظيم مؤتمرها الأول، دعي ليرأس مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك، حيث أمضى أربع سنين رجع بعدها إلى بيروت حيث تقاعد.

٣ ـ الأستاذ أنطون عطالله (عام ١٨٩٧): بدأ دراسته الابتدائية والثانوية في القدس والتحق بالجامعة الأميركية في بيروت إلى أن دعي إلى الخدمة العسكرية عام ١٩١٦، ولكنه فرّ من الجيش العثماني بعد إعلان الثورة العربية، وتمكّن من العودة إلى البلاد بعد الاحتلال البريطاني لها عام ١٩١٧. وبعد دراسة جادة حصل على دبلوم الحقوق من معهد الحقوق الفلسطيني عام ١٩٢٤، والتحق بسلك القضاء، حيث عمل قاضياً في المحكمة العليا في القدس حتى استقالته عام ١٩٤٣. وفي السنة التالية، وكان قد أصبح محامياً بارزاً يدافع عن حقوق المجاهدين العرب ضد سلطات الانتداب، عينّ نائباً لرئيس بلدية القدس. فلما توفي الرئيس مصطفى الخالدي، قامت دولة الانتداب بتعيين يهودي رئيساً للبلدية بالوكالة، فأصبح لليهود الأكثرية الفعلية في المجلس البلدي فاحتج على ذلك بشدة، وقدم استقالته مع باقي الأعضاء العرب، مما اضطرت معه الحكومة لتعيين موظف إنكليزي لإدارة البلدية حتى انتهاء الانتداب. وفي عام ١٩٤٧، وجهت إليه الحكومة البريطانية الدعوة لحضور مؤتمر لندن، فاعتذر بسبب الخلافات التي كانت قائمة في وجهات النظر بين الفئات العربية. وبعد حدوث النكبة، تمكّن من منع تصفية البنك العقاري العربي، وفتح فروعاً له في المناطق العربية لإعطاء القروض للعرب ومساعدتهم على تطوير الزراعة وإنشاء المباني، إلى درجة أنه ساهم في بناء سبعين بالمئة من جميع المساكن والمباني التي أنشئت عام ١٩٥٧ في مدن الضفتين.

انتخب الأستاذ عطالله نائباً عن القدس عام ١٩٥٤، وعينّ عضواً في مجلس الأعيان عام ١٩٦٣، ومثّل الأردن كممثل خاص في الأمم المتحدة، وشغل منصب

وزير الخارجية الأردني، حيث عمل بنشاط كبير في تحسين العلاقات العربية وإنجاح زيارة البابا بولس السادس للقدس في كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤. وبعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس، أمر الجنرال موشيه ديّان الإسرائيلي بإبعاده إلى الضفة الشرقية نظراً لنشاطه الإعلامي والتصريحات التي أدلى بها للإذاعات والصحف العالمية، فعمل بعدها بكل نشاط في لفت أنظار بريطانيا والعالم إلى الصعوبات التي يواجهها الذين نزحوا عن فلسطين في حرب ١٩٦٧.

٤ ـ **الأستاذ سامي هداوي (عام ١٩٠٤)**: درس على نفسه والتحق بحكومة فلسطين عام ١٩٢٠، وترقّى فيها حتى أصبح مسؤولاً عن تخمين ضرائب الأراضي في حكومة الانتداب. وقد أثرت في نفسه تأثيراً كبيراً نكبة ١٩٤٨، وظل يردد القول «إن كثيراً من اللاجئين الفلسطينيين يعانون الآن وضعاً غير مستقرّ، وإن مأساة شعب فلسطين تتمثل في أن دولة أجنبية قد أعطت وطناً لشعب آخر من أجل خلق دولة جديدة، وترتّب على ذلك أن أصبح مئات الألوف من العرب بلا مأوى».

عمل بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ في النشاط السياسي العربي خبيراً للأراضي مع لجنة التوفيق الدولية وفي هيئة الأمم، ومستشاراً للوفد العراقي في نيويورك (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨)، ومديراً لقسم العلاقات العامة في مكتب الإعلام العربي في نيويورك. وأسس مكتب الإعلام العربي في دالاس، وعمل مديراً لمؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت (١٩٦٥ ـ ١٩٦٧). فلما حلّت النكبة بادر إلى طبع كتابه **الحصاد المر** بالإنكليزية عام ١٩٦٧، وهو أول كتاب ظهر بعد حرب عام ١٩٦٧ يشرح القضية العربية الفلسطينية وأبعادها المختلفة. وله أكثر من ١٨ كتاباً تشرح جوانب أساسية في الصراع العربي ـ اليهودي.

٥ ـ **الأستاذ هنري كتن (عام ١٩٠٦)**: درس في كلية الفرير في القدس، وجامعة لندن، ونال ليسانس الحقوق من جامعة باريس عام ١٩٢٩، وماجستير الحقوق من جامعة لندن، حيث أصبح له الحق في المرافعة أمام المحاكم البريطانية. وعند عودته إلى البلاد عام ١٩٣٢، عيّن أستاذاً محاضراً في معهد الحقوق الفلسطيني، وخدم بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٨ عضواً في مجلس الحقوق الفلسطيني. اختاره الشعب للدفاع عن القضية الفلسطينية في دورة الأمم المتحدة (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨)، وقد اضطر بعدها إلى الانتقال إلى دمشق، حيث استمر في نضاله من أجل القضية الفلسطينية. وأصدر مجموعة قيّمة من الكتب باللغتين الإنكليزية والفرنسية، عرض فيها القضية الفلسطينية عرضاً منطقياً يتّسم بالعمق والأصالة، ووجّه الأنظار إلى الظلم الذي نزل بقضية العرب الأولى والنواحي القانونية المتعلقة بها.

٦ ـ **الأستاذ اميل الغوري (عام ١٩٠٧)**: درس في مدرسة المطران، ثم التحق عام ١٩٢٩ بجامعة سنسناتي الأمريكية، حيث حصل على شهادة الماجستير في العلوم السياسية عام ١٩٣٣. وعند عودته إلى الوطن، تبرّع للدفاع عن القضية، وأصدر صحيفة أسبوعية أسماها **الاتحاد العربي**، وقد أغلقتها سلطات الاحتلال بعد تسعة أشهر. وشارك في العمل السياسي، فانتخب عام ١٩٣٥ سكرتيراً عاماً للحزب العربي الفلسطيني لدى تأسيسه. وعند نشوب الثورة الفلسطينية، انتخب عضواً في الوفد الذي سافر إلى لندن للمفاوضة، وكان رفاقه: جمال الحسيني، وشبلي الجمل، ود. عزت طنوس. وعندما منعته حكومة الانتداب من العودة إلى فلسطين بعد جولة في الولايات المتحدة عام ١٩٣٩، توجّه نحو مصر، وظلّ فيها أربع سنوات يصرف أعمال مكتب الدعاية والنشر الذي أسسته اللجنة العربية العليا. وعندما سمح له بالعودة عام ١٩٤٢، استأنف نشاطه السياسي، وأعاد تشكيل الحزب العربي الفلسطيني الذي ظل يزاول نشاطه حتى عام ١٩٤٦، عندما تمّ تشكيل الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني الذي كان معتقلاً في باريس، وعضوية جمال الحسيني، وأحمد حلمي عبد الباقي، ود. حسين فخري الخالدي، وإميل الغوري. وانتخب في خريف عام ١٩٤٨ سكرتيراً عاماً للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مدينة غزة، وهو المجلس الذي أعلن قيام حكومة عموم فلسطين.

عمل الأستاذ الغوري بكل نشاط في خدمة القضية الفلسطينية، واشترك في أعمال الأمم المتحدة السنين الطوال كرئيس للوفد الفلسطيني إليها (١٩٦٠ ـ ١٩٦٨). وبعد هجرة قسرية فرضت عليه واستمرت سبع عشرة سنة، تمكّن من العودة إلى بلده، حيث انتخب نائباً للقدس بالتزكية عام ١٩٦٦، وعيّن وزيراً في الدولة الأردنية مرتين. وقد أصدر مجموعة قيّمة من الكتب، كان آخرها في ثلاثة أجزاء وعنوانه: **فلسطين عبر ستين عاماً.**

الأسماء التي ذكرناها في هذا البحث هي فقط لهؤلاء الذين برزوا مع زملائهم من القياديين المسلمين في الدفاع عن قضية فلسطين. وربما كان خير عنوان لشعور الناس في القدس خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هذا الشعور الأكيد بالخطر الداهم المتمثل في مجيء أعداد كبيرة من اليهود للاستيطان في البلاد، ورغبة الناس عموماً في حياة جديدة مختلفة عن تلك التي عاشوها حتى ذلك الحين. وقد أورد أ. خليل السكاكيني خبراً عن مقابلة له يوم الاثنين في ٢١ أيلول/ سبتمبر ١٩٠٨ مع حسين أفندي سليم الحسيني والمعلم نخلة زريق، حيث يقول: «واستبقنا الحديث، فذكرنا جمعية العلماء، كما يقول المسلمون، وخشينا أن يكون من غايتها المحافظة على التقاليد القديمة التي من شأنها أن تثير العداء والشقاق بين الناس. فخطر

لنا أن نؤلف جمعية من المسلمين والنصارى لمحاربة الروح القديمة وتطعيم الناس بالدستور وإشرابهم الروح الجديدة»[٧]. وتأكيداً لهذه الروح الجديدة التي هي روح النهضة، يذكر الباحث سمير صيقلي، في مقالة نشرتها مجلة مؤسسة الدراسات الدينية في عمان عنوانها «خدمات المسيحيين للنهضة في فلسطين»، تفصيلات هذا التوجّه الجديد ووسيلته لإيصال وجهات نظره إلى الناس عن طريق الصحف التي يصدر معظمها العرب المسيحيون الأرثوذكس، والذين كانوا ينادون بحياة جديدة تحافظ على التقاليد العربية ولا تأخذ من الحياة الغربية إلا ما يتماشى مع القيم والأخلاق العربية»[٨].

(٧) السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ص ٣٨.

(٨) صيقلي، «خدمات المسيحيين للنهضة في فلسطين قبل الحرب العظمى الأولى،» ص ٥٥.

الفصل السابع

تطـوّر الأوضـاع فـي القـدس
في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

كانت الأحوال في القدس، وفي فلسطين عامة، تتحسن بالنسبة إلى عامة الشعب بسبب تحسن الأوضاع الاقتصادية والمواصلات والانفتاح الذي شهدته البلاد نتيجة لارتفاع عدد الزوار الوافدين للحج إلى بيت المقدس. وكانت قد أصبحت للبلاد شبكة من الطرق، فسهل التنقل بواسطة العربات التي تجرّها الخيول، فلما أقيمت مراسم افتتاح خط سكة الحديد بين القدس ويافا يوم السادس والعشرين من أيلول/ سبتمبر ١٨٩٢، أصبح ذلك عنوان عهد جديد بعد أن تمكنت السفن التجارية من إحداث ثورة في النقل البحري.

وقد واكبت هذه التطورات الأساسية نظرة جديدة إلى أهمية السياحة بالنسبة إلى البلاد ككل، وقد أكدتها الزيارات الرسمية الكثيرة، وفي طليعتها زيارة القيصر وليام الثاني والقيصرة أوغستا فكتوريا للقدس عام ١٨٩٨، أثناء عهد صديقهما السلطان عبد الحميد الثاني. بدأت هذه الزيارة للأراضي المقدسة في حيفا، حيث نزل القيصر وبصحبته أكثر من مائتين من الموظفين والأتباع والحرس. وبعد زيارة ليافا، تحرّك الموكب إلى القدس عن طريق الرملة، فاللطرون، فقرية أبو غوش. وبعد قضاء أسبوع كامل في القدس، زار بيت لحم. وقد كانت هذه الفترة مناسبة للدولة لإقامة جميع مظاهر الاحتفاء بالضيف الكبير ومرافقيه، وشجعت مثل هذه الزيارات على ازدياد أعداد الحجاج والزوار، بحيث ارتفع عددهم إلى العشرين ألفاً في نهاية القرن، والى الأربعين ألفاً في عام ١٩١٠، مع كل ما يتبع ذلك من تحسن في الخدمات المختلفة وارتفاع في الدخل لجميع الذين كانت لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع هذه الحركة السياحية[(١)]. ومن الضروري أن نذكر في هذا الصدد أن أعداد السكان في القدس لم تكن كبيرة نسبياً، فقد كانوا واحداً وثلاثين ألفاً عام ١٨٨٠، وازدادوا إلى اثنين وأربعين ألفاً عام ١٨٩٠، والى خمسة وخمسين ألفاً عام ١٩٠٠، والى سبعين ألفاً عام ١٩١٠.

(١) هندريكوس باكوبوس فرانكن [وآخرون]، القدس في التاريخ، حرر الطبعة الإنكليزية وترجمها كامل جميل العسلي (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٢)، ص ٢٨٧.

ولكن هذه الأعداد التي ذكرنا كانت تذكّر أهالي القدس العرب يومياً بالخطر الأكيد بالازدياد المتنامي لأعداد اليهود بينهم، كما يظهر الجدول التالي[٢]:

الجدول رقم (٧ ـ ١)
أعداد السكان في القدس في أواخر القرن التاسع عشر
وأوائل القرن العشرين بحسب طوائفهم

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع
١٨٨٠	٨٠٠٠	٦٠٠٠	١٧٠٠٠	٣١٠٠٠
١٨٩٠	٩٠٠٠	٨٠٠٠	٢٥٠٠٠	٤٢٠٠٠
١٩٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٣٥٠٠٠	٥٥٠٠٠
١٩١٠	١٢٠٠٠	١٣٠٠٠	٤٥٠٠٠	٧٠٠٠٠
١٩٢٢	١٣٥٠٠	١٤٧٠٠	٣٤٤٠٠	٦٢٦٠٠

وقد زاد الأمر سوءاً بعد حصول الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ الذي جاء برجال جمعية الاتحاد والترقي إلى دست الحكم، وهم الذين ساروا على سياسة قومية تركية ترمي إلى تتريك الشعوب الأخرى في الإمبراطورية. وبما أنه كان بينهم عدد من أفراد الدونما الذين كانوا في الأصل يهوداً، فتحوّلوا عن دينهم واعتنقوا الدين الإسلامي، فقد تأثرت الدولة بانحيازهم لليهود، وبدأت الحكومة تعدّل من سياستها المتمثلة في منع بيع الأراضي، وقامت بسنّ قانون يجيز للجمعيات أن تمتلك الأراضي في فلسطين، كما أنها أصدرت قانوناً آخر أباح بيع الأراضي والعقارات السلطانية بالمزاد العلني. فتمكّن اليهود من خلال هذين القانونين من شراء الأراضي قبل وقوع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤[٣].

وعلى الرغم من اشتداد الضغط اليهودي في سبيل تقوية الاستيطان في القدس، فقد استمرت النزاعات بين الطوائف الأجنبية في المدينة، وهي اختلافات كان يقف منها المسيحيون العرب موقف المتفرج في أغلب الأحيان. ففي عام ١٩٠١ نشب صراع عنيف بين الروم الأرثوذكس واللاتين، انتهى بمعركة دامية حين اعترض الروم الأرثوذكس على اللاتين لأنهم كنسوا بعض الدرجات في ساحة كنيسة القيامة. وفجأة بدأ الرهبان اليونان بإلقاء الحجارة على الرهبان اللاتين الذين كانوا في الساحة، فقابلهم هؤلاء بالمثل، مما اضطر الجنود الأتراك إلى التدخل وإيقاف المعركة بعد عناء

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٩.
(٣) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس (القدس: مكتبة الأندلس، ١٩٦١)، ص ٢٩٩.

شديد. وقد أصيب سبعة عشر من الرهبان الفرنسيين بجروح بالغة، وجرح عدد آخر من رهبان الروم الأرثوذكس. والمزعج في هذا الأمر أن هؤلاء الرهبان كانوا في طفرة هذا الحماس العنصري ينسون طبيعة الدين المسيحي التي لا تقبل العنف ويسمحون لأنفسهم بارتكاب مثل هذه الأفعال المشينة في رحاب أقدس كنيسة في أقدس مدينة حسب العقيدة المسيحية.

في هذه الفترة، نلاحظ أن التغلغل الألماني في القدس كان يعتمد على نشاط القنصلية الألمانية في القدس، والعلاقات الوثيقة والمتطورة بين اسطنبول وبرلين، وخصوصاً أن انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين اسطنبول وموسكو إثر اشتعال الحرب عام ١٨٧٧، وطرد القنصل الروسي من القدس، وحثّ الرعايا الروس على المغادرة، ترك المجال للألمان إلى المبادرة لوضع جميع الرعايا والممتلكات الروسية تحت رعايتهم. وقد واكب هذا الحماس في شراء الأراضي والعقارات حماس مشابه قامت به مملكة إيطاليا الموحّدة التي انضمّت إلى ذلك الحماس أسوة بالدول العظمى، وهو ما حصل على حساب النفوذ الفرنسي الذي زاد من تراجعه قطع العلاقات الدبلوماسية بين فرنسا والفاتيكان عام ١٩٠٤[٤].

وقد زاد من حدّة الصراعات المسيحية في القدس، الخلاف الكبير الذي كان واقعاً بين العنصر العربي في بطريركية القدس الأرثوذكسية، والعنصر اليوناني الذي كان رهبانه يسيطرون على المراكز المهمة في البطريركية من جهة، والخلاف الواقع بين الرهبان أنفسهم بالنسبة إلى المناصب المهمة في البطريركية من جهة أخرى. ففي عام ١٨٨٢ كبا جواد البطريرك إيروثيوس (١٨٧٥ ـ ١٨٨٢) عند باب الخليل، مما أدى إلى وفاته، فانتخب ليخلفه فوثيوس رئيس كتبة مجمع كنيسة الكرسي الأورشليمي. غير أن أفتيموس مطران بيت لحم، نظراً لما كان بينه وبين فوثيوس من المنافسة والبغضاء، اعترض على انتخابه بدعوى أنه لم يبلغ الأربعين من عمره، بحسب متطلبات القانون الكنسي، وقام بتقديم شكوى إلى صديقه كامل باشا الصدر الأعظم في اسطنبول، وأخيه صادق باشا متصرف نابلس. وعليه، أمرت الحكومة بإعادة الانتخاب[٥]، فتمّ الاتفاق بين وجوه العرب الأرثوذكس وبين رؤساء الإكليروس على أن يصار إلى تعيين نيقوديموس الوكيل البطريركي في موسكو بطريركاً للكرسي الأورشليمي. فانتخب،

---

(٤) أمين مسعود أبو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس (١٨٥٨ ـ ١٩١٨) (عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٩٦)، ص ٥٨٩.

(٥) خليل ابراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، هذب لغته ناصر عيسى الراصي (القاهرة: مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٢٤)، ص ١٨٦.

ولما تولّى سدّة البطريركية، خشي الرهبان سطوته لأنه كان ذا هيبة وصولة. وفعلاً أصلح الأحوال في البطريركية، وبدأ حركة عمران ساعده فيها أن روسيا أعادت إليه أربعة أخماس واردات أملاك القبر المقدس في بسرابيا والقفقاس، وكانت مرتفعة تقارب النصف مليون روبل، كما أنه اختار الأرشمندريت العربي غراسيموس يارد ليكون واعظاً للكرسي الأورشليمي، فقام بوظيفته خير قيام(٦).

إلا أن الدسائس والمؤامرات في أخوية القبر المقدس لم تهدأ. ففي عام ١٨٩٠ اتهموا البطريرك بأنه يمالئ الروس ويرغب في منحهم امتيازات في كنيسة القيامة، فهدّدوه بالاغتيال. وعندما كان يزور دير مار يوحنا المعمدان في غور الأردن، أطلق أحد الرهبان عليه النار، فجرحه. وفي هذه الفترة أغلقت الأخوية مدرسة المصلّبة اللاهوتية بدعوى عدم توفر الإمكانات المالية ونكاية بالبطريرك، مما أدى إلى استياء كبير في أوساط العرب الأرثوذكس، ولكنهم لم يتمكنوا، بسبب رغبة الحكومة في تغيير الموقف، من دعم البطريرك ضد أخوية القبر المقدس. فاستقال ورحل إلى الأستانة. ومن الجدير بالذكر أنه كان على استقامته يلجأ إلى الوسائل التي أصبحت للأسف تقاليد متّبعة في الأوساط الأرثوذكسية اليونانية. فقد قام بعد اعتلائه الكرسي بالتوجّه إلى دمشق، حيث أقنع بعض وجوه الأرثوذكس فيها وفي بيروت، وبعض مطارنة الكرسي الوطنيين، بقبول المطران غراسيموس بطريركاً للكرسي الأنطاكي، وبذل في سبيل ذلك أربعة آلاف ليرة عثمانية ذهباً، فتمّ له ما أراد، وانتخب غراسيموس بطريركاً(٧). ولما كانت الأمور تتمخض في ذلك الوقت عن تحرك عربي لاسترداد الرئاسة البطريركية للعنصر العربي في بطريركية أنطاكية وسائر المشرق، فقد اعتبر بطريرك القدس اليوناني نيقوديموس الأول (١٨٨٣ ـ ١٨٩٠)، والبطريرك المسكوني يواكيم الرابع في القسطنطينية، والجرائد اليونانية، هذا الانتخاب نصراً للعنصر اليوناني على العنصر العربي. وكان كل هذا يتم في الوقت الذي كان فيه البطريرك غراسيموس يعتبر نفسه وكأنه في المنفى، لأنه كان يرغب في اعتلاء سدّة البطريركية في القدس، وكان لا يفتأ يدسّ الدسائس لأجل عزل البطريرك نيقوديموس واعتلاء الكرسي مكانه بمؤازرة عدد من مؤازريه الكثيرين في أخوية القبر المقدس.

وعند استقالة البطريرك نيقوديموس الأول (١٨٨٣ ـ ١٨٩٠) انتخب رهبان

---

(٦) شحادة خوري ونقولا خوري، خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥)، ص ٢٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

القبر المقدس غراسيموس الأول (١٨٩١ ـ ١٨٩٧) بطريركاً للقدس. فلما بلغته الأنباء ردّ شاكراً، ولما لم يلبّ مطارنة البطريركية الأنطاكية دعوته إليهم للحضور لانتخاب خلف له، رحل إلى القدس، وبدأ سلسلة من المؤامرات لانتخاب يوناني آخر لاعتلاء سدّة بطريركية أنطاكية، وأفلح في أن ينصّب مطران الطور القبرصي الأصل اسبيريدون، على رغم معارضة الأهالي في أرجاء البطريركية. كما أنه أهمل الردّ على مطالب الوطنيين في بطريركية القدس. ومع ذلك لم يفلح في نيل رضى أخوية القبر المقدس، ولا سيما أعضاء المجمع المقدس الذين كانوا يسخطون عليه بسبب اعتماده على المطران فوثيوس في جميع أموره. فلما أصيب بمرض عضال، سافر إلى باريس للمعالجة، وتوفي عند عودته في عام ١٨٩٧.

وبحسب العادة، بدأت المنافسة الشديدة للحصول على المنصب، ولما تبيّن للمطران فوثيوس أن الرهبنة لن تنتخبه، ساند انتخاب ذاميانوس القائمقام البطريركي رئيس أساقفة فيلادلفيا. فأصبح هذا بطريركاً في ١٥ آب/ أغسطس ١٨٩٧، وكان من أول قراراته إبعاد المطران فوثيوس من البطريركية ليكتسب ثقة أعضاء المجمع المقدس، فعيّنه مطراناً للناصرة، وسعى إلى تأييده إلى أن انتخب بطريركاً للإسكندرية، في الوقت الذي كان فيه عضواً في أخوية القبر المقدس. وقد واكب عهد البطريرك ذاميانوس الأول (١٨٩٧ ـ ١٩٣١) إعلان الدستور العثماني في ١١ تموز/ يوليو ١٩٠٨، وكانت المادة ١١١ من القانون الأساسي «تبيح إقامة مجلس لكل ملّة يكون من خصائصه النظر بمداخيل المسقفات والمستقلات والنقود الموقوفة، لكي تصرف بحسب شروط واقفيها، والمناظرة أيضاً على صرف الأموال الموصى بها. وأما هذه المجالس، فإنها تعرف الحكومة المحلية ومجالس الولايات مرجعاً لها». فقام العرب الأرثوذكس بتشكيل مجلس مليّ مؤلف من أربعين عضواً، وقابل وفد منهم مع ستة من الكهنة العرب البطريرك يوم ١٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٠٨، وأعلن له أن الملّة الأرثوذكسية قد ألفت مجلسها الملّي ليقوم بتنفيذ المادة ١١١ من القانون الأساسي. ولكن البطريرك لم يقبل بالتعاون، مما اضطر الوطنيين إلى الاحتجاج، حيث أقفل الشعب كنيسة مار يعقوب[٨]. وعلى رغم ذلك، انتشر في صفوف رهبان الأخوية الاعتقاد أن البطريرك غير مؤهل للوقوف أمام تيار النهضة الوطنية، فارتأوا خلعه، وأرسلوا إليه إخطاراً طلبوا منه أن يستقيل. فأبى، وفي اليوم التالي كادوا له مكيدة، فعنّفوه تعنيفاً شديداً حتى اضطروه للخروج من جلسة المجمع المقدس قبل أن يحلّ الجلسة. فكتبوا قرار الاستقالة في دفتر السينودس، أي المجمع، وأردفوه بقرار الخلع.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

وكانوا يتهمونه بأنه يميل إلى الوطنيين ويجتمع بهم، فتألبت عليه جميع الكنائس اليونانية بلا استثناء. وقد أدت هذه التطورات إلى تعقيد جديد في القضية الأرثوذكسية في القدس بسبب الاختلاف الشديد بين الرهبنة والبطريرك. وكان الأرثوذكس الوطنيون عندما علموا بإسقاط البطريرك قد انتصروا له، لأنهم رأوا أن انفراد الأخوية بالأمر استبداد وتعدّ على حقوق الأرثوذكس، فأقاموا التظاهرات، وأرسلوا وفداً كبيراً إلى الأستانة، فوصلوا إليها في أوائل كانون الثاني/ يناير ١٩٠٩.

وفي ٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٠٩ امتدت الحركة الأرثوذكسية إلى أنحاء البلاد، فقام الوطنيون بطرد الرؤساء الروحيين من الأديرة واحتلوها. ولا شك في أن تردّد الحكومة وقيام موظفيها بالمحاولات المعهودة زاد الأمور تعقيداً، وخصوصاً أن المعروف عن البطريرك ذاميانوس أن المال كان معبوده الوحيد يحصّله بكل وسيلة، ويفيض نسبة كبيرة منه على رجال الحكومة، وهؤلاء الذين يمكن أن يخدموا أغراضه[٩]. وقد تمكّن هذا الرجل من البقاء على سدّة البطريركية حتى عام ١٩٣١، وقد جلب فيها أكبر قسط من العجز والقصور في إمكانيات البطريركية الأرثوذكسية، مما جعلها تصبح في نهاية القائمة من حيث خدماتها للرعية ورفع شأن الأرثوذكسية في البلاد المقدسة[١٠].

لقد كانت الأحوال الاقتصادية في المدينة المقدسة مناسبة، إذ إن الازدهار العمراني الذي ذكرنا بعض التفصيلات عنه كان يؤدي إلى عمالة كاملة لجميع العاملين في حقول البناء والإنشاءات. وقد استفادت من ذلك القرى والمدن المجاورة، حيث نشأ في بيت لحم وبيت جالا تخصص حرفي في مهن البناء المختلفة. أما الناحية الاقتصادية الأخرى التي كانت تشغل بال أهل القدس، وعلى الأخص المسيحيون منهم، فكانت السياحة الدينية، حيث تبارت أديرة الطوائف المختلفة على إنشاء النزل لاستقبال هؤلاء الزوار، علماً بأن عدداً لا بأس به من سكان القدس من الجالية اليهودية كانوا يعيشون بشكل مباشر أو غير مباشر على مختلف أنواع الصدقات التي كانت تجمع من أوروبا[١١]. إلا أن التجارة بأنواعها المتعددة ظلت عماد الحركة الاقتصادية، وكانت تشتمل على الاستيراد عن طريق ميناءي غزة ويافا لجميع البضائع التي يحتاج إليها السكان من إنتاج أوروبي أو مصري، بينما كانت الطرق البرية هي

(٩) قزاقيا، المصدر نفسه، ص١٨٩ و١٩٠.
(١٠) انطوان برترام وج. و. أ. ينغ، تقرير اللجنة ـ بطريركية أورشليم الارثوذكسية، ترجمة وديع البستاني (القدس: [د. ن.]، ١٩٢٥)، ص ٤٧.
(١١) فرانكن [وآخرون]، القدس في التاريخ، ص ٢٨٤.

الشريان الحيوي لتزويد القدس بالحبوب من المناطق الأردنية. وقد برزت في هذا المجال عائلات اشتغلت بالتجارة من أمثال بطاطو وطليل ونصار وأبو صوان وحلبي، وقد تمكّنت من الامتداد شرقاً والاستثمار في الأراضي والعقارات، بحيث ارتهنت بعضها وتملّكت البعض الآخر في أثناء قيامها في الوقت نفسه بتجارة الحبوب، وخصوصاً القمح، وكذلك السمن والصوف.

ورد في سياق هذا البحث ذكر للعهد الحميدي الذي اتسم بالقسوة والعنف والتجسس على الناس من خلال ثلاثين ألف جاسوس[١٢]، علماً بأن حكم السلطان عبد الحميد هذا امتد بين عامي ١٨٧٦ و ١٩٠٨. ولذلك ليس من المستغرب أن يكون هنالك هذا التوجّه المستمر نحو العمل الوطني بين أوساط العرب المسلمين والمسيحيين، وخصوصاً أنهم كانوا يشعرون بخطر الاستيطان الإسرائيلي وازدياد أعداد اليهود القادمين من مناطق بعيدة، وفي الوقت نفسه لا يرتاحون إلى تطورات الموقف في الأستانة بعد أن سيطرت فعاليات الاتحاد والترقي على مجرى الأمور في الدولة العثمانية، وأكدت هويتها التركية التي كان العرب يشكون منها بسبب التمييز الذي كانت تباشره في علاقاتها بالمناطق العربية، علماً بأن الحياة المسيحية في القدس التي كانت تتأثر بشكل مباشر بالوجود الأوروبي فيها، كانت تتحسس الخلافات الدولية التي كانت تؤدي بدورها إلى خلافات بين الجاليات المختلفة في القدس نفسها، وهي التي كانت في الأساس سبب حرب القرم عام ١٨٥٦. وقد يكون عام ١٨٩٤ نقطة تحول عندما شعرت كل من فرنسا وروسيا بنيات ألمانيا التوسعية بعد أن قام مستشارها بسمارك عام ١٨٧٩ بعقد اتفاق عسكري مع النمسا، وقد شاركت فيه إيطاليا بعد ثلاث سنين، بحيث أصبح الحلف الثلاثي، مما أوجد شعوراً بالخطر لدى بقية الدول الكبيرة. ولكن بريطانيا رفضت الدخول في الحلف العسكري الدفاعي الذي عقدته فرنسا وروسيا، وقد اضطرت لمراجعة حساباتها عندما بدأت ألمانيا في بناء أسطول ضخم، مما جعلها تدخل في عام ١٩٠٤ في تعاهد مع فرنسا في ما سمي «الاتفاق الودي» (Entente Cordiale). ومع أنه لم يكن حلفاً رسمياً، فإنه بلا شك أوجد تعاوناً بين الدولتين لكبح جماح السيطرة الألمانية في أوروبا. وفي عام ١٩٠٧ قامت بريطانيا كذلك بتسوية خلافاتها مع روسيا، وعلى هذا أصبح الاتفاق يشمل بريطانيا وفرنسا وروسيا في الوقت الذي كان الحلف الدفاعي المقابل فيه يشمل ألمانيا والنمسا وإيطاليا وينذر بإشعال فتيل الحرب في أي وقت.

---

(١٢) جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تقديم نبيه أمين فارس؛ ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢)، ص ١٧٥.

لا تتوفر لنا في هذه الفترة معلومات أكيدة عن مشاعر السكان الحقيقية بسبب الخوف الذي كان يعتري الناس من الحكومة الجائرة، وخصوصاً المسيحيين العرب الذين كانوا يحاولون تأكيد هويتهم العربية في الوقت الذي كانت فيه العناصر التركية تتخذ مواقف غير ودّية تجاه العرب جميعاً، ناهيك عن العناصر التي كان لها توجّه إسلامي يؤكد أهمية استبعاد المسيحيين من كل ما كان له شأن بالحكومة أو الجيش. وكانت هذه الأمور تجري في الوقت الذي كانت فيه الخلافات الشديدة بين العرب الأرثوذكس والرهبان اليونان في البطريركية الأرثوذكسية في القدس تعقّد الأمور أكثر فأكثر. والظاهر أن المسيحيين في هذه الفترة لم يكونوا يطمئنون إلى نيات الحكومة العثمانية تجاههم، وخصوصاً أن القرارات كانت تباع وتشترى، وكانوا يضطرون إلى الدخول في هذه الأوضاع الفاسدة للمحافظة على معيشتهم وموارد رزقهم. وقد أورد السكاكيني نبذة عن لقاء بينه وبين وفد من مسيحيي يافا مؤلف من فرنسيس الخياط وحنا العيسى، وكان الأول لاتينياً، والثاني أرثوذكسياً، جاء يوم السبت في ١٤ آذار/ مارس ١٩١٤، أي قبل اشتعال الحرب العظمى الأولى بعدة أشهر، لدعوة المسيحيين إلى تأليف حزب سياسي للمحافظة على حقوق المسيحيين الذين هم الأقلية في البلاد. وقد أثبت في يومياته ما يلي:

«في المساء زارني فرنسيس الخياط وحنا العيسى، فجلسنا نتباحث في الأمر الذي حضرا من يافا لأجله. وبعد أخذ ورد في هذا الموضوع، قلت: «إذا كان غرضكم سياسياً، فأنا لا أستحسنه لأني عربي قبل كل شيء، وعندي أن الأفضل أن نؤلف حزباً وطنياً لجمع كلمة أبناء الوطن على اختلاف المذاهب والنحل لتنبيه الشعور الوطني وبث روح جديدة في النفوس. وحينئذ فإذا كان المنتخبون لمجلس المبعوثين مسلمين أو مسيحيين، فإنهم يشتغلون لما فيه خير الوطن»».

وبما أننا لم نسمع قط عن تأليف حزب مسيحي، فالواضح أن الأغلبية العظمى بينهم لم تكن تفضل مثل هذا التوجّه على أساس أنهم عرب ولا حاجة بهم إلى حزب كهذا. الا أنه من الضروري أن نذكر أن المسيحيين في فلسطين لا بد وأنهم شعروا بالتجاوز عنهم الذي أبدته الدولة العثمانية عندما لم تعيّن أي منهم لعضوية مجلس المبعوثان الأول عام ١٨٧٦، ولم يعيّن واحد منهم لعضوية مجلس المبعوثان الثاني، بحيث بقي التمثيل محصوراً بمندوب مسلم واحد هو يوسف ضيا الخالدي، بينما ضمت قائمة إعادة مجلس المبعوثان يوم ٢٤ تموز/ يوليو ١٩٠٨ خمسة فلسطينيين هم: روحي الخالدي من القدس، وسعيد الحسيني من القدس، وحافظ السعيد من يافا، والشيخ أحمد الخماش من نابلس، والشيخ أسعد الشقيري من عكا، ولم يكن بينهم

مسيحي واحد(١٣). وكذلك كان الحال بالنسبة إلى الانتخابات عام ١٩١٢، حيث كان هنالك خمسة نواب من فلسطين، اثنان منهم من القدس، هما روحي الخالدي وعثمان النشاشيبي، وستة نواب في انتخابات عام ١٩١٤، ثلاثة منهم من القدس، هم راغب النشاشيبي وسعيد الحسيني وفيضي العلمي.

إلا أن الأيام مرت بطيئة متشابكة، واستمرت الأمور على حالها حتى ٢٨ حزيران/يونيو ١٩١٤، عندما اغتيل الأرشيدوق فرنسيس فرديناند النمساوي وقرينته في سراييفو عاصمة البوسنة، على يد المتآمرين الصرب الذين كانوا يقاومون الاحتلال النمساوي للبوسنة عام ١٩٠٨. ونتيجة للتطورات التي تبعت هذا الحدث، قامت النمسا بإعلان الحرب ضد صربيا في ٢٨ تموز/يوليو، ولحقتها ألمانيا بإعلان الحرب ضد روسيا في ١ آب/أغسطس، وبعد ذلك ضد فرنسا في ٣ آب/أغسطس. وعندما دخلت الجيوش الألمانية الأراضي البلجيكية، قامت بريطانيا بإعلان الحرب على ألمانيا في ٤ آب/أغسطس ١٩١٤، مما أدخل هذه الدول في أتون الحرب، بينما أعلنت إيطاليا أنها لن تتدخل بسبب أن الحرب ليست دفاعية بالنسبة إلى ألمانيا والنمسا، ولكنها في أيار/مايو ١٩١٥ رأت من المناسب أن تنضم إلى الحلفاء، بعد أن تلقت وعوداً باستلام مناطق إيطالية كانت خاضعة للحكم النمساوي. أما تركيا التي كانت تعتبر في الأوساط الأوروبية محميّة لألمانيا، فإنها قامت عند اندلاع الحرب بتوقيع معاهدة سرية مع ألمانيا، ولكنها بعد شهرين دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا، وتبعتها في ذلك بلغاريا بعد سنة، بينما قامت اليونان ورومانيا بعد تأخير بالدخول إلى جانب الحلفاء، مما جعل الدول الأوروبية جميعاً تشارك في الحرب باستثناء إسبانيا وهولندا والدول الاسكندنافية وسويسرا. وقد ظلت الولايات المتحدة خارج الحرب حتى ٢ نيسان/أبريل ١٩١٧ عندما أعلن الرئيس وودرو ويلسون أمام جلسة خاصة للكونغرس دخولها الحرب «للحفاظ على مبادئ السلام والعدل في حياة العالم».

هذه الأحداث المتتالية جعلت الحياة في القدس تتحول إلى حياة الشدّة التي تجلبها الحروب. وفي مذكرات أ. خليل السكاكيني تبدو لنا لمحات عن هذه الأحوال التي تغيّرت فجأة، بحيث إن الناس الذين كانوا يشاهدون مرور الفرق العسكرية الذاهبة إلى الحرب وقفوا، وكأن أحداً أخذ بمخنقهم، لا يتكلمون، وقد تولاهم

(١٣) انظر: خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، اعدتها للنشر هالة السكاكيني (القدس: المطبعة التجارية، ١٩٥٥)، ص ٧١؛ روبرت ديفرو، **العهد العثماني الدستوري الأول** (بلتيمور: [د. ن.]، ١٩٦٣)، ص ٢٦١و٢٦٩، وحسان حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩**، ط ٣ (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص ٣٠٠.

الانقباض وتملكتهم الوحشة. كما أن الحرب علّمت الناس الاقتصاد، بل التقتير، فقد كان مصروف العائلة اليومي لا يتجاوز الثلاثة قروش، وهو كناية عن الخبز والعنب والسلطة، وكأن الشدّة قد غيّرت من طبيعتهم، فأصبحوا أكثر شجاعة لا يبالون بشيء، وأصبحوا أقرب إلى البساطة في لباسهم ومعيشتهم[١٤]. إلا أن الحكومة، على ما يروي السكاكيني، أثقلت على الناس في تكليفها الأهالي بتدبير لوازم العسكر، بحيث جاوزت الحدّ، وجعلت الناس يضجون من ثقل هذه التكاليف، ويخشون من أن لا يبقى شيء بين أيدي الناس. فلما نفد الحطب، قطعت أشجار الزيتون، واستولت الحكومة على المستشفيات الإنكليزية والفرنسية والروسية، وجعلت الرهبان والراهبات يخلون الأديرة، وأعلنت شبه منع تجول يبدأ في الساعة السابعة مساء، كما أن المسؤولين أذاعوا أن هذه الحرب تعتبر جهاداً مقدساً. وفي ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٤، خرج المنادي يدعو الناس إلى اجتماع عمومي في ساحة الحرم الشريف للاحتجاج على روسيا وإنكلترا، فأقفلت المدينة وطاف الشبان المسلمون والمسيحيون بالأعلام، ثم نزلوا إلى الحرم، مسلمين ومسيحيين وإسرائيليين، حيث ألقى فيهم الشيخ عبدالقادر المظفر خطبة حماسية تحركوا بعدها إلى العمارة الروسية، حيث نادوا بسقوط الدولة الروسية الظالمة، ثم إلى دار القنصلية الألمانية، حيث حيّاهم قنصل ألمانيا وخطب فيهم بالتركية، شاكراً عواطف الأمة العثمانية نحو الأمة الألمانية، متمنياً لتركيا وألمانيا النصر على الأعداء[١٥].

واستمرت الحرب بكل ما فيها من معاناة وتعطيل للأعمال وانقطاع للزوار ونقص في الأرزاق والمؤن التي ارتفعت أسعارها بشكل كبير. فكانت الأيام تمر ثقيلة وصعبة بالنسبة إلى جميع السكان في القدس، لا فرق في ذلك بين جنس ودين، حتى إذا جاء اليوم التاسع من كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧ دخل الجيش الإنكليزي القدس دون أي قتال فيها، بعد أن استسلم الأتراك. وعندها انتهى عهد الخوف، وبدأ عهد القلق والانتظار بعد أن علم الناس عن انسحاب روسيا من الحرب في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧، وصدور وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧. وقد يكون إميل الغوري الزعيم الفلسطيني المعروف قد وصف الأمور بشكل جيد عندما تكلم على الملامح الاجتماعية في القدس في أواخر العهد العثماني، فكتب يقول: «إن التحسس بالطائفية والتمسك بالاعتبارات المحلية والإقليمية كانا لا يزالان قائمين في فلسطين، ولم يشكل التقسيم الطائفي والشعور بالطائفية مانعاً للاختلاط والتعامل في

---

(١٤) السكاكيني، المصدر نفسه، ص ٧١.
(١٥) المصدر نفسه، ص ٨٣.

شتى مجالات الحياة، كما أن الاعتبارات المحلية كانت تقوّض الطائفية. فالقدس مقسمة إلى أحياء (حارات) شبه مستقلة، والمسلمون والمسيحيون من سكان الحي الواحد يعتبرون أنفسهم مجموعة قائمة بنفسها. وكان لسكان القدس اليهود حي خاص بهم، ولهم خارج السور أحياء جديدة. واقتصرت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين وبين اليهود على العلاقات التجارية وعلاقات شخصية محدودة، ولكن اليهود كمجموعة لم يتعرضوا لأي اضطهاد»[١٦]. ومن الضروري هنا أن نذكر أن الغوري لم ينشأ نشأة طائفية بحكم البيئة التي عاش فيها، فقد ذكر أن البيت الذي ترعرع فيه كان من البيوت التي تسرّب إليها الشعور بالعروبة. وقد ذكرت مقالة عن الغوري في الموسوعة الفلسطينية أن ذلك الشعور بالعروبة يرجع بصورة رئيسية إلى الحركة الأرثوذكسية التي قامت في القدس، ثم امتدت إلى سائر أنحاء فلسطين وشرقي الأردن، وهي حركة عربية محضة وشكلت بحقيقتها ودوافعها وتطوراتها قاعدة رئيسة من القواعد التي انطلقت منها الحركة الوطنية في فلسطين في القرن العشرين[١٧]. وقد لاقت حركة التعريب هذه في البطريركية الأرثوذكسية في القدس دعماً من المسلمين، مما جعل الغوري يقول: «إن ذلك أكبر دليل على نمو الروح العربية والشعور بالعروبة في فلسطين».

(١٦) إميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ٣ ج (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٢)، ج ٢: ١٩٢٢ ـ ١٩٣٧، ص ١٢.

(١٧) الموسوعة الفلسطينية، ٢ قسم في ١٠ مج (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠)، قسم ٢: الدراسات الخاصة في ستة مجلدات، مج ٢: الدراسات التاريخية، ص ٧٩٥.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الثامن

سقوط القدس بيد الحلفاء واشتداد الصراع

كانت نهاية الحرب العظمى الأولى بالنسبة إلى القدس في التاسع من كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧ عندما دخلتها القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي، فخضعت أواسط وجنوب فلسطين للإدارة العسكرية البريطانية المباشرة حتى تموز/ يوليو ١٩٢٠. وقد تحسس خليل السكاكيني هذه التطورات القادمة نتيجة لذلك، فكتب في مذكراته يوم السبت في ١٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧، أي قبل شهر من احتلال القدس قائلاً:

«منذ تسعة أيام أخذت الحكومة العثمانية تنسحب من القدس لأن الجيش الإنكليزي أصبح على الأبواب، وقد اختلفت آراؤهم في مصير القدس أو مصير فلسطين. فالبعض يقول إنها ستصير إنكليزية لأن الإنكليز هم الفاتحون، والبعض يقول إنها ستلحق بمصر، والبعض إنها ستصبح حرة. البعض يتأسفون على العهد العثماني ويتخوفون من العهد الجديد، لأنهم ألفوا القديم ولم يألفوا الجديد. البعض من المسلمين من الطراز القديم يتأسفون على تقلص ظل العثمانية عن هذه البلاد لأنهم يعتقدون أن ذهابها من هذه البلاد ضربة على الإسلام، وأن دخول الإنكليز يعزز النصرانية، ويعلي شأن الصليب. كما أن هناك فريقاً من المسيحيين الصعاليك من ينتظر مجيء الإنكليز لتعتز النصرانية. ومهما يكن الأمر، فإن هذه الأيام أهم أيام فلسطين التاريخية، وقد مرّت أجيال عليها وهي تنتظر مثل هذه الأيام»[١].

أما د. علي المحافظة، فقد ذكر، بعد أن سجل أفكار السكاكيني، أن بين الفريق الذي رحب بالانكليز أولئك الذين تأثروا بالنشاط الإعلامي للثورة العربية الكبرى. وأشار إلى مقالة الشيخ محمد القلقيلي، رئيس تحرير جريدة الكوكب، وقصيدة الشيخ علي الريماوي في مدح بريطانيا، والتي نشرت في ملحق جريدة فلسطين بمناسبة مرور السنة الأولى على احتلال القدس[٢].

---

(١) خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، أعدتها للنشر هالة السكاكيني (القدس: المطبعة التجارية، ١٩٥٥)، ص ٩٠.

(٢) علي محافظة، «التيارات السياسية في فلسطين في عصر النهضة،» ورقة قدمت إلى: المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، ص ٣١٠ ـ ٣١١.

كانت الأيام التي أعقبت احتلال الجنرال اللنبي للقدس تنذر بالشر الذي جلبه التواطؤ الإنكليزي مع الصهيونية، والتنصل المطلق من التعهدات التي كانت الحكومة البريطانية قد أعطتها للجانب العربي برئاسة ملك العرب الحسين بن علي، لتشجيعهم على القيام بالثورة العربية ضد الحكم العثماني. وقد صعق العرب عموماً عندما علموا عن طريق الأنباء التي نشرت في صحف لندن يوم ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧ أن بريطانيا العظمى بشخص وزير خارجيتها اللورد آرثر بلفور قد أصدر بتاريخ ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧ كتاباً موجهاً إلى اللورد روتشيلد مؤكداً فيه «أن حكومة بريطانيا تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين»[٣]. إلا أن ردّة الفعل في فلسطين على وعد بلفور كانت ضعيفة، كما يقول د. علي محافظة. ويورد لذلك أسباباً عدة، نقلاً عن خليل السكاكيني، وهي «أن العرب كانوا من الضعف والإعياء بحيث لا يستطيعون معهما أن يهتموا بشيء، وأنهم قدروا أن الوعد قد صدر لضرورات حربية اقتضتها أوضاع الحرب العالمية الأولى»[٤]. الا أنه من الإنصاف أن نذكر أن العرب في فلسطين، على رغم الظروف القاسية وأوضاع الحرب، لم يتأخروا في إعلان احتجاجهم على وعد بلفور. فالجمعية الإسلامية المسيحية في يافا قدمت احتجاجاً شديد اللهجة إلى الجنرال اللنبي في أيار/ مايو ١٩١٨، وأتبعته بمذكرة إلى الجنرال كلايتون في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٨[٥].

كان عرب فلسطين ينظرون إلى هذه التطورات بعين الحذر بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وكانت عواطفهم تساند الحكومة العربية التي أقامها الملك فيصل في دمشق. وخير من كان يمثل الشعور العام بين السكان هو هذا التجمع الذي كان عنوانه «الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس»، وكان من أعضائها المسلمين عارف الدجاني وموسى كاظم الحسيني ومحمد يوسف العلمي وجميل الحسيني والشيخ طاهر أبو السعود وجودة النشاشيبي، ومن المسيحيين الأرثوذكس خليل السكاكيني ويعقوب فرّاج والياس مشبك وأنطوني الغوري وإبراهيم شماس، ومن المسيحيين اللاتين شكري الكارمي وبطرس الحلاق ولطفي أبو صوان، ومن البروتستانت شبلي الجمل. وكان عدد الأعضاء فيها يزيد على الأربعين، وكان هنالك أيضاً النادي العربي والمنتدى الأدبي، وقد قاما بالاحتفال بعيد استقلال العرب في ٩/ ٥/ ١٩١٩ إحياء لذكرى الثورة العربية التي انطلقت في ٩ شعبان ١٣٣٤هـ، وحضر الحفلة معتمدو الدول

---

(٣) الموسوعة الفلسطينية، ٢ قسم في ١٠ مج (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠)، قسم ١: القسم العام في أربعة مجلدات، مج ١: أ ـ ث، ص ٤١٦.

(٤) محافظة، المصدر نفسه، ص٣١٠.

(٥) السكاكيني، كذا انا يا دنيا، ص ١٣٨.

والضباط البريطانيون، واختتمت بالنشيد الذي كان وضعه السكاكيني يوم التحاقه بالجيش العربي ومطلعه[٦]:

أيهـــا المولى الـــعـــظـــيـــم　　فـــخـــر كـــل الـــعـــرب

مـــلـــكـــك الملك الـــفـــخـــيـــم　　مـــلـــك جـــدك الـــنـــبـــي

والحقيقة أن الفلسطينيين عادوا وقدموا وجهة نظرهم الجماعية في هذا الموضوع المهم في عام ١٩٢١ عندما أرسلوا وفداً رسمياً إلى لندن مطالبين بنقض التصريح لأنه يتعارض مع عهد عصبة الأمم[٧].

كانت هذه الأمور المصيرية تتمحض في الوقت الذي كانت فيه الحكومة البريطانية سائرة في تنفيذ برنامجها. ففي يوم ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧، أي بعد أربعين يوماً من دخول القوات البريطانية إلى القدس، قام الجنرال اللنبي القائد العام لهذه القوات بتعيين السير رونالد ستورز (Sir Ronald Storrs) حاكماً عسكرياً للقدس[٨]. وكانت أولى مهامه تأمين القوت الضروري لسكان المدينة بعد أن كان الجوع قد انتشر بينهم، وبناء على اتصال له مع القائد العام بدأت تصل إلى المدينة سيارات الشحن من الساحل محملة بالطحين، وذلك تعويضاً عن النقص الذي حصل نتيجة انقطاع التموين من شرقي الأردن التي كان ما زال في قبضة القوات العثمانية. وبعد أن تمّ التغلب بشكل مرض على هذه الصعوبة، وجّه الحاكم العسكري الجديد اهتمامه نحو معالجة النواحي المعيشية الأخرى. وهو يذكر في مذكراته زياراته لجميع الهيئات والمواقع الدينية، ومن بينها زيارة إلى مجمع اليهود الأوروبيين الأشكناز الذين كانوا يعرفون في القدس بالسكناج، وهم الذين لا يعرفون سوى اللغة اليهودية التي كانت منتشرة في شمال أوروبا والمسماة باليديش، وقد طلبوا منه أن يزوّدهم بنسخة أصلية من وعد بلفور. كما يذكر أن عدد اليهود السكناج هؤلاء في القدس يبلغ ستة عشر ألفاً، بينما يبلغ عدد اليهود الشرقيين الذين يعرفون بالسفارديم أربعة عشر ألفاً، في الوقت الذي لم يتمكن من معرفة عدد اليهود الذين وفدوا من بخارى الموجودين في المدينة، وما زالوا يلبسون أزياءهم التي كانوا يلبسونها في بلدانهم الأصلية، ولا عدد اليهود اليمنيين. أما بالنسبة إلى البطريركية الأرثوذكسية، فيذكر أنه كان في استقباله ثمانية من المطارنة، وحوالى اثني عشر من الكهنة والمساعدين الذين أعلموه أن البطريرك اليوناني ذاميانوس (Damianos) كان قد نفاه الأتراك مع جميع أعضاء

---

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص ١٨٢، والموسوعة الفلسطينية، ص ٦٥.

(٧) الموسوعة الفلسطينية، ص ٤١٧.

(٨) Ronald Storrs, *Orientations* (London: Nicholson and Walson, 1943), p. 285.

المجمع إلى دمشق(٩). وقد تظلموا له من أن هؤلاء الأتراك نهبوا جميع موجودات البطريركية، وأنهم تمكنوا بشقّ الأنفس من المحافظة على المكتبة والأيقونات والقناديل، وبعدها قام بزيارة إلى الحرم القدسي، وأرسل بتحياته إلى المفتي كامل الحسيني. وفي اليوم التالي زار رئيس البلدية حسن الحسيني ابن عم المفتي، حيث علم أن عدد المسلمين يقارب الأحد عشر ألف نفس من السنّة أتباع المذهب الشافعي أو المذهب الحنفي. أما بخصوص الأرمن، فقد قام بزيارة البطريركيتين الأرثوذكسية والكاثوليكية، حيث وجد أن دير الأرمن الأرثوذكس في حارة الأرمن يشكو من غياب البطريرك أورمانيان (Ormanian) وأعضاء المجمع المقدس الذين أبعدهم الأتراك إلى دمشق(١٠)، وأن عدد الأرمن الأرثوذكس في القدس يتراوح بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ نفس مع حوالى ثلاثمائة من اللاجئين، بينما كان اللاجئون الأرمن في السلط يزيدون على عدة مئات، وكانت حاجتهم الكبرى هي إلى الطعام. وقد سمع الحديث نفسه في البطريركية الأرمنية الكاثوليكية، حيث لا يزيد عدد أفراد الرعية على المائة والخمسين، مع عدد صغير من اللاجئين وعدد يراوح الأربعمائة لاجئ في مدينة السلط. أما الروس، فكانوا قد غادروا جميعاً، بينما اضطر الألمان إلى المغادرة بسبب الحرب، مما ترك المجال واسعاً لنشاط الرهبان والإرساليات من جنسيات الدول الحليفة: بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. ففي الجانب اللاتيني، كان هنالك الكاردينال كماصي (Camassei) البطريرك اللاتيني، والراهب فرديناندو دايوتاليفي (Ferdinando Diotallevi) كبير الرهبنة الفرنسسكانية، حيث اضطر إلى أن يطمئنهما إلى أن البروتستانت لم يكونوا يحاولون التبشير بين صفوف اللاجئين عن طريق إقامة الصلوات باللغة الإنكليزية، وإنما كانوا فقط يرتّبون لهم مكان الصلاة في الدير الذي وضعته بطريركية اللاتين تحت تصرف اللاجئين من السلط، وذلك لتمكينهم من إقامة الصلاة بلغتهم العربية(١١).

وبالإضافة إلى هؤلاء اللاجئين من السلط، يذكر حاكم القدس العسكري أن الهاربين من معاملة الأتراك السيّئة تبعوا القوات البريطانية التي اضطرت إلى إطعامهم وإسكانهم، وأنه كان بينهم سبعة آلاف من اللاجئين الأرمن والسريان واللاتين والأرثوذكس والبروتستانت والمسلمين(١٢). ومن الملاحظ أنه لا يذكر المسلمين إلا في نهاية القائمة لأن أعدادهم لم تكن كبيرة، مما يظهر أن التشدّد التركي تجاه السكان غير

---

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٩٣.
(١١) المصدر نفسه، ص ٢٩٥.
(١٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

المسلمين كان أشدّ لكونهم مسيحيين، مثلهم في ذلك مثل الحلفاء الذين كانوا يحاربون الدولة العثمانية، إلا أن السكان عموماً في المدينة المقدسة لم يتعرّضوا للمعاناة بالطريقة نفسها التي عانى فيها السكان تحت حكم الأتراك في مناطق أخرى، وخصوصاً في لبنان.

إن احتلال القدس من قبل الإنكليز، كان ولا شك مصدر سرور وفخر كبيرين لهم، في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون والإيطاليون يشعرون بنقص كبير في نتائج مشاركتهم أثناء الحرب العظمى لعدم حصولهم على أي جزء من هذا الإنجاز العظيم. وقد ألمح ستورز إلى شعور عدم الرضا هذا الذي كان يبديه زميله في البعثة البريطانية الفرنسية الملحقة بالحملة في فلسطين. ففي إحدى ملاحظاته يقول إن جورج بيكو يشكو إلى درجة الإزعاج من عدم اعتبار الوجود الفرنسي على قدم المساواة مع الوجود البريطاني، بحيث إنه أشار إلى رسالة مارك سايكس، وهو الذي كان زميلاً لبيكو في إعداد اتفاقية سايكس ـ بيكو المشهورة لتقسيم بلاد الشام بين الحلفاء، والرسالة مؤرخة بتاريخ ١٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧، حيث يقول فيها «لقد فهمت من بيكو أنه جداً مستاء من وجوده، ومن الوضع العام للإفرنسيين في فلسطين»[١٣].

يذكر المؤلف كذلك الصعوبات التي واجهها عندما اشتكى عدد من المسيحيين العلمانيين بأنه لا يجوز أن تظل مفاتيح كنيسة القيامة في عهدة آل نسيبة وآل جودة الذين يرجح أنهم تولوا هذه المهمة منذ عهد السلطان الملك الكامل بعد أن وقع معاهدة عام ١٢٢٩ مع الإمبراطور فريدريك الثاني أثناء الحروب الصليبية، وكيف أنه لجأ إلى قواعد الستاتيكو لحلّ هذا الإشكال عندما أعلم المحتجين بأنه من الضروري التمسك بمتطلبات الستاتيكو، أي الوضع الراهن[١٤]. ومن المفيد أن نذكر في هذا الصدد بأن الحماية الثلاثية من قبل الحلفاء ظلت سارية منذ احتلال القدس وحتى انتهاء مؤتمر سان ريمو في نيسان/ أبريل ١٩٢٠، وأنه على الرغم عن ذلك، فقد بقيت الحراسة الثلاثية من قبل الجيش البريطاني والكتيبة الفرنسية والكتيبة الإيطالية على باب كنيسة القيامة حتى تمّ سحبها جميعاً بترتيب مشترك عام ١٩٢٢.

وكانت هنالك مشاكل أخرى بين الطوائف المختلفة، وبين بعض تلك الطوائف والسلطة العسكرية. فقد حاول الحاكم العسكري ستورز إقناع رهبان الفرنسيسكان بعدم بناء كنيسة على أنقاض كنيسة جستنيان (Justinian) في حديقة الجثمانية الخالية من البناء والواقعة قرب الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، على أساس أن بقاءها كما ظلت

---

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

لقرون عديدة هو أدعى إلى تعرّف الناس على طبيعة الحياة التي عاشها السيد المسيح في القدس قبل تسعة عشر قرناً ونيف. ولكنه لم يفلح في مسعاه، وبنيت كنيسة الجثمانية الرائعة في حديقة الجثمانية. أما في حالة أخرى، فقد أفلح في إقناع الطوائف الثلاث التي تشارك في المزارات، بحسب ترتيبات الستاتيكو، بأن تتم إزالة الحائط الذي أقامه بطريرك الروم الأرثوذكس أمام الأيقونستاس في كنيسة المهد في بيت لحم في أوائل القرن التاسع عشر، بحجة أنه يمنع تدنيس حرمة الكنيسة من قبل الزوار المسلمين. وحتى يمنع ادعاء أي فريق منهم بملكية المكان في ما بعد، أصرّ على دفع النفقات من مخصصات منصبه. وكانت هنالك حالة طارئة في مناسبة مهمة يتطلع إليها بشوق جميع أهل القدس كل عام، وهي سبت النور، وعيد الفصح في اليوم الذي يليه لدى الأرثوذكس، وكان قد أعدّ للأمر عدته، وأمر أن تكون هنالك حراسة مشدّدة قوامها ستمائة من رجال الشرطة والجيش، إلا أنه قبل عيد الفصح الذي كان يصادف يوم الثاني والعشرين من أيار/ مايو ١٩١٨ فوجئ بطلب من الروم الأرثوذكس بأن يسعى إلى استقدام مطران أو كبير أساقفة بسبب غياب بطريرك الأرثوذكس وجميع المطارنة في المنفى في دمشق.

وبعد دراسة جميع الإمكانات، تقرّر أن يكون المترئس أثناء الاحتفالات كبير الأساقفة بورفيريوس الثاني (Porphyrios II) رئيس دير القديسة كاترينا في سيناء، فحضر ونصب قائمقاماً بطريركياً، وتولّى إدارة جميع المراسم، حيث تمكّن بمساعدة الحاكم العسكري من تفادي مشاكل الازدحام الكبير الذي يحصل في هذه المناسبات وضربات العصي التي يوجهها المتعصبون من الأرمن إلى رئيس الاحتفال أثناء انشغال الناس بمشاهدة النور المقدس(١٥). وبمناسبة الحديث عن احتفال سبت النور، يذكر هنا التقليد القديم الذي يقوم فيه الأرثوذكس العرب من أهل المدينة المقدسة بحمل أعلامهم في مواكب هذا اليوم. وقد ذكر العارف ثلاث عشرة عائلة عربية لأفرادها الحق في حمل أعلامها، وهي(١٦):

(١) عائلة سليمان (٢) عائلة الأجرب (٣) عائلة الحبش
(٤) عائلة الحرامي البغل (٥) عائلة القرعة (٦) عائلة كتوعة
(٧) عائلة الشماع (٨) عائلة كتن (٩) عائلة المحشي
(١٠) عائلة أبي زخريا/ شهلا (١١) عائلة منصور (١٢) عائلة علوشيه/ عنصره
(١٣) عائلة أبي زخريا

---

(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.
(١٦) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس (القدس: مكتبة الأندلس، ١٩٦١)، ص ٥٢١.

وقد أوردتها يسرى جوهرية عرنيطة بتعديل بسيط في كتابها **الفنون الشعبية في فلسطين**، كما ذكرت أن لعائلة العقروق حق دق النواقيس في كنيسة القيامة، بينما يوزع البطريرك النور، ويعطي فنداً إلى خوري الطائفة، وفنداً إلى أحد أفراد عائلة سليحيت نيابة عن الطائفة وأبنائها العرب، ثم فنداً إلى رجل مفوض من طائفة الأرمن(١٧).

كان الحكم العسكري البريطاني في القدس في حدّ ذاته متأثراً إلى حدّ كبير بنيات الساسة البريطانيين، وعلى رأسهم اللورد بلفور صاحب الوعد المشهور ووزير الخارجية، والجنرال اللنبي رئيس إدارة مناطق العدو المحتلة (O.E.T.A. Occupied Enemy Territory Administration). وواضح في مذكرات ستورز مدى الانحياز الذي كانوا يبدونه عموماً للصهيونية، كما أنه يؤكد مخالفاتهم الصريحة لقواعد الستاتيكو، لأنهم كحكومة عسكرية كان واجبهم الأساسي إدارة المناطق كما لو أنها كانت كمصر مثلاً، حيث تستعمل لغة المحتل الإنكليزية كلغة رسمية مع ترجمة بالعربية لكل ما يصدر من تعليمات، في الوقت الذي تعامل فيه الأقليات المهمة، مثل اليهود والأوروبيين والأرمن وغيرهم، كما تعامل في أماكن أخرى. إلا أن الوضع في فلسطين نتيجة للتواطؤ الإنكليزي كان خلاف ذلك، فجميع الأوامر والتعليمات كانت تصدر باليهودية تماماً كالإنكليزية والعربية. وفي محاولة لإيجاد عذر لهذه المخالفة للتقاليد العسكرية، يؤكد ستورز أن وعد بلفور الذي صدر يوم الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧ ولاقى تقريباً القبول الجماعي من العالم قبل ميلاد عصبة الأمم وإصدار صك الانتداب، كان يعطي الحكومة العسكرية الحق بالتعامل مع الصهيونية على هذا الأساس الواقعي(١٨). ولا شك في أن هذا الوضع الشاذ لم يخف على القيادات العربية في القدس خاصة، وفي فلسطين عامة، فقد تنادى القوم في أواخر عام ١٩١٨ إلى عقد مؤتمر عربي في القدس. وحضرت الوفود يوم ٢٥ كانون الثاني/ يناير ١٩١٩ بهدف أن يبحث المؤتمر في مصير فلسطين وسائر شؤونها، ولكن السلطات تمكنت من إقامة العثرات في سبيل عقده لئلا يتألف في فلسطين رأي عام أو هيئة تمثله. ولذلك تحوّل الاهتمام العربي إلى نشاط الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس التي كانت تضم أربعين عضواً من المسلمين والمسيحيين، وتدعو إلى الجامعة العربية، واعتماد فلسطين جزءاً منها، واعتماد سمو الأمير فيصل بن الحسين كممثل للجامعة العربية في مؤتمر الصلح(١٩).

---

(١٧) يسرى جوهرية عرنيطة، **الفنون الشعبية في فلسطين** (عمان: [د. ن.]، ١٩٨٨)، ص ١٧٤.

(١٨) Storrs, *Orientations*, p. 301.

(١٩) السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص ١٦٥.

مقابل هذه المواقف الضعيفة من الجانب العربي، كان هنالك نشاط محموم في الجانب الصهيوني، كان من نتيجته تعيين السير هربرت صموئيل (Sir Herbert Samuel) مندوباً سامياً لفلسطين، حيث وصل إلى دار الحكومة في القدس يوم ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٢٠[٢٠]، وكان عهده وعهد من تبعه في الإدارة البريطانية لفلسطين تكملة للترتيبات التي أعدتها الحكومة البريطانية لتنفيذ وعد بلفور وتحويل البلاد إلى وطن قومي لليهود.

كان الوجود المسيحي العربي في القدس أثناء هذه الأحداث المصيرية يعاني غياباً واضحاً عن مسرح الأحداث. فالحكومة العسكرية مهتمة في الدرجة الأولى باليهود، وبعد ذلك بالمحافظة على علاقات مناسبة مع الوجودين الفرنسي والإيطالي في الأراضي المقدسة عن طريق الفاتيكان في روما والرهبنات والبطريركيات والأديرة في القدس. أما الكنائس الشرقية، فهي التي كانت تعاني صعوبات جمة ليس أقلها هذا العدد الكبير من اللاجئين المسيحيين وغياب الرئاستين الأرثوذكسية اليونانية والأرمنية الأرثوذكسية في المنفى في دمشق، وعدم وجود أي تنظيم للوطنيين الأرثوذكس، وهم أكثرية المسيحيين، ليجمع شملهم، ويجعل لهم قيادة يمكنها توجيه الجهود نحو استخلاص الحقوق التي اغتصبها الرهبان اليونان، ومساندة النضال الوطني ضد مؤامرات تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود.

إلا أن الشعور الوطني وجد له متنفساً في صفوف المهاجرين الفلسطينيين في أمريكا، ففي كتاب أصدرته عام ١٩١٩ «الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية في نيويورك» بإدارة حنا صلاح، ابن رام الله، وخريج الجامعة الأميركية في بيروت، وجامعة هارفرد الأمريكية، نجد مجموعة من المقالات التي كتبها عن فلسطين وعن قضيتها، مجموعة من الشباب الفلسطينيين في المهجر، ومعظمهم من القدس ورام الله وبيت لحم.

وكانت بداية الكتاب لمحة تاريخية عن «فلسطين : سكانها ومن هم» بقلم د. فيليب حتّي، أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة كولومبيا في نيويورك، والذي أشار إلى تعددية الأجناس والأصول بسبب هذه الموجات المتعاقبة من الازدياد السكاني، مؤكداً في الوقت ذاته أن ليس في العالم بقعة من الأرض أتحفت العالم بما أتحفته به فلسطين من دين ومدنية باعتبار مساحتها وعدد سكانها. ثم قدّم أبحاثاً تتعلق بجغرافية البلاد والزراعة والتجارة والصناعة، وقد تطرق من خلالها إلى الهجرة اليهودية إلى فلسطين

---

(٢٠) Storrs, Ibid., p. 337.

يقابلها هجرة الفلسطينيين إلى المهاجر التي كانت إحدى الأسباب التي وطدت قدم اليهود في البلاد .

وكانت مقالة يعقوب حنظل عن صناعة الصدف في الأراضي المقدسة والتجارة بوجه عام، تبعتها مقالة عن التهذيب بقلم خليل طوطح، بينما كتبت فكتوريا طنوس عن حالة المرأة الاجتماعية، ود. فؤاد شطاره عن الإصلاح الصحّي، حتى إذا اتجهت الأبحاث إلى الموقف السياسي أورد الكتاب خمسة فصول، وكانت بعنوان «نحن والصهيونيون»، بقلم د. نجيب كاتبة، و«الحركة الصهيونية: ما لها وما عليها»، لحبيب كاتبة، و«أفضل الرسائل لمقاومة الصهيونيين»، لمغنم مغنم، و«بين سوريا وفلسطين»، للدكتور رشيد تقي الدين، و«السؤال الكبير: هل نحن أمة؟»، للدكتور فيليب حتي. ومن الجدير بالملاحظة أن مغنم مغنم طالب أهل فلسطين بأن يسبقوا الصهيونيين إلى العمل في جميع المجالات، وذكر عشرة مجالات للعمل، كان آخرها مطالبته بسنّ الشرائع لتقييد المهاجرة. أما مقالة د. فيليب حتي، فقد كانت تدور حول سورية التي «ليس فيها وحدة قومية ولا دينية. إن الوحدة اللغوية، وهي الأهم، حاصلة. ولذا نحن لسنا أمة، ولكن المادة المطلوبة لصيرورتنا أمة هي جاهزة وحاضرة، ولا ينقصنا سوى الإرادة». وكانت خاتمة الكتاب مقالة للدكتور سليم شحادة جورج، رئيس تحرير **المجلة العربية** سابقاً، وعنوانها «نظرة إلى مستقبل فلسطين»، شرح فيها أبعاد الخطر الكامن، مؤكداً «أننا يجب أن لا ننسى أن مستقبل فلسطين يتوقف قبل كل شيء على أهلها واهتمامهم بأمرها. إنه يتوقف على نظرهم إلى الأمام واستخدامهم مبادىء العلم الصحيح»(٢١).

ذكرنا في الفقرة السابقة الوضع الصعب الذي كانت تعانيه البطريركية الأرثوذكسية في القدس التي كان يرأسها البطريرك ذاميانوس الذي بعد أن عاد من المنفى في دمشق عام ١٩١٩، عقب انتهاء الحرب، لم يحسن الإمساك بزمام الأمور. فأدت سياسته وتبذيره إلى تحميل البطريركية ديناً كبيراً تجاوز الـ ٥٥٦٠٠٠ جنيه استرليني على رغم البيوعات الكثيرة للعقارات والأراضي التي كانت تملكها البطريركية المقدسية في أواسط أوروبا(٢٢)، وجعلت الأرثوذكس العرب والرهبان اليونان يعترضون على ذلك. إلا أن محاولة الرهبان إنزال البطريرك عن الكرسي

---

(٢١) حنا صلاح، **فلسطين وتجديد حياتها: كتاب جامع لمباحث تاريخية وعمرانية واجتماعية وسياسية عن فلسطين** (نيويورك: الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية، ١٩١٩)، ص ١٦١ و١٩٩.

(٢٢) شحادة خوري ونقولا خوري، **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية** (القدس: مطبعة بيت القدس، ١٩٢٥)، وط ٢ (عمان: [د. ن.]، ١٩٩٢)، ص ٢٩٦.

البطريركي بسبب خلافاتهم وطموحاتهم الشخصية لاقت رفضاً قاطعاً من الوطنيين الأرثوذكس الذين لم يكونوا يوافقون على هذا التفرّد اليوناني بشؤون البطريركية المقدسية. ولذلك قاموا ضد المحاولة، وأفلحوا في تعطيلها بعد مناوشات كثيرة بين الرهبان والبطريرك من جهة، والطائفة العربية من جهة أخرى. وفي ٢٧ آب/ أغسطس ١٩١٩ حضر مندوب البنك اليوناني المليّ للمفاوضة مع البطريركية بشأن القرض الذي تنوي عقده لأجل وفاء دينها الضخم بفائدة ٣ بالمئة على شرط أن تربط به جميع أملاكها غير المنقولة في فلسطين، ما عدا المزارات الشريفة، بصفة رهن حتى تسديد القرض مع فائدته على أقساط طويلة تستغرق السنين الطوال(٢٣). وبهذا دخلت الحكومة اليونانية صلب الصراع الأرثوذكسي في الأراضي المقدسة بشكل مباشر، بعد أن كانت في السنين السابقة تعمل من وراء الكواليس. وعلى رغم أن الأرثوذكسية المسيحية في الأراضي المقدسة هي في الحقيقة مسيحية وطنية في فلسطين لكونها كنيسة شرقية في بلد شرقي(٢٤)، فإن العنصر اليوناني الحكومي والشعبي لم يغيّر من مواقفه على رغم الكثرة الساحقة من العرب. ولتأكيد هذه الحقيقة، يمكننا العودة إلى أرقام السكان التي أوردها إحصاء عام ١٩٢٢ في القدس لنجد أن توزيعهم كان كالتالي:

المسلمون: ١٣٤١٣	المسيحيون: ١٤٦٩٩	اليهود: ٣٣٩٧١

في الوقت الذي ارتفعت فيه جميع الأرقام في ١/ ٤/ ١٩٤٥ لتصبح كالتالي:

المسلمون: ٣٠٦٣٠	المسيحيون: ٢٩٣٥٠	اليهود: ٩٧٠٠٠

وكان التوزيع حسب المناطق ٣٣٦٠٠ من العرب في البلدة القديمة، و٣١٥٠٠ في البلدة الجديدة يقابلها ٢٤٠٠ من اليهود في البلدة القديمة، و ٩٧٠٠٠ في البلدة الجديدة(٢٥). ومن الثابت أن معظم السكان المسيحيين كانوا من الأرثوذكس العرب.

لم تستقر الأحوال بين الجانب العربي الوطني في البطريركية الأرثوذكسية والرهبان اليونان، ولا بين الرهبان أنفسهم. واستمرت الشكاوى والشكاوى المضادة بين الفرقاء، مما حدا المندوب السامي البريطاني السير هربرت صموئيل على تعيين لجنة عليا بتاريخ ١٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٢١ مؤلفة من السير أنطون برترام (Sir Anton Bertram) كبير قضاة سيلان، والمستر هاري شارلز لوك (Mr. Harry Charles Luke)

---

(٢٣) انطوان برترام وهاري شارلز لوك، تقرير اللجنة التي عينتها حكومة فلسطين لدراسة أوضاع البطريركية الأرثوذكسية في القدس ([د. م.]: مطبعة جامعة اوكسفورد، ١٩٢١)، ص ١٩١.

(٢٤) Storrs, *Orientations*, p. 407.

(٢٥) العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص٤٣٠.

مساعد حاكم القدس العسكري، للنظر في ما إذا كانت هنالك سلطة بموجب قانون الكنيسة الأرثوذكسية الذي يمكن بواسطته إصدار أحكام بشأن الخلافات هذه، وما هي الإجراءات الواجب اتخاذها لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، وما هي أنجع السبل لمعالجة مديونية البطريركية؟ كما تم تعيين الأرشمندريت تيموثيوس ثيميليس (Archmandrite Timotheos Themeles) الذي أصبح في ما بعد بطريركاً للقدس، ويعقوب فرّاج وجورج سكسك كمقررين لهذه اللجنة.

ومن الغريب أن هذا المندوب السامي الذي اشتهر بانحيازه إلى بريطانيا واليهود، والذي اتخذ الكثير من القرارات التي كانت تمهّد الطريق، ليس فقط نحو إقامة الوطن القومي اليهودي، حسب وعد بلفور وصكّ الانتداب على فلسطين، وإنما لتأسيس الدولة اليهودية[٢٦]، كان هو نفسه الذي عاد فشكل لجنة عليا ثانية بتاريخ ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٢٥ من كل من السير أنطوان برترام الذي ورد ذكره سابقاً والسيد ج.و.أ. ينغ (Mr. J. W. A. Young)، وذلك للنظر في ضرورة تنقيح الأنظمة السلطانية الصادرة عام ١٨٧٥، والبحث في لزوم ضمانه لحق دخول أبناء الطائفة الأرثوذكسية العربية في أخوية القبر المقدس، والنظر في إقامة مجالس البطريركية الأورشليمية المختلطة المؤلفة من كهنوتيين وعلمانيين، وما يكون لها من وظائف وصلاحيات ودراسة أية مسائل أخرى مختلف عليها بين الطائفة الأرثوذكسية العربية والبطريركية الأرثوذكسية في القدس[٢٧]، مما جعل القضية الأرثوذكسية العربية الواضحة تدخل في مجالات جدل بيزنطي عقيم لا طائل تحته، ولكنه بلا جدال أشغل الرأي العام في القدس بشكل خاص، وفي فلسطين بشكل عام لسنين طويلة.

---

(٢٦) سحر الهنيدي، الثقة المفقودة: السير هربرت صموئيل والصهيونية والفلسطينيون (لندن: [د. ن.]، ٢٠٠٠).

(٢٧) انطوان برترام وج.و. أ. ينغ، تقرير اللجنة. بطريركية أورشليم الارثوذكسية، ترجمة وديع البستاني (القدس: [د. ن.]، ١٩٢٥)، ص ١.

الفصل التاسع

تطور المجتمع في القدس
بين عامي ١٩١٧ و١٩٦٧

كان الانتداب البريطاني على فلسطين بداية كارثة حلت بالحقوق العربية وبالوجود العربي الإسلامي المسيحي في الأراضي المقدسة. وقد شارك الجميع في محاولاتهم لردع الأخطار القادمة بشكل أعطى للتآخي الإسلامي ـ المسيحي صفة خاصة كعلامة مميّزة في التاريخ الإنساني خلال القرن العشرين. ويعتبر المؤتمر العربي الفلسطيني الذي عقد سبع دورات بين عامي ١٩١٩ و١٩٢٨ مؤسسة وطنية تشبه المجالس النيابية في بلد حرم أبناؤه العرب من ممارسة حق اختيار المندوبين بسبب تسلط بريطانيا على مقدراتهم من خلال صك الانتداب. ومن الجدير بالذكر أن انتخاب المندوبين إلى دورات هذا المؤتمر، لم يتمّ وفق قاعدة محددة، وإنما من خلال الجمعيات الإسلامية المسيحية والهيئات الشعبية الأخرى في فلسطين. وقد راوح عدد المندوبين إلى هذه الدورات بين ٢٧ و٢٢٧ مندوباً من القدس ومدن فلسطين وأقضيتها، بينهم عدد كبير من العاملين في الحقل السياسي من الذين تولوا مناصب عالية خلال الحكم العثماني أو ممن كانوا أعضاء في الجمعيات السياسية وأصبحوا في ما بعد أعضاء في الجمعيات الوطنية الفلسطينية[١]. وقد كان بينهم عدد من المسيحيين الذين شاركوا في جميع نشاطات هذا المؤتمر والمؤتمرات التي تبعته والعمل الوطني بشكل عام. واستمرت اللجنة التنفيذية برئاسة موسى كاظم الحسيني حتى عام ١٩٣٤ عندما حلّت نفسها، وأصبح المفتي الحاج محمد أمين الحسيني زعيم الحركة الوطنية الفلسطينية. وإن لنا في مقالات إميل الغوري وكتبه، وهو الذي أصبح من أركان الحركة الوطنية هذه، سجلاً وافياً عن هذه الفترة ومقاومة العرب فيها للظلم البريطاني والاستيطان اليهودي[٢].

وردت في الفصول السابقة إشارات كثيرة إلى الغزو الصهيوني لفلسطين أثناء الحكم العثماني والمساعدات التي بدأ يتلقاها بعد احتلال البلاد من قبل البريطانيين

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، ٢ قسم في ١٠ مج (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠)، قسم ١: القسم العام في أربعة مجلدات، مج ٤: ل ـ ي، ص ٣٦٨ ـ ٣٧٥.

(٢) انظر: إميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ٣ ج (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٢)، ج ٢: ١٩٢٢ ـ ١٩٣٧، ج ٣: ١٩٣٩ ـ ١٩٤٧.

أصحاب وعد بلفور. وقد كان لهذه الأوضاع السياسية أثرها الكبير في مسيرة الكنيسة التي كانت تربطها ببريطانيا العظمى روابط خاصة، وهي الكنيسة البروتستانتية في الأراضي المقدسة، «فبينما كان المطران بلايث (Blyth) يعمل في إمبراطورية تركية لا تتعاطف مع عمله، وجد المطران ماكنس (Macinnes) (مطران القدس ١٩١٨ - ١٩٣١) نفسه تحت سلطة حكومة بريطانية تتعاطف معه ومع عمله، لكنه واجه صعوبات ومشاكل مستمرة نتيجة لسياسة حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين، وهي سياسة إقامة وطن يهودي في فلسطين على أساس وعد بلفور»[٣]. وقد كان لهذه العلاقة بين الكنيسة الأنغليكانية في بريطانيا وبين الكنيسة البروتستانتية في القدس ردّ فعل قوي لدى البروتستانت العرب بسبب الخذلان الذي أصابهم نتيجة تنفيذ السياسة البريطانية الغاشمة ومعاضدتها لليهود إلى أقصى الحدود. ولذلك نجد أن رجالات البروتستانت كانوا من أشد المتحمسين للقضية الوطنية، وأنهم كانوا دائماً في طليعة العاملين من أجلها في الحقول السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أمثال شبلي الجمل، ود. عزت طنوس، وفؤاد سابا، والمطران ايليا خوري، والمطران سمير قفعيتي.

أما الطوائف المسيحية الأخرى في القدس، فقد كان الأرثوذكس مشغولين بصراعهم الداخلي بين الكهنة اليونان والبطريرك ذاميانوس من جهة، وبين العنصر اليوناني والأرثوذكس العرب من جهة أخرى، مما أدى إلى قيام هذا الارتباط القوي بين النهضة الأرثوذكسية العربية وبين النهضة العربية الوطنية، على أساس أنهما حركتا تحرر من نير الاستعمار اليوناني في الحالة الأولى، والبريطاني في الحالة الثانية. وقد ورد في الفصول السابقة ذكر واف لرجالات الأرثوذكس الذين ساهموا في حركة التحرر الوطني، والذين وطدوا دعائم التلاحم الوطني الإسلامي المسيحي في جميع المجالات، إلا أنه من المؤسف أن الأوضاع السياسية والعسكرية في العهد العثماني وخلال عهود الانتداب البريطاني والوحدة مع الأردن والاحتلال الإسرائيلي، كانت جميعها ضد التحرر الأرثوذكسي العربي في بطريركيتهم في القدس لأسباب وعوامل مختلفة لا مجال لذكرها في هذا البحث، وما زالت هذه القضية الوطنية التي أشغلت الرأي العربي العام في الأردن وفلسطين منذ عام ١٨٧٢ سبباً مهماً لنزاع مصيري نظراً لارتباطها الوثيق بالحرية الدينية وحقوق الإنسان في العصر الحديث وأهمية الأراضي والعقارات التي تملكها البطريركية في فلسطين، وخصوصاً في القدس بالنسبة إلى

(٣) رفيق فرح، تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس، ١٨٤١ - ١٩٩١، ج ٢ (القدس: [د. ن.]، ١٩٩٥)، ص ١٧٧.

مشاريع الاستيطان الإسرائيلي، حيث أفلحت إسرائيل في السيطرة بوسائلها المعروفة على جزء كبير من هذه الأراضي والعقارات، ولا تزال تحاول تملّك ما تبقى منها في حوزة البطريركية الأرثوذكسية المقدسية المغلوبة على أمرها.

وننتقل إلى الحديث عن الطوائف الكاثوليكية، وفي مقدمتها طائفة اللاتين الذين سيطرت على مقدراتهم الدينية البطريركية اللاتينية في القدس، التي يرأسها البطاركة اللاتين الوافدون من روما، والذين كانوا بسبب جنسيتهم وولائهم يعملون بوحي من سياسة الفاتيكان التي كان همّها ضمان حرية العبادة، والزيارة إلى الأماكن المقدسة، والمحافظة على الأوقاف الكاثوليكية التي تديرها الرهبانيات تحت إشراف حراسة الأماكن المقدسة. ومن الثابت أن اهتمام الكنائس الكاثوليكية المحلية في هذه الفترة انصب على زيادة أعداد الرعايا الكاثوليك الذين كانوا في ازدياد مستمر بسبب الجهد الذي كان يبذل لتحويل العرب الأرثوذكس إلى المذاهب الكاثوليكية المختلفة بواسطة إدخال أبنائهم في المدارس الكاثوليكية، والتساهل في بعض النواحي الاجتماعية، كزواج الأقارب الذي لا تقرّه الكنائس الأرثوذكسية. وقد أوردت إحصائية تفصيلية نشرت في كتاب أصدرته البطريركية اللاتينية عن تاريخها في الفترة (١٨٤٨ ـ ١٩٣٨) أعداد المسيحيين في القدس في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، نبيّنها أدناه نظراً لأهمية ما ورد فيها من التفصيلات، مع ملاحظة أن جميع الكنائس الشرقية قد وصفت بأنها «منشقة» (Dissident)، بينما وصفت جميع الكنائس البروتستانتية بأنها «محتجّة» (Protestant)، وأن هذه الطوائف قد ذكرت مجتمعة في قائمة واحدة، بينما ذكر الكاثوليك في قائمة منفصلة، حيث بلغ مجموع المسيحيين ٢٥ ألف نفس، في الوقت الذي كان فيه المسلمون يعدّون ٣٠ ألف نفس، واليهود ٨٠ ألف نفس[(٤)].

الجدول رقم (٩ ـ ١)
أعداد المسحيين في القدس بحسب مذاهبهم

الطوائف الشرقية	
الطائفة	العدد
Greci Dissidenti Ortodossi الروم الأرثوذكس	٨٠٠٠
Siriani Dissidenti Giacobiti السريان اليعاقبة	٧٠٠
Armeni Dissidenti Gregoriani الأرمن الجرجوريون	٣٠٠٠

يتبــع

(٤) Allessandro Possetto, *Il Patriarcato Latino di Gerusaleme (1848-1938)* (Milano: El Cura di Croatia, 1938), pp. 567-568.

تابع

١٠٠	الأقباط Copti Dissidenti
١٠٠	الأحباش Abissini Dissidenti
٣٠٠٠	الأنغليكان Anglicani Protestanti
١٠٠	المشيخيون Presbiteriani Protestanti
٢٠٠	اللوثريون Luterani Protestanti
٢٠٠٠	الهيكليون Templari Protestanti
٥٠٠	السبتيون Avventisti Americani Protestanti
٥٠٠	الأصدقاء Quakeri Americani Protestanti
١٨٢٠٠	المجموع
	الطوائف الغربية
٥٩٨٥	اللاتين Cattolici Latini Romani
٢٧٢	الروم الكاثوليك Melchiti Greci Cattolici
٣٠٠	الأرمن الكاثوليك Armeni Cattolici
١٢٠	السريان الكاثوليك Siri Cattolici
٥٠	الكلدان الكاثوليك Caldei Cattolici
٦٧٢٧	المجموع

ومن الجدير بالملاحظة عند دراسة هذا الجدول أن أعداد الروم الأرثوذكس قد تناقصت خلال القرن التاسع عشر بسبب التبشير وتحوّل عدداً لا بأس به من العرب الأرثوذكس إلى الكنائس الأخرى بسبب الاختلافات الكبيرة بين العرب واليونان، والفساد المستشري في أوساط بطريركية الروم الأرثوذكس.

وتلقي الحقائق التالية ضوءاً على الصورة الحقيقية لأوضاع الطوائف المسيحية في الفترة التي تبعت انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين:

١ ـ الروم الأرثوذكس في الغالبية عرب، ولكن بينهم عدداً قد يصل إلى الخمسة بالمئة من اليونانيين، بينهم هؤلاء الذين ولدوا في البلاد، وأولاء الذي وفدوا للإقامة، وخصوصاً أعضاء أخوية القبر المقدس من الرهبان أو تلاميذ الرهبنة.

٢ ـ الأرمن والأقباط والأحباش هم حفدة عائلات سكنت في القدس منذ أوقات مختلفة، وكان حضور معظمهم في الأصل للزيارة، وقد استقروا بعدها وأصبحوا من أهل القدس.

٣ ـ جميع طوائف البروتستانت من الأنغليكان والبرسبيتريان واللوثريين والهيكليين والسبتيين والكويكرز هي طوائف جديدة نمت بسبب الجهود التبشيرية، بدءاً منذ أواسط القرن التاسع عشر، ومع أن بينهم عدداً من غير العرب وهم من المبشرين والواعظين، فإن معظمهم رعايا هذه الكنائس هم من العرب الأرثوذكس الذين تحوّلوا عن مذهبهم بسبب الشعور بالاستياء من الرئاسة الروحية اليونانية. وقد كان لتوفير فرص التعليم للأولاد والبنات الشأن الأكبر في إقناع أعداد كبيرة من الأرثوذكس لتغيير مذهبهم، وقد يكون نجاح الكويكرز في رام الله هو السبب الأساسي في ارتفاع عدد المهاجرين إلى أمريكا من منطقة رام الله.

٤ ـ أما اللاتين، فلا شك في أن معظمهم رعايا الكنيسة اللاتينية، وقد كانوا أصلاً من العرب الأرثوذكس وتحولوا عن مذهبهم بسبب التبشير وإتاحة الفرص أمام أبنائهم للالتحاق بالمدارس التي فتحها اللاتين في أرجاء البلاد، إلا أنه من المعروف أن نسبة الأجانب بين اللاتين كانت نسبة عالية قد تصل إلى العشرين بالمئة بسبب الأعداد التي كانت تفد من البلدان اللاتينية، مثل إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، لأسباب دينية. ومن الجدير بالذكر هنا أن التأثير اللاتيني في منطقة القدس وبيت لحم وبيت جالا أدى إلى نسبة كبيرة من الهجرة إلى بلدان أمريكا الجنوبية.

٥ ـ من المستغرب أن هذه الحملات التبشيرية استمرت بين أوساط الأرثوذكس العرب لفترات طويلة، وأنها لم تلق أية مقاومة تذكر من الرهبان اليونان المسيطرين على البطريركية الأرثوذكسية والمشغولين بخلافاتهم والتهم المتبادلة بالفساد بينهم. وقد يكون صحيحاً القول إن أعداد الأرثوذكس رعايا بطريركية القدس كانت ستكون أقل كثيراً لولا الجهد الروسي الذي منع تحول أعداد أكبر من الأرثوذكس العرب إلى المذاهب البروتستانتية واللاتينية في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، عندما قامت الجمعية الروسية بهذا الجهد الكبير في تأسيس المدارس والهيئات، ليس في القدس فقط، وإنما في أرجاء بلاد الشام.

طبيعة الصراع بين العرب من جهة، واليهود وحلفائهم البريطانيين من جهة أخرى، أوضحت من دون أي إبهام أن الصراع مصيري، ولذلك جنّد الشعب الفلسطيني جميع قواه، وأعرب عن مقاومته من خلال الاجتماعات والتظاهرات وإرسال الوفود وعقد المؤتمرات، ولم يتأخر رجال الدين عن المشاركة في جميع هذه النشاطات، خصوصاً بعد أن تولىّ الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا زمام الأمور، عند انتخابه لشغل مركز الإفتاء عام ١٩٢١، ورئاسة المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٩٢٢، لسنين عديدة، حيث كانت وفاته عام

١٩٧٤. وقد برز في هذه الفترة رجالات كان في مقدمتهم مطران الروم الكاثوليك غريغوريوس حجّار الذي اشتهر بفصاحته وقوة بيانه ومقدرته الخطابية، حتى سماه الفلسطينيون «مطران العرب». وقد ألقى خطاباً عام ١٩٢٤ أمام الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز يهنئه بصدور فتوى من الحاج أمين الحسيني يبايعه فيها خليفة للمسلمين، فقال المطران حجار «باسمي، وباسم المسيحيين الفلسطينيين الذين لي شرف تمثيلهم، أقف أمامكم لأعلن لكم بأننا نحن نصارى فلسطين عرب نتمسك بأرضنا وندافع عنها، ونحن سكان الأرض الأصليين، وقد عشنا مع إخواننا المسلمين طيلة قرون بأمانة ومحبة، ونريد أن نكمل هذه الحياة معاً لنجاهد ضد المؤامرات التي تحاك على وطننا. لقد كان إسلامكم من أيام عمر بن الخطاب يعاملوننا معاملة الأخ لأخيه، ولا نريد أن يتغير شيء فيها»[٥]. ولما اشتدت حركة مقاومة تسرّب الأراضي إلى الصهيونيين، تجنّد رجال الدين لمساندة هذه الحركة، فعقد في القدس يوم ٧/ ٨/ ١٩٣٤ مؤتمر لرجال الدين المسلمين أصدر فتوى واضحة تكفّر كل عربي يبيع أرضاً أو يتوسط لبيع أرض لحساب الصهيونيين. وفي يوم ٢٩/ ٨/ ١٩٣٤عقد مؤتمر لرجال الدين المسيحيين العرب الأرثوذكس في القدس حضره ٧٣ كاهناً أرثوذكسياً، ودام انعقاده ثلاثة أيام أعلن المؤتمر في نهايته «تمسكه بالميثاق الوطني الفلسطيني» الصادر عام ١٩٢٢، وقرر رفض الخضوع للأنظمة والقوانين الموضوعة لقهر العرب وإضعافهم وإكراههم على بيع الأراضي، وعدّ هذه المقاومة فرضاً دينياً على كل عربي. وقرر أيضاً أن أي مسيحي يبيع أرضاً أو يتوسط لبيعها إلى الصهيونيين خائن لدينه ووطنه لا يصلّى عليه ولا يدفن في مقابر المسيحيين»[٦]. وقد كانت جميع هذه الحركات تواكب الثورات الشعبية التي كان أولها عام ١٩٢٠، تبعتها ثورة ١٩٢٩، فثورة ١٩٣٥، وثورة ١٩٣٦ التي استمرت حتى عام ١٩٣٩، ولم تتوقف إلا بسبب اشتعال الحرب العظمى الثانية.

ومن الطبيعي أن الفلسطينيين شعروا بالأهمية البالغة للنواحي الاقتصادية خلال مرحلة الاستهداف هذه لشراء أراضيهم واقتلاع جذورهم من مدنهم وقراهم، فحاولوا إفشال ذلك المخطط بتفعيل إمكانياتهم الاقتصادية المحدودة في الوقت الذي كانت تتمتع فيه الحركة الصهيونية بدعم غير محدود من يهود العالم. وكان أهل القدس بشكل خاص معنيين بتنشيط السياحة التي كانت في القرنين الأخيرين مصدر رزق جيد لهم، مع ما يتبع ذلك من تأسيس للفنادق والنزل واهتمام بتجارة «السنتواري»

---

(٥) فرح، المصدر نفسه، ص١٩٩.
(٦) الموسوعة الفلسطينية، ص ٦٧٢.

ووكالات السفر والنقل وتبادل السلع المختلفة الأخرى التي يتزايد الطلب عليها من قبل الحجاج والزائرين.

ومن المفيد أن نذكر أسماء العائلات المسيحية التي كان لها نشاط في الحقول المختلفة في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين(٧):

الفنادق والنزل: لورنزو، مرقص، منصور، كرادشة، صوالحة، صلاح، المازه، حداد، ناصر، رفيدي، وأصحاب الأميركان كولوني.

توزيع الأدوية: حلبي، عطالله، سعيد، مرقص، مافروميخاليس.

تجارة السيارات ومستلزماتها: طنوس، سلامة، حمصي، منصور، مارتو، نعمان.

تجارة المأكولات: لويزيدس، أنطونيادس، فريج، زافريادس، اشتكلف، ستراغاليس، خميس.

تدقيق الحسابات: سابا وشركاؤهم وعلى رأسها فؤاد صالح سابا، جورج خضر، حنا بواب.

السفر والنقل: مروم، داود، زنانيري، فراج، سحار، سنونو.

السنتواري: ديب، طليل، حلاق، ميو، دحبور، شاغوريه.

تجارة مواد البناء: قطان، محشي، مروم، منى.

توزيع الكتب والطباعة: سعيد، حبش، حلبي، دردريان ومطابع الأديرة.

التجارة العامة: البينا، فريج، قلبيان، قطّان، كتانة، منة، يغنم، حمارنة، طليل، ديب.

التأمين: شركة التأمين العربية، ومديرها العام باسم أمين فارس وعدد من التوكيلات لشركات إنكليزية وكندية.

إنتاج الثلج والمشروبات الغازية: ممتاز وخميس، شاكر.

الأشغال الميكانيكية: نصار.

---

(٧) بالإضافة إلى المعلومات الشخصية وما تفضل به الأصدقاء من أبناء القدس تمت الاستعانة في إعداد هذه المعلومات بما ورد في دليل هاتف القدس وجنوب فلسطين لسنة ١٩٤٦ الذي أظهرت دراسته التفوق العددي الكبير لأرقام هواتف اليهود بالمقارنة مع عدد أرقام هواتف العرب.

ومن الملاحظ أنه لم تؤسس في القدس صناعات مهمة، ويرجع هذا إلى طبيعة المدينة المقدسة وعدم توفر الأراضي الزراعية أو الموارد الطبيعية حولها، مما جعل الاهتمام يتحول بشكل كبير إلى تنمية السياحة وزيارات الحجاج.

إلا أن هذا النشاط الاقتصادي كان يواكبه نشاط ثقافي على رغم الصعوبات الكبيرة التي كان يفرضها الانتداب على السكان العرب، وكذلك ظروف الحرب التي استمرت أربع سنوات مرهقة. ولا شك في أن الرهبانيات والكنائس المختلفة مع كل ما يرتبط بها من نشاطات اجتماعية وخيرية وثقافية، كان لها دور كبير في هذا المجال، إلا أن النهضة العربية الأرثوذكسية التي كانت تقاوم في سبيل استرداد الحقوق العربية التي اغتصبها الرهبان اليونان، أعربت عن نفسها بتأسيس نادي الاتحاد الأرثوذكسي الذي لعب دوراً عربياً بارزاً في حياة القدس الوطنية والاجتماعية منذ بداية الأربعينيات، كما تأسست الجمعية الأرثوذكسية الفلسطينية التي كانت لها فروع في مدن فلسطين المختلفة، في الوقت الذي بدأت الصحافة الفلسطينية تنشر الكثير مما يساعد على إذكاء الروح الوطنية ويوحي إلى كل الفلسطينيين والعرب أن هذه الهجمة الاستعمارية تشكّل خطراً داهماً على الجميع بلا استثناء. وكانت الثورة في هذه الأثناء تشتد كل يوم، ولدى مقتل حاكم لواء الجليل أندروز (Andrews) في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٧، قامت السلطات البريطانية بملاحقة أعضاء اللجنة العربية العليا، ونفي عدد منهم إلى جزيرة سيشل. وكان من بينهم فؤاد سابا الذي لم يعد مع رفقائه في المنفى إلا في منتصف كانون الثاني/ يناير ١٩٣٩ [٨]، بينما كان عدد آخر من هؤلاء المناضلين قد تشرّد ولجأ إلى لبنان ومصر، وقد اضطر إميل الغوري إلى الالتجاء إلى بيروت مع عدد كبير من الوطنيين[٩].

وفي ٧ شباط/ فبراير ١٩٣٩ انعقد في لندن مؤتمر المائدة المستديرة الذي كانت بريطانيا قد دعت إليه الفلسطينيين والدول العربية، والذي افتتحه رئيس الوزراء نيفيل شمبرلين (Nevil Chamberlain)، وشارك فيه وزير المستعمرات البريطاني مالكولم ماكدونالد (Malcolm Mcdonald)، والأمير محمد عبدالمنعم ولي العهد رئيساً لوفد مصر، والأمير فيصل بن عبدالعزيز رئيساً لوفد السعودية، وسيف الإسلام عبدالله رئيساً لوفد اليمن، ورئيس وزراء شرقي الأردن، ورئيس وزراء العراق، بالإضافة إلى وفد فلسطيني برئاسة جمال الحسيني، وعضوية عوني عبدالهادي وراغب النشاشيبي وأمين التميمي وجورج أنطونيوس وحسين الخالدي ويعقوب فراج وعبد اللطيف

---

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٩) الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ج ٢: ١٩٢٢ ـ ١٩٣٧، ص ١٧٣.

صلاح وألفريد روك ويعقوب الغصين وفؤاد سابا وموسى العلمي[10]. ويلاحظ هذا الدور الكبير الذي خصّص لأهل القدس، فقد مثّلهم عن المسلمين كل من جمال الحسيني وراغب النشاشيبي وحسين الخالدي وموسى العلمي، وعن المسيحيين جورج أنطونيوس ويعقوب فراج وفؤاد سابا. ومن المؤسف أن الحكومة البريطانية اتخذت قراراً بإنهاء جلسات المؤتمر كي يتسنّى لها الانفراد بإصدار بيان نتائجه وإعلان سياستها الجديدة التي أصدرتها في «الكتاب الأبيض» بتاريخ ١٧ أيار/ مايو ١٩٣٩، حيث قابله العرب واليهود بالرفض[11].

وعندما يتساءل المرء عن أوضاع العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في ظروف كهذه، قد يكون إميل الغوري ابن القدس الأرثوذكسي، مع إخوانه من أمثال جورج أنطونيوس وخليل السكاكيني، من أقدر الناس على وصف الأحوال التي كانت سائدة بين سكان فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني. وفي بحث بعنوان «سياسة فرّق تسد»، يذكر الغوري تفاصيل المؤامرات البريطانية في سبيل تحطيم الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين عن طريق تقوية الطائفية البغيضة، «إذ إنها كانت تظن أن المسيحيين من الفلسطينيين سيقفون إلى جانبها ويؤيدون برنامجها، فهي دولة مسيحية، وملكها هو «حامي الإنجيل»، ولذلك فإنه لم يكن من المعقول في نظر الإنكليز أن يعارض المسيحيون سياسة دولة مسيحية وخطتها. وكان من العوامل التي حملت بريطانيا على هذا الظن اعتقادها بأن المسيحيين مختلفون مع المسلمين، وأن بين الفريقين كراهية طائفية ودينية وتبايناً في الآراء والاتجاهات، وأن المسيحيين يعطفون بوصفهم أقلية في البلاد على الأقلية اليهودية فيها. وبالإضافة إلى هذا الفهم الخاطئ والتبسيط الكبير للأمور، كانت بريطانيا تعتقد أنها بسبب البعثات والمدارس التبشيرية التي كانت لها في الأراضي المقدسة قبل الحرب العظمى، فإن لديها أصدقاء يمكنها الاعتماد عليهم، «فراحت تحاول إيهام المسيحيين بأنها دولة مسيحية صادقة واجبها الأول الاهتمام بمصالحهم وكيانهم وصيانة حقوقهم ومقدساتهم، ولكن جهودها في هذا السبيل ذهبت دون جدوى، وردّ عليها أهل البلاد بتشكيل الجمعيات الإسلامية ـ المسيحية لمعارضة السياسة البريطانية اليهودية. وقد اختير هذا الاسم الطائفي المظهر لقيادة الحركة الوطنية للتدليل على متانة الأخوة وعمق التفاهم والتعاون بين المسلمين والمسيحيين»[12]. وقد ذكر الغوري عدة محاولات قامت بها بريطانيا لإشعال نار

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٨٠.
(١١) الموسوعة الفلسطينية، ص ٥١ ـ ٥٢.
(١٢) الغوري، المصدر نفسه، ج ١ ص ٢١٦.

الفتنة، ولكن الشعور الوطني سيطر على جميع المواقف. وهكذا تغلّبت الوحدة بين المسلمين والمسيحيين على جميع الجهود والمساعي التي بذلت لفصمها[١٣].

ومن الضروري أن نشير إلى أهمية الشعور الوطني والنشاط الذي كان يتطلع إليه العرب الأرثوذكس في هذه الفترة من خلال تأسيسهم لنادي الاتحاد الأرثوذكسي يوم ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١ في محاولة لتفعيل نشاطهم السياسي الذي كانت تقاومه سلطات الاحتلال بجميع الوسائل. ولذلك، فإنهم للحصول على موافقة السلطات لهم على تأسيس هذا النادي، أعلنوا أن الغاية من تأسيسه هي «دينية خيرية ثقافية اجتماعية رياضية، والعمل على ما يعود على الطائفة الأرثوذكسية والمجتمع العربي بالخير والفائدة». كما أنهم أعلنوا أن «النادي لا يتدخل في الشؤون السياسية مطلقاً»، في الوقت الذي كان النادي يستضيف فيه كبار الكتّاب والمفكرين في الوطن العربي الذين كانوا يقدمون المحاضرات عن العروبة والإنجازات العربية في حقول الفتوحات والعلوم والآداب، وخصوصاً حضارتهم الراقية في بلادهم، وفي أواسط آسيا والأندلس. وقد فتح النادي الباب مواربة لغير الأرثوذكس ليصبحوا أعضاء في النادي عن طريق قبولهم كأعضاء مؤازرين «وإعطاء الحق للهيئة الإدارية أن تنتخب أي شخص قام بعمل مفيد للمجتمع العربي كعضو شرف، على أن لا يحدّد عدد هؤلاء الأعضاء». وقد أصبح كثيرون من المسلمين أعضاء بهذه الوسيلة[١٤].

---

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(١٤) جميع هذه المعلومات متوفرة في كتاب: القانون الأساسي لنادي الاتحاد الأرثوذكسي في القدس (القدس: مطبعة بيت القدس، [د.ت.])، وقد طبع هذا الكتاب بعد تأسيس النادي يوم ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١.

الفصل العاشر

الوحدة الأردنية ـ الفلسطينية

نتيجة لأحداث ١٩٤٨ توجّه العرب الذين ظلوا في المناطق الفلسطينية غير المحتلة من قبل اليهود، والذين لجأوا إلى الأردن، نحو الوحدة مع الأردن. وقد عقد لتحقيق هذا الهدف أول مؤتمر شعبي في أريحا يوم ١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٨، واتخذ قراراً يقضي بوحدة الضفة الغربية مع الضفة الشرقية (الأردن) تحت ظل العرش الهاشمي. وقد وافق جلالة الملك عبدالله على هذا التوجّه، وأصدر مجلس الوزراء الأردني بلاغاً قال فيه: «إنها ـ أي الحكومة ـ تقدّر رغبة سكان فلسطين المحتلة في مؤتمر أريحا في ما يتعلق بوحدة البلدين الشقيقين، وستبادر إلى اتخاذ الإجراءات الدستورية لتحقيقها». وفي ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٨ انعقد مؤتمر آخر في نابلس لجميع من لم يشاركوا في مؤتمر أريحا، وأرسلوا بعد انتهاء المؤتمر وفداً لمقابلة الملك عبدالله لتقديم قراراتهم إليه، فرحّب بهم. وفي عمان اجتمع مجلس الأمة الأردني، واتخذ قراراً بالموافقة على قرارات مؤتمري أريحا ونابلس[١].

وبدأت نتيجة لهذه الأحداث المشاركة الأردنية ـ الفلسطينية في عضوية الوزارات ومجالس الأعيان والنواب والدوائر الحكومية المختلفة، وكانت المشاركة المسيحية واضحة باستمرار، حيث كان أنسطاس حنانيا ابن القدس الأرثوذكسي أول وزير فلسطيني من المدينة المقدسة عندما تولى الوزارة في ١٢ نيسان/ ابريل ١٩٥٠، بينما بدأ أبناء القدس المسيحيون بملء المقاعد المخصّصة لمدينتهم في مجلس النواب، حيث كان من بينهم: عبدالله نعواس، أنطون عطالله، يعقوب زيادين[٢]، ايغور فراج، أنطون البينا، يوسف عبده، إميل صافية، متيا مروم، إميل الغوري، أمين مجج، فؤاد فراج. أما في مجلس الأعيان، فقد مثّل القدس كل من أنسطاس حنانيا وأنطون عطالله ود. داود حنا. وقد تولى كل من أنسطاس حنانيا وأنطون عطالله وفؤاد فراج الوزارة عدة مرات.

---

(١) هاني سليم خير، السجل التاريخي المصور، ١٩٢٠ ـ ١٩٩٠ ط ٢ (عمان: [د. ن.]، ١٩٩١)، ص٢٩ ـ ٣٠.

(٢) الدكتور يعقوب الزيادين أصلاً من قرية السماكية في الكرك ولكنه خدم كطبيب في القدس وحصل على أكبر عدد من الأصوات في انتخابات مجلس النواب الخامس الذي امتدت ولايته من ٢/ ١٠/ ١٩٥٦ حتى ٢١/ ١٠/ ١٩٦١ وقد فصل من المجلس بسبب مواقفه السياسية في ٣/ ١٢/ ١٩٥٧ وحل محله ايجور فراج.

في خضم هذه الأحداث المصيرية، ظهر أن التطورات الكبيرة التي حصلت على الساحة السياسية أوجدت للقدس وسكانها أهمية خاصة. فقد برزت المدينة إلى الواجهة نظراً لمركزها الديني عالمياً، وتشبث كل من العرب واليهود بوجهات نظرهم بالنسبة إلى الحقوق فيها بعد أن أصبحت مقسمة بينهم. وقد كان للمسيحيين فيها دور مهم في عرض وجهة النظر العربية على اعتبار أن المسيحيين في الغرب قد يصبحون أكثر اقتناعاً بوجهة النظر العربية عندما يعرضها مسيحي عربي من مدينة القدس العربية عاش هو وأجداده القرون الطوال في راحة وهدوء مع أبناء القدس المسلمين الذين كانوا شركاءه في السراء والضراء. إلا أن تطورات الأمور بعد حرب ١٩٤٨، والتغيير الكبير الذي شهدته القدس، جعلت حياة أهلها تمرّ في دوامة مضنية. فقد كانوا قد بدأوا في تضميد جراحهم وإعادة حياة القدس العربية إلى وضع أقرب إلى الطبيعي عندما قتل الملك عبدالله الأول ظهر يوم الجمعة في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٥١ داخل المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. إلا أن الأمور عادت إلى مسيرتها الطبيعية عندما تمت المناداة يوم ٦ أيلول/سبتمبر ١٩٥١ بالملك طلال ملكاً دستورياً على الأردن، وتولى ابنه الأمير الحسين بن طلال ولاية العهد طبقاً للمادة (٢٢) من الدستور، حتى إذا تبيّن أن مرض الملك طلال لا يرجى شفاؤه تسلم العرش الملك حسين في الثاني من شهر أيار/مايو ١٩٥٣، وبدأت بالنسبة إلى القدس والأردن بضفتيه فترة باهرة ضاعت جميع إنجازاتها في حرب ١٩٦٧ واحتلال القدس بأكملها من قبل الإسرائيليين[٣].

لإعطاء القارئ فكرة عن الأوضاع التي كانت سائدة في القدس بعد حرب ١٩٤٨ مباشرة، أشير إلى خطاب كان قد قدمه في اجتماع نادي الروتاري في القدس روحي الخطيب الذي واكب مسيرة المدينة طيلة حياته، وانتخب عضواً في أول مجلس بلدي للمدينة بعد النكبة الأولى عام ١٩٥١، واختارته الحكومة الأردنية رئيساً لبلدية القدس يوم ١٩/ ١/ ١٩٥٧، وأصبح أميناً لها عام ١٩٥٩، حيث ظل بعدها أميناً لها بكل مشاعره الأمينة والمخلصة حتى وفاته. يذكر الخطيب الأوضاع في القدس، فيقول إن عدد السكان العرب في القسم العربي من المدينة المقدسة انخفض من ٩٠ ألف نفس إلى ٣٣ ألف نفس، بينما تقلّصت مساحتها من ١٢ ميل مربع إلى الميلين والنصف، وكانت تعاني عدم توفر الماء والكهرباء والفنادق والموارد المالية، بحيث أصبح أهلها أقرب إلى الفقر، ولكنها بعزم ومثابرة أهلها وتعاونهم تمكنت من إعادة البناء، حيث

(٣) منيب الماضي وسليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين (عمان: [د. ن]، ١٩٥٩)، ص ٥٥٣ وما بعدها.

ارتفع فيها عدد الفنادق إلى ثلاثة وعشرين تحتوي على ٧٨٠ غرفة، وتم تأسيس ٢٨ شركة سياحية و ١٨ فرعاً لشركات الطيران، وتحسن إنتاج وبيع مواد السنتواري التي أصبح يقوم بها ٦٨ محلاً، بالإضافة إلى التطور الكبير في حقول خدمات النقل والسفر(٤).

ومن الإنصاف أن نذكر لروحي الخطيب خدمته المتفانية لمدينة القدس العربية، وهو الذي قضى عمره في تأدية أمانته نحوها. وقد كان من أكبر العاملين في حقل تنمية العلاقات الودّية الإسلامية ـ المسيحية، وكان يهتم أكبر الاهتمام بالأماكن المقدسة بشكل لفت اهتمام العالم أجمع، وأثار إعجاب الناس بالطريقة السمحة التي كانت تستقبل بها المدينة المقدسة هذه الأفواج من الزائرين والسواح. وقد أدى ذلك خلال سنوات قليلة إلى عودة أهل القدس إلى ربوعها، فتضاعف العدد حتى بلغ ٦٢ ألف نفس حسب الإحصاء الحكومي للسكان عام ١٩٦١. وفي عهد الأمين روحي الخطيب، تمّ عام ١٩٥٨ ترميم قبة الصخرة المباركة بكلفة زادت على السبعمائة ألف دينار جمعت كتبرعات من العالمين العربي والإسلامي. كما تمّت صيانة بناية كنيسة القبر المقدس بعد أن كانت قد تضررت أثناء زلزال ١٩٢٧، وقامت سلطات الاحتلال بتدعيمها بعوارض حديدية بقيت مكانها طيلة هذه المدة. وقد بلغت كلفة إصلاح الكنيسة ما يزيد على النصف مليون دينار جمعت من الهيئات المسيحية الثلاث التي تشارك في ترتيبات الستاتيكو، وهي الأرثوذكس واللاتين والأرمن(٥). ومن المؤسف أن هذا الإخلاص للمدينة المقدسة ومكانتها الخاصة لم يلق التقدير الكافي لدى السلطات الإسرائيلية المتعطشة لاحتلال القدس كلها، وتغيير طبيعتها العربية الإسلامية ـ المسيحية. فقد قامت هذه السلطات بإبعاد أمين القدس إلى عمان يوم ٧ آذار/ مارس ١٩٦٨ بعد أن كانت قد أبعدت زميليه في الجهاد ضد الاحتلال، وهما: الشيخ عبد الحميد السائح، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية، وأنطون عطالله، وزير الخارجية الأسبق، في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٧ و٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٧ على التوالي(٦). وبهذا، بدأت محاولاتها الجادة لتدمير الحياة العربية في القدس، والتمهيد لجعل المدينة المقدسة يهودية الطابع، وجعل رئاسة البلدية وقفاً على الصهيونيين الذين يعملون ليل نهار على تحويلها عاصمة موحّدة لدولة إسرائيل.

---

(٤) انظر نص المقالة وكذلك المقالة الواردة عن روحي الخطيب في: يعقوب العودات [البدوي الملثم]، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين (عمان: وكالة التوزيع، ١٩٧٦)، ص ١٦٣ ـ ١٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٣ ـ ١٦٩.

(٦) قائمة المبعدين الذين قامت اسرائيل بإبعادهم إلى الضفة الشرقية بين ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٧ و٦ أيار/ مايو ١٩٦٩ وقد بلغ عددهم تسعين شخصية من الفعاليات الدينية والتعليمية والنقابية والمهنية.

لقد أوجد احتلال القدس الكامل من قبل الإسرائيليين، واستعجالهم الأمور لتغيير الأوضاع الإسلامية ـ المسيحية التي كانت سائدة في القسم العربي، نقمة لدى المسيحيين تجاه المسيحية الغربية التي ساندت الأفعال الإسرائيلية دون الأخذ بعين الاعتبار للمشاعر لدى العرب المسيحيين الذين يفترض أن يكونوا أيضاً من المؤمنين التابعين لهذه الكنائس التي تقيم رئاساتها في بلدان غربية كاللاتين وجميع الكنائس البروتستانتية بلا استثناء. وقد واكب هذا الشعور بالامتعاض والغضب شعور آخر بالنقمة لدى العرب الأرثوذكس ضد الرهبان اليونان الذين يسيطرون على البطريركية الأرثوذكسية في المدينة المقدسة. ومع أن الشعور لدى الفريق الأول لم يتمكن لأسباب مختلفة من تنفيذ إجراءات صريحة ضد هذه الكنائس الغربية، فقد قام الفريق الثاني الأرثوذكسي بتجديد حملته ضد التسلط اليوناني وضد هذا التعاون الذي بدأ بين السلطات الإسرائيلية وبعض الرهبان في سبيل الاستيلاء على الأوقاف الأرثوذكسية التي كانت تشكل نسبة عالية من الأراضي والعقارات في أجزاء مهمة من المدينة داخل السور وخارجه. وفي أوائل عام ١٩٥٦، على أثر وفاة البطريرك الأرثوذكسي تيموثاوس، واعتزام البطريركية انتخاب خلف له، تنادى قادة الأرثوذكس إلى اجتماع عقد يوم ٢٢/ ١/ ١٩٥٦ انتخب الحاضرون خلاله لجنة تحضيرية تمثل جميع الأرثوذكس في أرجاء البطريركية، وكان أعضاؤها هم:

ممثلا القدس ومنطقتها أنطون عطالله ويوسف عبده.

ممثل رام الله سمعان داود.

ممثلا الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ عبدالله نصير ورجا العيسى.

ممثل غزة فائق حلزون.

ممثلو الأردن سعد أبوجابر وعيسى قعوار وسعد النمري وعيسى المدانات.

وبعد التداول، ضمت اللجنة إلى صفوفها ستة أعضاء آخرين لإتمام تمثيل جميع المناطق، وهم:

ممثل بيت لحم الياس البندك.

ممثل نابلس توفيق الخوري.

ممثلو بيت جالاجريس قمصية وإبراهيم خاروفة.

ممثل إربد برهم سماوي.

ممثلا الكرك فرح مدانات ونعيم القسوس.

وباشرت اللجنة عملها بمقابلة رئيس الوزراء، حيث طلبت منه توقيف انتخاب

البطريرك وعقد مؤتمر عام للأرثوذكس. وفي ٢٣ آذار/ مارس ١٩٥٦ عقد في قاعة فندق أورينت هاوس في القدس هذا المؤتمر بحضور لطفي المغربي قائمقام القدس، وفايز أيوب قائد مقاطعة القدس، ومساعده صادق نظيف، ومائتين وثمانية عشر مندوباً من الفعاليات الأرثوذكسية في أرجاء البطريركية. وقد انتخب أنطون عطالله ابن القدس رئيساً للمؤتمر، وتقرّر بعد مداولات مطوّلة الاستمرار في مطالبة الحكومة بتثبيت قرارها الحكيم بإرجاء انتخاب بطريرك جديد ريثما تتمكن من دراسة القضية الأرثوذكسية، تمهيداً لوضع الأمور في نصابها الصحيح، وإنهاء الخلاف القائم بين الطائفة والبطريركية. كما تقرر مواصلة السعي لاستصدار تشريع يقوم مقام القوانين السابقة بما يكفل تأمين مطالب وحقوق الطائفة الأرثوذكسية العربية. وقد أفلحت هذه الجهود، فلما تألفت وزارة سليمان النابلسي في ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦، بادرت إلى وضع مشروع قانون مناسب لحل الخلاف، إلا أن التطورات السياسية واستقالة وزارة النابلسي في ١٠/ ٤/ ١٩٥٧ عطّلت إقرار المشروع، حيث تمّ بصورة غريبة إقرار القانون رقم (٢٧) عام ١٩٥٨ الذي لا يكفل الحقوق العربية في هذه البطريركية المهمة[٧].

لقد بذل العهد الأردني في القدس جهوداً كبيرة للمحافظة على الطابع الديني للمدينة المقدسة، وقد شجّع حوار الديانات ورحّب كل الترحيب بزيارة البابا بولس السادس عام ١٩٦٤، وقد التقى خلالها بالبطريرك الأرثوذكسي أثيناغوروس الذي حضر خصيصاً من القسطنطينية، بالإضافة إلى أحبار جميع الكنائس في القدس، مما أضفى على هذه اللقاءات صفة اجتماع لقادة العالم المسيحي عقب انقطاع تجاوز التسعمائة سنة إثر الخلاف الكبير بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية عام ١٠٥٤، كما رحّب بزيارات جميع رؤساء الأديان والزائرين، إلا أن الوضع السياسي كان يخيّم بظلاله على الموقف باستمرار بعد أن أصبحت المدينة مقسّمة بين عربية ويهودية. وقد حيل بين العرب والعودة إلى بيوتهم، ولم تسمح إسرائيل بالزيارة، مما اضطر معه الأردن إلى عدم السماح لليهود بزيارة القدس العربية أو أي جزء آخر من الأردن. وهنالك لمن يرغب في الاطلاع على هذا الموضوع المهم بحث جدي للدكتور مايكل هدسون بعنوان «تحويل القدس ١٩١٧ ـ ١٩٨٨» نشر في كتاب **القدس في التاريخ**[٨].

---

(٧) رؤوف أبو جابر، «نبذة عن تاريخ القضية الأرثوذكسية،» في: شحادة خوري ونقولا خوري، **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية** (عمان: [د. ن.]، ١٩٩٢)، ص ٤١٠ ـ ٤١٤.

(٨) مايكل هدسون، «تحويل القدس ١٩١٧ ـ ١٩٨٨،» في: هندريكوس باكوبوس فرانكن [وآخرون]، **القدس في التاريخ**، حرر الطبعة الانكليزية وترجمها كامل جميل العسلي (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٢).

كنا ذكرنا أثناء الفصول السابقة الخلافات الكبيرة التي سيطرت على العلاقات بين الكنائس في القدس، وكانت إحدى الخلافات المهمة توحيد الأعياد، بحيث يتمّ الاحتفال بعيد الميلاد حسب التقويم الغربي، وبعيد الفصح حسب التقويم الشرقي، نظراً لأن في ذلك تأكيداً للشعور القومي لدى المسيحيين العرب عموماً.

وتجاوباً مع هذه الرغبة العامة، عقد اجتماع بعمان حضره عدد كبير من أبناء الروم الأرثوذكس واللاتين والروم الكاثوليك والكنائس البروتستانتية والسريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك والأرمن الأرثوذكس والأرمن الكاثوليك والأقباط والموارنة، أيدوا خلاله الفكرة وألفوا لجنة لمتابعة الموضوع ضمّت من أبناء القدس إميل الغوري واميل الكردي، بالإضافة إلى ممثلين عن جميع الطوائف المذكورة آنفاً.

قامت اللجنة المكلفة بالأمر بدراسة النواحي المختلفة لهذا المشروع، واستشارت أديب عصفور قائمقام الأديان في القدس والخبير بأوضاع الستاتيكو، فأكد أنه «بالنسبة إلى عيد الفصح، فهو يصادف كل بضعة سنوات في يوم واحد لجميع الكنائس في السنة الكبيس، والكنائس الشرقية والغربية لذلك تستطيع في ذلك اليوم تنظيم طقوسها دون المساس بحقوق بعضها البعض. ولذلك فإن ما يجري في تلك السنة الكبيس يمكن الاتفاق عليه بشكل دائم. أما بالنسبة إلى عيد الميلاد، فإنه بالإمكان أيضاً تنظيم الطقوس الدينية ودخول البطاركة لكنيسة المهد إذا ما عقدوا النية لتنفيذ اتفاقية توحيد الأعياد»[٩]. وقد استمرت المحاولات لإقناع البطريرك اليوناني والمجمع المقدس في البطريركية الأرثوذكسية، إلا أنهم امتنعوا عن الموافقة بالنسبة إلى القدس. ولذلك قرّر العرب المسيحيون بعد هذه المجادلات التي استمرت لثلاث سنوات توحيد الأعياد في الأردن بدءاً من عيد الميلاد عام ١٩٧٥، وأن تترك المسألة في الوقت الحاضر بالنسبة إلى الأعياد في فلسطين، إلا أن مدينة رام الله عادت واتخذت قراراً كنسياً شعبياً بتوحيد الأعياد بدءاً من ٣٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥ بعد أن اتخذت الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية برئاسة المطران سمير قفعيتي زمام المبادرة في هذا المجال[١٠].

---

(٩) تقرير عن أعمال لجنة توحيد الأعياد المسيحية ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ونص برقيات التهنئة بهذه المناسبة من جمعية النهضة الأرثوذكسية العربية وجمعية الثقافة والتعليم الأرثوذكسية المؤرخة ٢٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٥.

(١٠) بيان مدينة رام الله المنشور في: **الأخبار الكنسية (القدس)**، الأعداد ١ ـ ٣ (١٩٩٥).

الفصل الحادي عشر

الاحتلال الإسرائيلي للقدس العربية

لم تتأخر إسرائيل بعد أن احتلت القدس العربية في حزيران/ يونيو ١٩٦٧ عن اتخاذ كافة الإجراءات لتغيير وضع المدينة المقدسة وضمها إلى دولة إسرائيل، فأصدرت ثلاثة قرارات استهدفت بالتتابع تهويد السيادة، والإدارة، والبلدية (الأمانة) العربية. ففي ٢٧/ ٦/ ١٩٦٧ أصدر البرلمان الإسرائيلي قراراً خوّل الحكومة تطبيق «قانون الإدارة والنظام لسنة ١٩٤٨» على أية مساحة من الأرض ترى حكومة إسرائيل ضمّها إلى أرض إسرائيل. وفي ٢٨/ ٦/ ١٩٦٧ أصدر سكرتير حكومة إسرائيل أمراً أعلن فيه أن مساحة أرض إسرائيل تضمّ منطقة تنظيم أمانة مدينة القدس التي تقع تحت الحكم الأردني العربي، وهي تقع ما بين المطار وقرية قلندية شمالاً، وحدود الهدنة غرباً، وقرى صورباهر وبيت صفافا جنوباً، وقرى الطور والعيسوية وعناتا والرام شرقاً، ويقطنها مائة ألف من السكان العرب. وبتاريخ ٢٩/ ٦/ ١٩٦٧ أصدر جيش الدفاع الإسرائيلي أمراً يقضي بحلّ مجلس أمانة القدس العربي المنتخب من سكان القدس، وبطرد أمين القدس من عمله، وإلحاق موظفي أمانة القدس ببلدية القسم المحتل من المدينة[(١)]. وقد أدت هذه الإجراءات في القدس وما شابهها في المناطق المحتلة الأخرى إلى نشاطات مختلفة في أروقة الأمم المتحدة، كان من نتيجتها صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ يوم ٢٢/ ١١/ ١٩٦٧ الذي أعرب عن قلق المجلس المستمر بشأن الوضع الخطر في الشرق الأوسط، وأكد أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط يستوجب انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلت في النزاع الأخير، وإنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمان[(٢)].

هذه التطورات المصيرية، وخصوصاً إيقاف الإدارة العربية في المدينة بالكامل،

---

(١) روحي الخطيب، تهويد القدس (عمان: روحي الخطيب، ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٢.

(٢) «حرب ١٩٦٧ في منظمة الأمم المتحدة،» في: الموسوعة الفلسطينية، ٢ قسم في ١٠ مج (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠)، قسم ١: القسم العام في أربعة مجلدات، مج ٢: ج ـ ش، ص ١٨٤.

وإبعاد أمين القدس والقياديين في المدينة إلى عمان، ومصادرة الأراضي جميعها، جعلت الأهالي يعيشون تحت الظروف البالغة الصعوبة ويضجّون بالشكوى من هذه الأحوال عن طريق توجيه الاحتجاجات والنداءات ومناشدة الهيئات الدولية التدخل لإيقاف هذا المدّ التوسعي الذي لم يسمع بمثله قبلاً. فقامت الهيئة الإسلامية والهيئات المسيحية برفع صوتها ضد هذه الإجراءات ما أمكنها ذلك، ولكن بالنظر لظروف الاحتلال القاسية انتقل النشاط إلى عمّان، حيث أصدرت الهيئة الإسلامية يوم ١٠/ ٩/ ١٩٧٠ احتجاجاً شديداً حول مصادرة الأراضي في القدس، بينما أصدر رؤساء الأديان المسيحية في عمّان نداء إلى رؤسائهم بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٧٠، وعلى رأسهم قداسة البابا بولس السادس، ناشدوهم فيه استعمال نفوذهم في العالم كي يحلّ العدل والسلام في الشرق الأوسط، وتحفظ حقوق الإنسان في المناطق المحتلة، وإزالة الظلم الذي أحاق بمليون وسبعمائة ألف لاجئ فلسطيني، والتوقف عن مصادرة الأراضي، حيث إن إسرائيل استغلّت هذه الظروف لنزع ملكية ١٢٠٠٠ دونم من الأراضي لتضمها إلى مخطط مدينة القدس[٣]. وفي بحث نشره إبراهيم مطر عام ١٩٩٧ بعنوان «التحول في القدس» صورة حية عن هذه المصادرات الإسرائيلية للأراضي وتغيير معالم الحياة في المدينة، وخصوصاً في المرحلة الثانية التي أعقبت حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، واستمرت حتى نهاية القرن، والتي لم تترك فيها الحكومة الإسرائيلية مجالاً واحداً لم تلجأ إليه لتهويد مدينة القدس الشرقية عن طريق إسكان اليهود فيها من خلال مصادرة الأراضي وسرقة العقارات واتباع سياسة عنصرية لا تسمح ببناء المساكن إلا لليهود، مع ما في ذلك كله من مخالفة صريحة للقانون الدولي[٤].

ومن الضروري في هذا المجال أن نتطرق إلى التأثير الذي أحدثته هذه الأوضاع في الوجود المسيحي في القدس، وذلك من خلال عملية التناقص السكاني المستمر في الأراضي المقدسة الذي أشار إليه بعد دراسة مستفيضة د. برنارد سابيلا، والذي كانت نسبته ١٣ بالمئة في عام ١٨٩٣، وقد ظلت تتناقص باستمرار بحيث أصبحت هذه النسبة حوالى ٢ بالمئة فقط من مجموع السكان في الأراضي المقدسة عام ٢٠٠٠[٥].

---

(٣) الخطيب، المصدر نفسه، ص ١٠١ ـ ١٠٥.

(٤) ابراهيم مطر، تحويل القدس ١٩٤٨ ـ ١٩٩٧ (لندن: [د. ن.]، ١٩٩٧)، ص ١٤.

(٥) انظر بحث برنارد سابيلا، «المسيحيون الفلسطينيون والمهام المستقبلية،» المقدم بمناسبة «بيت لحم ٢٠٠٠» وقد نشر في مجموعة مقالات كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٩ بإشراف سفير فلسطين في بريطانيا عفيف صافية، ص ١٥.

هذا التناقص المستمر كان ولا يزال من أكبر الأخطار التي تحيق بقضية القدس العربية، وبالتالي القضية الوطنية في فلسطين. وقد حلّل الباحثون الفلسطينيون أسباب الهجرة التي أدت إلى هذا التناقص، فذكر البروفسور جورج قنازع أن أسباب الهجرة التي ما زالت تنخر في عظام المجتمع الفلسطيني كثيرة، وأهمها :

١ ـ **الأوضاع الاقتصادية**، بحيث اندفع الكثيرون إلى البحث عن فرص جديدة لتحسين أوضاعهم. وهذا هو السبب نفسه الذي يجعل الكثيرين منهم يفكرون بالعودة إلى الوطن عند تحسّن الأوضاع الاقتصادية أو تغيّر الظروف السياسية.

٢ ـ **الأوضاع السياسية**، وهذا الصراع مستمر منذ أوائل القرن العشرين.

٣ ـ **التحصيل العلمي**، وهو يتجلّى في السعي إلى التعلم في المعاهد العلمية الغربية.

٤ ـ **البحث عن عمل**، كما يفعل الكثيرون، وهو يتجلّى في السفر إلى الدول النفطية.

وقد لاحظ الباحث «أن الميل إلى الهجرة يظهر غالباً بين الشباب الذين لم تستقر أحوالهم، وتزداد في هذه الهجرة نسبة الشباب الذكور على الإناث. ولهذه الظاهرة أثر اجتماعي سلبي في غالب الأحيان»(٦).

وقد أدى التباعد بين الكهنة اليونان في البطريركية الأرثوذكسية والأرثوذكس العرب في أرجاء الأراضي المحتلة إلى نتائج سلبية في هذا المجال. فقد أشار د. صالح حمارنة إلى أهمية دور الأوقاف الدينية في كبح جماح الهجرة إذا ما حسنت إدارتها لخير المؤمنين ومصلحة المجتمع، مذكراً بموقف البطريرك اليوناني في البطريركية الأرثوذكسية في القدس الذي صرح بتاريخ ٢٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٢ بأن «هذه الكنيسة هي كنيستنا، فهذه الكنيسة هي كنيسة اليونان، وإذا كان العرب لا يقبلون بقانوننا، فليس لهم من بديل إلا اختيار كنيسة أخرى، كنيسة يقيمونها هم»، مما يبعث الأسى في النفوس، إذ إن القطيعة بين الراعي والرعية في كنيسة هي أم الكنائس في مدينة القدس الخالدة يزيد من أسباب الهجرة، ويؤدي إلى الشعور بالخذلان لدى عدد كبير من المسيحيين الأرثوذكس الذين أكد د. برنارد سابيلا «أنهم يحتلون المكانة الثانية بين المسيحيين الذين هاجروا من منطقة القدس، ولكنهم يمثلون المرتبة الأولى في

---

(٦) انظر ورقة جورج قنازع المقدمة إلى المؤتمر الأرثوذكسي بالقدس في حزيران/ يونيو ٢٠٠٠ والمنشورة في: الصنارة، ٤/٨/٢٠٠١، الملحق.

العائدين أو الراغبين في العودة إذا تحسنت الأحوال»[٧]. أما البروفسور جورج قنازع، فقد أشار هو أيضاً وبكل اهتمام إلى الدور الكبير الذي يجب أن تضطلع به البطريركية الأرثوذكسية لمنع هذا الخطر الداهم. وقد أورد حديثاً يؤيد ذلك للمطران تيموثيوس سكرتير البطريركية الأرثوذكسية عند تحيته للمؤتمر الذي انعقد في القدس عام ٢٠٠٠ لبحث موضوع الهجرة، قال فيه «إن كنيستنا الأرثوذكسية التي هي كنيسة وطنية محلية مدعوّة اليوم مع باقي الكنائس الشقيقة في الديار المقدسة إلى مزيد من التعاون والعمل المخلص من أجل وقف نزيف الهجرة، والى مزيد من الديناميكية والتفاعل مع الواقع الذي نعيشه، بل إنها مدعوة أكثر من أي وقت مضى إلى أن تلعب دورها الريادي الفاعل في الدفاع عن الحق والوقوف في وجه الظلم والطغيان». وتساءل الكاتب بعدها «ألم يحن الوقت بعد لترجمة هذه الكلمات الواعدة إلى برامج عملية مثمرة؟»[٨]، وهو بالحقيقة قول حق، إذ إن بيوع الأراضي والعقارات التي قام بها رهبان أخوية القبر المقدس اليونان في القدس أحبطت العرب الأرثوذكس، وزادت من حدّة الصراع الكبير المستمر في البطريركية الأرثوذكسية منذ عام [٩] ومما يحزن نفوس الأرثوذكس العرب أن مثل هذه الأقوال ليس لها ما يساندها في دنيا الواقع، فهي محاولة غير ناضجة لإرضاء العرب عموماً، وكذلك الأرثوذكس الذين اشتد الصراع بينهم وبين البطريركية بسبب هذه المخالفات[١٠].

يؤكد أسباب الهجرة المذكورة آنفاً مراراً الباحث د. برنارد سابيلا في إجابته عن سؤال: «لماذا يهاجر الفلسطينيون؟»، حيث يذكر أنه من الواضح أن الفلسطينيين عموماً يهاجرون لأن ليس لديهم الفرص الاقتصادية والمهنية المناسبة في بلادهم، ولكون المسيحيين الفلسطينيين يعيشون حياة الطبقة الوسطى، فإنهم يجدون أنفسهم في وضع غريب تنطبق عليه مواصفات المجموعة التي تلجأ إلى الهجرة، والتي توصف

---

(٧) صالح حمارنة، «دور الأوقاف في صمود القدس وموقف البطريركية الأرثوذكسية،» ورقة قدمت الى: الندوة التاسعة في يوم القدس ١٩٩٨، ص ١٥١.

(٨) انظر ورقة جورج قنازع عن الهجرة في مركز اللقاء في القدس عام ١٩٩١.

(٩) الصنارة، ٢٠٠١/٨/٤، الملحق، ص ٧.

(١٠) هذا الخلاف الكبير بين العرب الأرثوذكس الذين يقارب عددهم في أرجاء البطريركية الأرثوذكسية المقدسية المائتي ألف في الأردن وفلسطين وبين الرهبان اليونان في اخوية القبر المقدس الذين لا يزيد عددهم على التسعين بما فيهم البطريرك والمطارنة والرهبان والذين يسيطرون على مقدرات البطريركية خلاف تعود جذوره إلى أيام الحكيم العثماني عندما سمح «نظام الملة» بتسلل هؤلاء الرهبان واحتلال المناصب القيادية في البطريركية بحيث لا يوجد فيها الآن أي مطران عربي مع ما في ذلك من مخالفة واضحة للأعراف والتقاليد ومواد القانون الأردني رقم (٢٧) لسنة ١٩٥٨ الذي يبين النواحي القانونية المتعلقة بهذه البطريركية والذي ينص على وجوب المشاركة العربية اليونانية في الإدارة والإشراف على الأوقاف والمزارات.

عادة بأنها «مجموعة لديها مستويات ثقافية عالية ومستوى مرتفع نسبياً من نمط العيش، ولكن ليست عندها ثقة في تحقيق آمال حقيقية للأمن الاقتصادي أو التقدم، ولذلك تصبح عرضة لهذه الهجرة». وفي تحليله لظروف الهجرة عموماً، يؤكد الباحث أنها على رغم أهميتها لن تغيّر بشكل أساسي التوازن السكاني بين العرب واليهود، إذ يجمع الخبراء على أن عام ٢٠١٥ سيكون على الأرجح عام التوازن السكاني، إلا أن ذلك يتعلق حتماً بأعداد المهاجرين اليهود الوافدين، في الوقت الذي تشير فيه التقديرات اليهودية إلى أن عدد السكان اليهود في فلسطين الجغرافية سيكون بحدود ستة ملايين ونصف عام ٢٠١٠ (١١).

وعند الحديث عن هذه المواضيع المهمة وتعلقها بالقدس والوجود المسيحي فيها، نجد من الضروري البحث في العلاقات التي قامت بين السلطات الإسرائيلية المحتلة والكنائس المسيحية المختلفة، لأن ذلك يعطي فكرة جيدة عن الفرق الواسع والاختلاف الكبير في التفكير بين الكنائس العربية والكنائس الغربية، وعلى رأسها الفاتيكان الذي كان يتمتع بصفة مزدوجة، هي صفة الدولة من جهة، وصفة الرئاسة الروحية من جهة أخرى. وتعود مسيرة الحوار بين إسرائيل والفاتيكان إلى ما قبل عام ١٩٦٥ عندما أقر المجمع الفاتيكاني الثاني إعلان تبرئة اليهود من دم السيد المسيح الذي أزال الاتهام القائم وقتها بأن اليهود قتلوا السيد المسيح. وكانت هذه الوثيقة قد أقرت في المجمع المسكوني بعد زيارة البابا بولس السادس إلى الأراضي المقدسة في مطلع عام ١٩٦٤، وكانت بوادر إقرار الوثيقة قد أثارت أوساط المسيحيين في البلدان العربية، حيث أعلنت الكنيسة القبطية معارضتها لإقرار الوثيقة، واتهمت الصهيونية بتضليل الكنيسة الكاثوليكية، بينما أرسل أعضاء مجلس الأمة الأردني المسيحيون برقية إلى البابا يشجبون فيها تبرئة اليهود من دم المسيح، كما أعلن البطريرك ثيودوسيوس السادس أبو رجيله، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، بعد اجتماع كبير عقد خلال ذلك الأسبوع للمطارنة الأرثوذكس في حمص «أن بدعة تبرئة اليهود من دم المسيح تعني في الواقع اعترافاً بإسرائيل».

والملاحظ أن هذه الأحداث وكل ما واكبها من نشاط صهيوني محموم وضغوط من دوائر متعددة، كانت أخطرها مجموعة الكاردينال أوغسطين بيا اليسوعي الألماني الذي كان البابا يوحنا الثالث والعشرون قد عيّنه رئيساً لسكرتارية الوحدة المسيحية، وكان كلف أيضاً بمعالجة ملف العلاقات الكاثوليكية ـ اليهودية، وقد لاقت الاهتمام

---

(١١) المسيحيون في الأراضي المقدسة (مؤتمر)، تحرير مايكل براير ووليام تايلور (لندن: مؤسسة عالم الإسلام الثقافية، ١٩٩٤)، ص ٤٤.

الكبير لخطورتها في جميع الأوساط الإسلامية والمسيحية، حيث أرسل أمين القدس روحي الخطيب برقية إلى البابا باسم سكان المدينة المقدسة ناشده فيها إعادة النظر في هذا القرار المهم لما ينطوي عليه من مخاطر وتغيير للتاريخ. ولم تلق هذه الضغوط الاهتمام المناسب من الكنائس الأخرى في القدس، حيث آثر الرهبان اليونان عدم التدخل. ولم يصدر عن البطريرك الأرثوذكسي فينذكتوس الأول أي اعتراض أو تصريح، في الوقت الذي كان فيه بطريرك اللاتين يعقوب بلتريتي من الجنسية الإيطالية، فلا يعقل أن يتخذ موقفاً معارضاً لرئاسة كنيسته. أما الكنيسة الإنجيلية العربية، فقد كانت مشغولة بصراعها مع الإرسالية الإنكليزية في موضوع تعريب الكنيسة وتنصيب مطران عربي لها. ولذلك انتقل النشاط إلى عمّان والمحافل الفلسطينية خارج فلسطين، حيث قام المسيحيون العرب بإرسال مذكرات الاحتجاج إلى البابا عن طريق مطران اللاتين في عمّان نعمة السمعان، وسافر الأب إبراهيم عياد المناضل الفلسطيني المعروف من بيروت إلى روما، حيث قدّم احتجاج منظمة التحرير الفلسطينية إلى قداسة البابا بولس السادس[١٢].

أما المحاورة الحديثة بين الفاتيكان وإسرائيل، فقد بدأت في عام ١٩٩٢ عندما تشكلت لجنة ثنائية تهدف إلى تطبيع العلاقات. وتبع ذلك توقيع الاتفاق الأساسي بينهما في ٣٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٣ حين تبادل الفريقان الاعتراف المتبادل، وعيّنا ممثلين للعمل لدى كل منهما، كما تعهدا بموجب الاتفاق بمحاربة اللاسامية. وقد أثار هذا الاتفاق بدوره موجة عارمة من الاحتجاج، وخصوصاً بين المسيحيين في الأردن وسوريا ولبنان. وكان بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الصايغ حكيم من أكبر المعارضين، إذ صرح في ٤ حزيران/يونيو ١٩٩٤ بأن «كنيستنا ليست متمسكة باتباع الفاتيكان. إننا أحرار في المسائل ذات الطابع السياسي، وإذا اتخذ الكرسي الرسولي موقفاً مختلفاً عن الموقف الذي يؤيده حالياً، وإذا ارتكب خطأ وتخلّى عن القدس، فإننا سنعارض كل ما نعتبره متناقضاً مع مصالحنا كعرب»[١٣].

بحسب الاتفاق الأساسي، فإن الخطوة التي تتبع إعلان إقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة هي تشكيل لجان خبراء لوضع تفاصيل الوضع المالي والقانوني للكنيسة الكاثوليكية وممتلكاتها في الأراضي المقدسة، على أن يتم عمل اللجان خلال ٢٤ شهراً. وقد أشير في هذا الصدد إلى أن للكنيسة الكاثوليكية ٣٠٠ مؤسسة في

---

(١٢) «الفاتيكان،» في: الموسوعة الفلسطينية، ج ٣: ص ـ ك، ص ٤١٧ ـ ٤٢١.
(١٣) انظر مقابلة بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس حكيم في: السفير، ٤/٦/١٩٩٤.

إسرائيل والأراضي المحتلة، هي عبارة عن مدارس ومستشفيات وأديرة ودور أيتام. ومن الجدير بالذكر أن هذه التطورات عجّلت في إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الأردن والفاتيكان، فقد أقيمت في ٣ آذار/ مارس ١٩٩٤، واعتمد السفير الأردني في فرنسا كمبعوث لدى الفاتيكان. أما الاتفاقية الدولية بين إسرائيل والفاتيكان، فقد وقّعت في العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٧ في مقرّ وزارة الخارجية الإسرائيلية في القدس الغربية. ونظراً لما واكبها من احتجاج عربي على جميع المستويات، أصدر الفاتيكان بعد عدة أيام بياناً أوضح فيه موقفه، وأكد «أن طبيعة هذه الاتفاقية قانونية بحتة، وليس لها أية علاقة بالسيادة السياسية على الأرض والمناطق، وأن ردود فعل التخوّف التي صدرت من بعض المسؤولين في السلطة الفلسطينية أثارت الدهشة في سفارة الفاتيكان وفي الأوساط الكنسية الكاثوليكية. لذلك نشر هذا البيان كي يتضح هدف هذه الاتفاقية ومعناها الصحيحان»[(١٤)]. ولإعطاء صورة أوضح عن هذا الموضوع، تمّ نشر نص الاتفاقية بأكملها في ملحق لهذا الكتاب، نظراً لأهميتها البالغة والشأن الذي قد تستحوذ عليه في المفاوضات النهائية بشأن القدس.

كان الاحتجاج العربي الذي ذكرناه نابعاً من الشعور العام بأنه كان في مقدور الفاتيكان تأجيل اتخاذ هذه الخطوات وتبادل السفراء إلى الحين الذي تسوّى فيه المسائل المتعلقة و/ أو الناتجة من الاتفاق الإسرائيلي ـ الفلسطيني، وأن الفاتيكان تفرّد في معالجة وحلّ قضية تتعلق بجميع المسيحيين بغض النظر عن انتمائهم المذهبي، وأنه كان من الأفضل لو كان هنالك موقف مسيحي موحّد قبل اتخاذ قرارات مصيرية على هذا المستوى، بالإضافة إلى أن استعجال الأمور بهذا الشكل من قبل الفاتيكان يشكّل أذى للقضية العربية الوطنية، وقد كان أهلها يكنّون كل التقدير للموقف الذي اتخذه الفاتيكان على مرّ السنين تجاه قضيتهم العادلة.

ويكفينا في هذا المجال ذكر نموذجين لهذه الاحتجاجات، فقد صدر تعليق مهم من قبل الشيخ حسن طهبوب وزير الأوقاف والشؤون الدينية في السلطة الفلسطينية في جريدة الدستور الصادرة صباح يوم ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٧ شجب فيه الاتفاق معتبراً أنه بمثابة سهم جديد في ظهر عملية السلام، حيث إن الوضع الجديد الخطير جداً يعطي اسرائيل وصاية على الأماكن المقدسة في المدينة المقدسة، وذلك ضد القوانين والقرارات الدولية التي تعتبر القدس الشرقية أرضاً محتلة منذ عام ١٩٦٧، وأنه بموجب ذلك لا تملك إسرائيل حق القرار والوصاية والتصرف بها. كما أكد

(١٤) تكرم ووافاني بهذا البيان ونسخة عن الاتفاق المرحوم المونسنيور رؤوف النجار الذي عمل لمدة طويلة كقائم بأعمال في القصادة الرسولية بعمان.

الشيخ طهبوب أن الأمر كان مفاجئاً للسلطة الفلسطينية التي ترفضه ولا تعتبره ملزماً لها بأي حال من الأحوال، إذ إنه يعتبر محاولة اسرائيلة لاستباق المفاوضات النهائية حول القدس.

أما في الجانب المسيحي، فقد صدرت مقالة عنوانها «القدس بحاجة لموقف عربي إسلامي مسيحي» للدكتور رؤوف أبو جابر، رئيس المجلس المركزي الأرثوذكسي[١٥]، انتقد فيها موقف الفاتيكان وطالب فيها بضرورة «إجراء دراسة عملية سريعة لبنود الاتفاقية المختلفة، ثم إجراء مشاورات عاجلة مع جميع الهيئات العربية التي لها علاقة بشؤون القدس، وخصوصاً وزارات الأوقاف والشؤون الدينية، ورجال الدين العرب من المسلمين والمسيحيين، والمسؤولين عن ملف القدس في السلطة الفلسطينية والهيئات الشعبية العربية في القدس وضواحيها، بهدف تقرير خطة عمل واقعية، بحيث يكون هنالك موقف عربي تجاه هذا التيار الجديد». ولكن على رغم إجراء بعض الاتصالات في هذا السبيل، فإن تسارع الأحداث لم يسمح بمتابعة الأمر.

وحتى لا يتبادر إلى الذهن أن البطريركية اللاتينية وحراسة الأماكن المقدسة قد تهاونت في أداء واجباتها والمحافظة على حقوقها وأوقافها نتيجة للعلاقات التي تطوّرت خلال السنين بين إسرائيل والفاتيكان، يجد الباحث أن هذه العلاقة كان يتخللها أحياناً أخذ ورد وإجراءات قضائية متشابكة، وأحسن مثال على ذلك هو عمارة النوتردام الفرنسية التي كانت معقل الجيش العربي في دفاعه عن القدس العربية خلال حرب ١٩٤٨. فقد قام شخص أمريكي ببيع هذا الدير في نيويورك عام ١٩٧٠ بطريقة احتيالية إلى شركة يهودية تابعة للصندوق القومي الإسرائيلي. فلما علم قداسة البابا بالأمر الذي تمّ من دون علم أو موافقة دوائر الفاتيكان، أوعز إلى المطران حنا كلداني من أجل المبادرة إلى اتخاذ جميع الإجراءات القانونية لإبطال هذا البيع. فتمّ ذلك دون تأخير، وحتى أعلى درجات المقاضاة، مما مكّن بذلك البطريركية من إلغاء الصفقة المزيّفة واستعادة الدير الذي عاد ليمثل مكانته البارزة كمعلم من معالم القدس العربية[١٦].

وهناك مثل آخر على شدّة التمسك بالأوقاف في البطريركية اللاتينية، وهو قصة المبنى الواقع في القدس العربية قرب شارع يافا الذي كان الإسرائيليون قد استعملوه

---

(١٥) رؤوف أبو جابر، «القدس بحاجة لموقف عربي إسلامي مسيحي،» الرأي (عمان)، ٢٢/ ١١/ ١٩٩٧.

(١٦) الخطيب، تهويد القدس، ج ٢، ص ٧٢.

كمبنى لمطبعة **جيروساليم بوست** اليومية. فقد أقامت حراسة الأراضي المقدسة، القيّمة على مبنى كلية تراسنطة (دير الآباء الفرنسيسكان) دعوى قضائية لإخلاء المبنى عام ١٩٩٢، ونجحت بمسعاها بعد أن وصلت القضية إلى المحكمة المركزية. كما أنها رفضت التأجير مؤكدة أنها ستقوم باستعمال المبنى لأغراض ثقافية وعلمية ودينية. وكانت هذه الهيئة قد استرجعت في وقت سابق مبنى كلية تراسنطة المعروف في القدس الغربية، عندما اضطرت الجامعة العبرية التي استولت على البناء عام ١٩٤٨ بواسطة الحراسة الإسرائيلية لإخلائه. والكلية تقع في الشارع نفسه مقابل بيت رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق بنيامين نتنياهو[١٧].

نتيجة لعقد هذه الاتفاقية، تراءى للبطريرك ذيوذوروس، بطريرك الروم الأرثوذكس اليوناني الجنسية، أن من الممكن عقد اتفاقية مشابهة مع إسرائيل. ولذلك دعا إلى توقيع معاهدة، ورأى من المناسب الإعلان عن دعوته هذه في حفل استقبال أقامه لرؤساء الطوائف المسيحية بمناسبة رأس السنة الميلادية عام ١٩٩٦. وقد قالت صحيفة **الجيروساليم بوست** التي أوردت النبأ «أنه بعد توقيع الاتفاقية الأساسية بين دولة إسرائيل والفاتيكان في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٣ تمّ الافتراض بأن كنائس أخرى ستتفاوض مع إسرائيل على اتفاقيات مماثلة، ولكن الفاتيكان هو الكنيسة العالمية الوحيدة المعترف لها بنوع من السيادة التي تمكّنها من الدخول في اتفاقيات معاهدات»[١٨]. وهذا الموقف الإسرائيلي ليس بمستغرب، لأن الرغبة لديهم في هذه المرحلة كانت السيطرة على كل شيء في فلسطين، وخصوصاً القدس، وهم ليسوا على استعداد لإقامة مثل هذه العلاقات مع هيئات أو مؤسسات، كالكنائس الأخرى غير الفاتيكان التي يخلقون لها المصاعب المستمرّة عن طريق مخططات تنظيم العقارات والشوارع في بلدية القدس، وتحميلها ما لا طاقة لها به من الضرائب، كالأرنونا وخلافها، ومحاولة الاستيلاء على أراضيها وعقاراتها عن طريق المصادرة أو الشراء أو الاستئجار لمدد طويلة، كما يحصل مراراً مع البطريركية الأرثوذكسية في نواحي القدس العربية[١٩].

ومن المناسب في هذا المجال ذكر قضية مهمة استحوذت، ولا تزال تستحوذ،

---

(١٧) *Jerusalem Post*, 31/12/1995.

(١٨) الرأي، ١٩/ ١١/ ١٩٩٨.

(١٩) ضريبة الأرنونا هي ضريبة بلدية على العقارات تماثل المسقفات في الأردن تتقاضاها البلديات مقابل خدماتها وقد لجأت إسرائيل إلى التشدد في فرضها على العرب تماشياً مع سياستها الاستيطانية وكانت ترتفع نسبتها في بعض الحالات إلى ٢٥ بالمئة من واردات العقار.

على الاهتمام العالمي، نظراً لعلاقتها براعي مسيرة السلام في الدرجة الأولى، ولما لها من تأثير في قضايا مصادرة أملاك الغائبين التي قامت بها إسرائيل مباشرة بعد حرب ١٩٤٨ دون رقيب أو حسيب. وهذه القضية هي مشروع بناء السفارة الأمريكية في القدس. وقد بدأت القصة، كما أوردها د. وليد الخالدي في الدراسة التي أصدرتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية واللجنة الأمريكية لشؤون القدس عام ٢٠٠٠، عندما وسعت إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ حدود بلدية القدس من ستة كيلومترات مربعة إلى ٧٣ كيلومتراً مربعاً، مع ما تبع ذلك من تغيير ديمغرافي كبير في محيط المدينة. وفي عام ١٩٧٠، قامت لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (إيباك) بحملة في الكونغرس الأمريكي لبناء السفارة في القدس، واستمرت في محاولاتها حتى ١٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٩ عندما وقعت الحكومتان الأمريكية والإسرائيلية اتفاقاً أجّرت بموجبه الحكومة الإسرائيلية إلى الحكومة الأمريكية قطعة أرض مساحتها ٣١٢٥٠ متراً مربعاً مقابل دولار واحد سنوياً لمدة تسعة وتسعين سنة قابلة للتجديد، تبيّن بعدها أنها تقع على الأرض التي كانت فيها ثكنات اللنبي أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين، وأن هذه الأراضي هي في الحقيقة ملك لوقف الخليلي، وهو وقف ذري تابع للأوقاف الإسلامية وعدد من الأسر المقدسية، مثل عائلات الخالدي والحلبي وأبو السعود، التي اضطرت إلى النزوح عن القدس الغربية بسبب الاحتلال الإسرائيلي. وفي ٣١ أيار/ مايو ١٩٨٩، قامت «مؤسسة عطية العربية ـ الأميركية» برئاسة مايكل سابا بتحدّي هذه الاتفاقية وتسليط الأضواء على عدم شرعيتها.

إن استيلاء إسرائيل على الأراضي العربية معروف للجميع، ولكن أوقاف البطريركية الأرثوذكسية كانت بشكل خاص عرضة لمحاولات إسرائيلية متكررة وناجحة عن طريق الشراء من قبل هيئات إسرائيلية بعد إقناع المطارنة اليونان الذين يسيطرون على البطريركية بواسطة الترغيب والترهيب، والإعلان عن هذه الصفقات على أنها صفقات استثمارية، أو تأجير لمدد تصل في معظم الأحيان إلى ٩٩ سنة، وهو ما يعتبر في حكم البيع في بلد كإسرائيل تتغيّر فيه القوانين والأنظمة بحسب ملاءمتها للمخطط الصهيوني الاستيطاني. وقد كانت هذه الصفقات الشاذّة التي يعقدها البطريرك اليوناني ومساعدوه من المطارنة اليونان بشكل غير قانوني[٢٠]، مصدر احتجاجات شديدة من الأرثوذكس العرب أتباع الكنيسة الذين لم يألوا جهداً في

(٢٠) هذه القضايا هي أحد أهم أسباب الخلاف المزمن بين البطريرك ورهبان أخوية القبر المقدس في البطريركية الأرثوذكسية بالقدس من جهة والعرب الأرثوذكس رعية البطريركية في الأردن وفلسطين من جهة أخرى.

الاعتراض على هذه الصفقات وتقديم الشكاوي في المحاكم بشأنها في المناطق المختلفة، مثل الناصرة وحيفا وكفرسميع والبصة والقدس وعمان. وكانت أحدث هذه القضايا محاولة تغطية البيع الذي تمّ لقطعتي الأرض ١ و ٢ من حوض (٣٠٢٩٧) ـ أراضي مار الياس يوم ١٨ شباط/ فبراير ١٩٩٢ بموافقة البطريرك ذيوذوروس وتوقيعه. إلا أنه في محاولة لتخفيف حدة الاتهامات التي واكبت الضجّة الذي أحدثها قيام إسرائيل في عهد رئيس الوزراء نتنياهو بالإسراع في إقامة مستوطنة أبو غنيم، رأى من المناسب رفع دعوى ضد دولة إسرائيل، فأوكل ذلك إلى المحامي معين خوري، وأعطاه توكيلاً للترافع في القضاء الإسرائيلي ليمثل البطريركية في هذه القضية. وعندما انعقدت المحكمة بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٩٧، قامت وزارة الإسكان الإسرائيلية بإبراز وثيقة البيع من البطريركية لصالح البلدية، وهي مؤرخة في ١٨/ ٢/ ١٩٩٢. وكان أهم ما ورد فيها «تسليم وإعطاء الحق بالتصرف بقطعة الأرض ومساحتها ٧٠ دونماً لقاء مبلغ نصف مليون شاقل، ومقابل تعهد المشتري على أن تكون مخصصة لأغراض المنفعة العامة، حيث إنه في حين وعند تسليم القطعة لم يكن هنالك مخطط تنظيمي للمنطقة»[٢١]. وكانت نتيجة المحاكمة أن حكم القاضي لصالح البلدية، وفرض على البطريركية غرامة مقدارها ٢٥٠٠ شاقل، بعد أن قام المحامي بتاريخ ٢٤ آذار/ مارس ١٩٩٧ بالإقرار بأنه كان هنالك اتفاق عام ١٩٩٢ مع البطريرك، ولذلك يتوجّه بطلب إسقاط الدعوى. والملاحظ هنا أن النظر في قضية معقّدة كهذه لم يستغرق أكثر من ستة أيام، نظراً لأهميتها بالنسبة إلى السياسة الإسرائيلية وبرامج الاستيطان، في حين أن قضايا أخرى قد يستمر النظر فيها عدة سنوات.

وكانت هنالك قضية مهمة أخرى هي قضية دير مار يوحنا الذي قامت مجموعة يهودية متطرفة اسمها «عطاروت كوهنيم يشيفا» باحتلاله بالقوة في ١٢ نيسان/ أبريل ١٩٩٠. وقد نُمي إلى علم أمين القدس المبعد في عمان روحي الخطيب[٢٢] أن البطريركية تدرس مشروع مقايضة بينها وبين سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي، يتمّ بموجبه تنازل البطريركية عن ٧٥٠ دونماً من أراضي مار الياس على طريق القدس بيت لحم، مقابل إخلاء عمارة دير مار يوحنا داخل البلدة القديمة في

(٢١) نشرت صور هذه الاتفاقية والأوراق الرسمية المتعلقة بها في: النهار، ٣/ ٩/ ١٩٩٧، ص ١.

(٢٢) وصل خبر هذه الصفقة إلى علم أمين القدس عن طريق اتصال من السيد لويس كتن الموجود في باريس وهو ابن المحامي الأستاذ هنري كتن ابن القدس البار بعد أن شاهد الأخبار عن الموضوع في الصحف التي نقلته عن صحيفة كول هايمر، الصادرة في إسرائيل في ٣/ ٤/ ١٩٩٢.

القدس. فقام بالكتابة إلى رئيس الوزراء الأردني بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٩٢، موجهاً النظر إلى أن هذه المقايضة إذا تمت سوف تشكل خطراً كبيراً على الكيان العربي في كل من القدس وبيت لحم وحواليهما[٢٣]. كما نشر عن القضية في مجلة **الأقصى الشريف**، العدد ٨٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢، في الوقت الذي نشر فيه المبعد الفلسطيني عن القدس ميشيل سنداحة بحثاً مطولاً عن هذه القضية[٢٤]. وربما تكون الإجراءات السريعة في حقل الإعلام الدولي، وتدخّل وزارة الخارجية الأردنية التي قامت بتوجيه الكتاب رقم ع ت ع/ ١٢/ ٦/ ٢١١٤ تاريخ ٣/ ٥/ ١٩٩٢ إلى رئيس الوزراء، وطلبت من البطريرك الحضور إلى عمان، قد أدّت مع عوامل أخرى إلى تعطيل الصفقة، إلا أن بلدية القدس اليهودية لجأت إلى وضع مخططات لاحقة للتنظيم، استملكت بواسطتها مساحات واسعة من أراضي دير مار الياس.

كما كانت هنالك قضية أخرى تتعلق بأرض البطريركية في أبي طور في القدس، حيث قامت شركة أفريقنيا الإسرائيلية، وهي شركة كانت قد أسستها في جنوب أفريقيا مجموعة من المستثمرين اليهود عام ١٩٤٣ بهدف شراء وتطوير أراض للاستيطان اليهودي في أرض إسرائيل، كما يزعمون، وبعد عدة سنوات تحوّلت إلى شركة إسرائيلية يملك ٥٢ بالمئة من أسهمها بنك لئومي. وقد قامت هذه الشركة في حزيران/ يونيو ١٩٩٠ بشراء ٥٠ بالمئة من الأرض التي كانت البطريركية قد باعتها لمجموعة يهودية عام ١٩٨١. وقد ظهرت هذه المعلومات في التقرير السنوي لشركة أفريقنيا، بحيث تمكّن بعض النشطاء الأرثوذكس من ترجمته ونشره لاطلاع المسؤولين.

وقد سبقت هذه القضايا صفقات بيع في أرجاء مختلفة من فلسطين، مما جعل الأرثوذكس العرب في فلسطين والأردن يحتجّون بشدّة على هذه التصرفات غير الشرعية، ويوجّهون نظر السلطات في البلدين إلى أهمية المحافظة على الأوقاف لتعلقها بالتراث العربي في فلسطين عامة، والقدس خاصة. وقد دعت جمعية النهضة الأرثوذكسية العربية إلى عقد مؤتمر في عمّان يوم ٨/ ١٢/ ١٩٩٢ حضره مندوبون عن الأرثوذكس العرب في أرجاء فلسطين والأردن، ووجهت إليه رسالتي تحية وتقدير من كل من الشريف زيد بن شاكر، رئيس الوزارة الأردنية، والرئيس ياسر عرفات، رئيس السلطة الفلسطينية، كما حضرته مجموعة كبيرة من الشخصيات الأردنية

---

(٢٣) رسالة مكتب أمانة القدس إلى دولة رئيس الوزراء بعمان رقم ٥/ ٣٣ التاريخ ٩ شوال ٤١٢ هـ، ١١/ ٤/ ١٩٩٢ م، بتوقيع أمين القدس المرحوم روحي الخطيب.

(٢٤) تكرم السيد ميشيل سنداحة بموافاتي بنسخة عن بحثه القيم بعنوان «تهويد حارة النصارى بالقدس يصطدم بصخرة التضامن الإسلامي المسيحي وقصة احتلال دار الضيافة دير مار يوحنا بالقدس».

والفلسطينية، وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد السائح، المتحدث الرئيسي للمؤتمر؛ وروحي الخطيب، أمين القدس؛ وطاهر المصري، رئيس الوزراء الأردني الأسبق؛ وعباس زكي، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية؛ والطيب عبدالرحيم، سفير فلسطين في عمّان؛ وعمر الخطيب، مساعد السفير[٢٥].

وقد أكد رئيس المؤتمر د. رؤوف أبو جابر أن رسالة المؤتمر الأولى هي وجوب المحافظة على الأوقاف والمقدسات. وكان بعض ما ورد في كلمة أمين القدس روحي الخطيب يمثّل أصدق تمثيل الشعور العام لدى العرب، مسلمين ومسيحيين، عندما قال «وكابن القدس، مولداً ونشأة وعاملاً وخادماً، أمضى معظم حياته في أرجائها، ومتابعاً لأحداثها مؤخراً من عمّان، كنت كلما مررت بسوق أفتيموس وسط البلدة القديمة فيها، والمعروف بسوق الدباغة، أو نعمت بتمضية نزهات مدرسية في أراضي «غالاليا» على جبل الزيتون، وأراضي دير الشياح قرب العيزرية، وأراضي دير القطمون أو المصلّبة، أو أراضي دير مار الياس بين القدس وبيت لحم، وكلها من عقارات الطائفة المجيدة، كنت أعجب وأقدّر باحترام المسؤولين على رعاية هذه الطائفة لما حقّقوه لها من ممتلكات قيّمة.

«ولقد ازداد احترامي وإكباري لرجال هذه الطائفة، بعد أن تسلّمت رئاسة بلدية القدس، ثم أمانتها، وبعد اتصالاتي بهم واطلاعي على المزيد من أملاك الطائفة ومؤسساتها الدينية والعقارية في القدس وحولها، والتي من بينها عدد من الكنائس والأديرة والمدارس، وعدد كبير من العقارات، من بينها عمارة دار الأمانة داخل البلدة القديمة ودار البطريركية وفندق مار يوحنا وفندق القديس مرقص (الفندق الذي يستأجره آل الدجاني منهم والمواجه لقلعة القدس)، وعدد آخر من الأبنية السكنية الرائعة البناء حول كنيسة القيامة.

«وقد بدأ هذا الإعجاب وذاك التقدير ينتابهما القلق والأسف لدى سماعي في ما بعد عن صفقات بيع لأراض واسعة تملكها الطائفة في القدس وحولها، تمّت كما نشر بين المسؤولين عن الطائفة وبين سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وكان من بينها الأرض المقام عليها مبنى البرلمان (الكنيست الإسرائيلي في القدس، والتي هي جزء من أراضي الطائفة التابعة لدير المصلّبة).

---

(٢٥) كان هذا المؤتمر الأرثوذكسي الخامس اذ عقد الأول بحيفا في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٢٣، والثاني بيافا في ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣١، والثالث بالقدس في ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٤٤، والرابع بالقدس في ٢٣ آذار/مارس ١٩٥٦ وكان هدف جميع هذه المؤتمرات استعادة الحقوق العربية في البطريركية الأرثوذكسية التي اغتصبها الرهبان اليونان أثناء احتلال العثمانيين لبلاد العرب في القرن السادس عشر.

«ولقد ازداد هذا القلق مؤخراً، لدى سماعي بأخبار مزعجة عن صفقات أخرى تخصّ الطائفة في كل من القدس ويافا، وكان من أبرزها قضايا فندق مار يوحنا في القدس وأراضي دير مار الياس ما بين القدس وبيت لحم، وأرض المقبرة في يافا»[٢٦].

لقد أدى الاهتمام الذي استحوذ على مجتمع القدس العربية بسبب بيوع الأراضي، والخلاف الكبير الذي اشتد بين الأرثوذكس العرب وهيئاتهم من جهة، والبطريرك ومعاونيه من الرهبان اليونان من جهة أخرى، إلى اضطرار الحكومة الأردنية إلى التدخل على أعلى المستويات، وخصوصاً أنها كانت التي أصدرت القانون رقم (٢٧) لسنة ١٩٥٨، قانون بطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية، وكانت تسعى إلى استمرار الولاية الأردنية على الأماكن المقدسة في القدس بموجب الاتفاقيات التي تمّت بعد احتلال إسرائيل للقدس عام ١٩٦٧، وكذلك أدى إلى انشغال السلطة الفلسطينية به، وهي التي كانت تحاول تثبيت أقدامها في القدس العربية بعد اتفاقية أوسلو. ولذلك ليس من المستغرب أن نجد أن توقيع الاتفاقية بين إسرائيل والفاتيكان في نهاية عام ١٩٩٧ أثار شعوراً بالغضب في دوائر السلطة الفلسطينية والشعب الفلسطيني، وخصوصاً المسيحيين الذين كانوا يطالبون الفاتيكان بموقف متوازن يتماشى مع الحق والعدالة بالنسبة إلى الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. ولذلك قامت السلطة في مطلع عام ١٩٩٨ باتصالات مع الفاتيكان، بدأت على أثرها المفاوضات التي استمرت نحو عامين. وقد مثّل السلطة وفد رسمي مؤلف من فلسطينيين مسيحيين برئاسة د. إميل جرجوعي، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية؛ وعضوية متري أبو عيطة، وزير السياحة؛ ونبيل قسيس، الوزير المكلف مشروع «بيت لحم ٢٠٠٠»؛ والسيد حنا ناصر، رئيس بلدية بيت لحم. وكان من نتيجة هذه المفاوضات التوقيع على اتفاق وصف بأنه تاريخي على اعتبار أنه يضفي طابعاً رسمياً على وجود الكنيسة الكاثوليكية في الأراضي الفلسطينية. ووقّع الاتفاق في الفاتيكان يوم الثلاثاء ١٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٠ كل من قداسة البابا يوحنا بولس الثاني والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات. وأهم ما ورد فيه هو الدعوة إلى حلّ عادل للقدس، ووضع خاص بضمانات دولية للمدينة التي يجب الحفاظ على هويتها الخاصة وطابعها المقدس. وهو يشدّد على حرية الدين والمعتقد، وعلى المساواة بين الأديان

(٢٦) جزء من كلمة أمين القدس المرحوم روحي الخطيب في حفل افتتاح المؤتمر الأرثوذكسي الخامس بعمان يوم ٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٢ الذي كنت رئيساً له بصفتي رئيس جمعية النهضة الأرثوذكسية العربية التي دعت إلى عقد المؤتمر وتولت جميع الترتيبات المتعلقة به.

الموحدة الثلاثة، وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة. ويجد القارئ نصاً كاملاً لهذه الاتفاقية في الملحق المنشور في نهاية هذا الكتاب(٢٧).

لقد جرت جميع هذه الأحداث في الوقت الذي كانت فيه القضية الفلسطينية قد مرت بمرحلة عملية السلام التي أعقبت حرب الخليج عام ١٩٩١، حيث افتتح مؤتمر السلام في مدريد يوم ٣٠ تشرين الأول/ أكتوبر من ذلك العام، وتبعته في ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر المباحثات الثنائية والاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية يومي ٩ و ١٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣، ثم توقيع ياسر عرفات وإسحاق رابين على اتفاقية أوسلو ـ ١ في القاهرة يوم ١٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣، ومن ثمّ توقيع معاهدة السلام بين الأردن وإسرائيل يوم ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٤. ولكن المواقف الإسرائيلية، وفوز تحالف اليمين بزعامة نتنياهو يوم ٢٩ أيار/ مايو ١٩٩٦، وقراره فتح النفق في القدس يوم ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٦، وإقامة مستوطنة جبل أبو غنيم في ٢٥ شباط/ فبراير ١٩٩٧، جميعها أدت إلى تعثّر مسيرة السلام، حتى إذا فاز ايهود باراك المرشح العمالي في ١٧ أيار/ مايو ١٩٩٩، كانت الأمور قد خرجت عن الخطوط الأساسية التي كان العالم يتوخّاها، واتجهت القضية نحو المواجهة الشاملة، ونحو انتفاضة الأقصى في نهاية عام ٢٠٠٠. وقد وجد أهل القدس العربية أنفسهم خلال هذه السنين في أوضاع صعبة للغاية، ولم تسمح لهم هذه الظروف بأي نشاط بعد أن انحصرت حياتهم في الدفاع عن المقدسات، وإبطال المحاولات الإسرائيلية المكشوفة لرفع وتيرة الاستيطان، ووضع اليد على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي العربية. وكانت الكنائس العربية تتحسّس بهذا الخطر، وتحاول جهدها ردّه عن طريق توجيه الأنظار، محلياً ودولياً، إلى مخاطر هذه الهجمة الإسرائيلية في القدس بشكل خاص. وكانت احتجاجات رؤساء الأديان العرب بمثابة جرس الإنذار والصوت الصارخ في الدفاع عن المقدسات وعروبة القدس.

وجنباً إلى جنب مع هذه المواقف العربية، كان هنالك تحرك كنسي محلي ودولي يؤكد أن القدس العربية المحتلة لا تزال عربية، ويجب أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، مع التمسك بقرارات الأمم المتحدة، والاهتمام الكبير بالأماكن المقدسة، والإصرار على حرية الوصول إليها بحرية(٢٨)،

---

(٢٧) الدكتور اميل جرجوعي بموافاتي بنسخة عن الاتفاقية.

(٢٨) من أمثلة هذا التحرك المحاضرة عن القدس التي ألقاها المطران سمير قفعيتي في الرباط عاصمة المغرب خلال تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٣ وكذلك خطاب المرحوم فيصل الحسيني في معهد القوات الموحدة للدراسات الدفاعية في لندن يوم مساء أيار/ مايو ١٩٩٦ وقد نشر نصها بالكامل في: الحياة، ٢٣/ ٥/ ١٩٩٦.

في الوقت الذي قام فيه الفاتيكان بالإعلان عن رغبته في المشاركة في المفاوضات حول مستقبل القدس، حيث أعلن وزير خارجيته الأسقف جان لويس توران يوم ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٨ «أن مدينة القدس لها قدسية أكبر من أن يحسم أمرها الفلسطينيون والإسرائيليون. فالفاتيكان يؤمن بأهمية التوسع في التمثيل على طاولة المفاوضات لضمان عدم تجاوز أي من جوانب المشكلة، وتأكيد أن المجتمع الدولي بأسره مسؤول عن تفرد وقدسية المدينة التي لا نظير لها. ولذلك من الضروري أن تأخذ الأطراف في اعتبارها على نحو لائق ومنصف السمة العالمية والمقدسة للمدينة[٢٩] أما رئيس كهنة اليونان، كبير أساقفة أثينا وسائر اليونان كريستو دولو، فقد أعلن يوم ٢٦/ ٨/ ٢٠٠٠ أثناء زيارته بيت لحم أن «أي اتفاق يجب أن يحترم الديانات الثلاث المسيحية واليهودية والإسلام، ومن الضروري أن يستعيد الفلسطينيون حقوقهم»[٣٠].

في هذا المجال، هنالك ضرورة لشرح الموقف الأردني من قضية القدس العربية التي كانت في عهدته هي والضفة الغربية بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧، والتي كان الأردن يشعر بمسؤوليته تجاه مقدساتها. ونظراً لأهمية هذا الموضوع، نجد من الأنسب نشر ما أورده الأردن عن مسؤوليته تجاه الأوقاف والمقدسات في القدس، بحسب ما جاء في الكتاب الذي أصدرته الحكومة بعنوان: **معاهدة السلام ـ بين المملكة الأردنية الهاشمية ودولة إسرائيل** بتاريخ ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٤، وهذا بعض من نصّه:

«المسؤولية عن الأوقاف والمقدسات في القدس مسؤولية مقدسة حملها الهاشميون منذ عام ١٩٢٤ شعوراً بالمسؤولية تجاه المقدسات الإسلامية في فلسطين.

«وكان الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى قد طلب من الأمير عبدالله بن الحسين في ٣٠/ ٨/ ١٩٢٤ أن تكون عمارة الحرم القدسي بالكامل تحت رعاية الأمير عبدالله. وتواصلت هذه الرعاية للمقدسات حتى الآن.

«وعندما فك الأردن الارتباط الإداري والقانوني بالضفة الغربية لصالح منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٨٨ لم يشمل ذلك الأوقاف والمقدسات، حرصاً من الأردن على الحفاظ عليها وخدمتها وصيانتها، وبطلب أيضاً من الجانب الفلسطيني.

«تمّ الاتفاق بين الفريق الفلسطيني وإسرائيل على تأجيل البحث في الوضع النهائي لمدينة القدس إلى عام ١٩٩٦، بموجب البند الثالث من المادة الخامسة من

---

(٢٩) انظر تصريحات غبطة البابا في: الرأي، ٢٣/ ٣/ ٢٠٠٠، والدستور، ١٩/ ٩/ ٢٠٠٠.
(٣٠) وردت هذه التصريحات في: الدستور، ٢٦/ ٨/ ٢٠٠٠.

اتفاق إعلان المبادئ الفلسطيني ـ الإسرائيلي الذي تمّ التوصل إليه في ١٣/ ٩/ ١٩٩٣.

«التزم الأردن بأنه عند اتفاق الجانب الفلسطيني وإسرائيل على الوضع الدائم للقدس. وعند انتقال السيادة للفلسطينيين على المدينة المقدسة، فستنقل مسؤولية الأوقاف والمقدسات فيها من العهدة الأردنية الهاشمية إلى العهدة الفلسطينية».

ما ورد في المعاهدة الأردنية ـ الإسرائيلية وإعلان واشنطن بأن إسرائيل تحترم الدور الخاص الحالي الذي تقوم به المملكة الأردنية الهاشمية تجاه المقدسات الإسلامية في مدينة القدس «فهو اعتراف بوضع تاريخي قام به **الهاشميون منذ عام ١٩٢٤** وحتى الآن، وقد حرص الأردن في اتفاقاته مع إسرائيل أيضاً على حفظ حق الفلسطينيين في المدينة المقدسة التي تعتبر من ضمن الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، إذ ورد في المادة (ب) من جدول أعمال المفاوضات على المسار الأردني ـ الإسرائيلي الموقع في ١٤/ ٩/ ١٩٩٣، وتحت البند الخامس (الحدود ومسائل الأرض) ما يلي:

«تسوية مسائل الأرض وتعيين وترسيم علامات حدودية متفق عليها للحدود الدولية بين الأردن وإسرائيل، وذلك بالرجوع إلى تعريف الحدود تحت الانتداب، **وذلك دون الإضرار بوضع أي من الأراضي التي أصبحت تحت سيطرة الحكومة العسكرية الإسرائيلية عام ١٩٦٧**.

«وبذلك حافظ الأردن على السيادة في الضفة الغربية، وتنازل عنها للجانب الفلسطيني وليس لإسرائيل، وكذلك حال دون انتقال مسؤولية المقدسات الإسلامية في المدينة المقدسة إلى وزارة الأديان الإسرائيلية»[٣١].

ومن الواضح أن السلطة الفلسطينية، على الرغم من رغبتها الشديدة في تولّي زمام جميع الأمور المتعلقة بالوجود الفلسطيني، قد وجدت من المناسب القبول بهذا الترتيب الذي فرضه الأمر الواقع، بالنظر لعلاقاتها المضطربة مع إسرائيل، ولكنها في الوقت نفسه كانت تعمل كل ما بوسعها لتثبيت الحقوق الفلسطينية على الأماكن المقدسة. وقد ثابر الرئيس ياسر عرفات على حضور احتفالات عيد الميلاد في كنيسة المهد في بيت لحم كل سنة، تأكيداً لتلك الحقوق، كما أنه اتخذ قراراً مهماً سلّمت بموجبه السلطة الفلسطينية إلى الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ممتلكات تعود لها في منطقة بيت لحم، كان قد استولى عليها رجال دين انشقوا على الكنيسة عقب الثورة البلشفية عام ١٩١٧، واتخذوا من نيويورك مقراً لهم، حيث أطلقوا على أنفسهم اسم

(٣١) اللجنة الإعلامية الأردنية، معاهدة السلام بين المملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل ٢٦ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٩٤ (عمان: اللجنة، ١٩٩٤).

الكنيسة الروسية البيضاء[٣٢]. كما أن الرئيس عرفات استقبل بكل ترحاب وفد المجلس المركزي الأرثوذكسي برئاسة رئيس المجلس د. رؤوف أبو جابر، وعضوية ما يزيد على العشرين من الأعضاء ووجهاء الأرثوذكس في الأردن وفلسطين، وذلك في غزة صباح يوم الخميس ٢٢ أيار/ مايو ١٩٩٧ عندما وعدهم أن يبذل قصارى جهده لحل الخلافات بين الأرثوذكس العرب وبين البطريرك والرهبان اليونان في البطريركية الأرثوذكسية في القدس، وأن يقف بكل إصرار ضد أية تصرفات غير قانونية بالنسبة إلى الأوقاف.

ومع أن الحديث كان يشير في غالب الأوقات إلى المسؤولية عن الأوقاف الإسلامية، فإن الولاية الأردنية كانت أيضاً تنسحب برغبة على الأوقاف المسيحية، بدليل استمرار سريان مفعول القانون الأردني رقم (٢٧) لسنة ١٩٥٨ الآنف الذكر، واهتمام الأردن بكل ما يمسّ الشؤون المسيحية. فقد قام الملك الحسين بالكتابة إلى البطريرك ذيوذوروس بتاريخ ١٣ آب/ أغسطس ١٩٩٤، حيث يقول «فقد تلقينا بالشكر والتقدير رسالتكم الرقيقة التي حملت إلينا تحياتكم من القدس الشريف مهوى أفئدة المؤمنين بالله، والتي عبرتم فيها عن إيمانكم القوي بقيادتنا الهاشمية، وتأييدكم لجهودنا من أجل سلام عادل وشامل ودائم ترضى عنه الأجيال القادمة، والذي كان إعلان واشنطن إحدى محطاته الرئيسية. ونودّ هنا أن نؤكد أن الدور الأردني الهاشمي في رعاية الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في القدس سيظل بإذن الله مستمراً، كما هو عهدنا في رعايتها والدفاع عنها، وأن السيادة عليها هي لله وحده، والولاية القدسية حق شرعي للأمة. ونحن في اللحظة التي نتمسك فيها بدورنا الهاشمي الشرعي والقانوني الذي لن ينقطع، فإننا نستوحي أيضاً العهدة العمرية التي أكدتم في كتابكم ما تمثله من معان سامية وقيم إسلامية رفيعة». وكان قد سبق هذا تصريح مهم للملك الحسين أثناء حديثه إلى لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الأعيان يوم ١٣ شباط/ فبراير ١٩٩٤ في عمّان، وقد نشر بكامله في جريدة **الدستور** يوم ١٤ شباط/ فبراير ١٩٩٤.

بعد عدة سنوات، قام الأمير الحسن، ولي عهد الأردن آنئذٍ، بدور فعال في حلّ قضية الخلاف الذي نشب بين دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس، وبين البطريركية الأرثوذكسية بصدد الخانقاه (الصلاحية). فقد حصل خلاف على حدود عقارية بين الأوقاف الإسلامية من جهة، وبين بطريرك الروم الأرثوذكس وبطريرك الأرمن

---

(٣٢) حسب ما ورد في: الرأي، ١٧/ ١/ ٢٠٠٠.

الأرثوذكس وحارس الأراضي المقدسة من جهة أخرى. ولما استفحل الخلاف، قام الثلاثة بتوجيه رسالة إلى الأمير الحسن مؤرخة في ١٤ نيسان/ أبريل ١٩٩٧ «شرحوا فيها لسموه ظروف الاعتداء الغاشم الذي وقع على سطح كنيسة القيامة، وفي الموقع الموصل بين الكنيسة ومسجد صلاح الدين، حيث أقيمت مراحيض ودورات مياه وهدم جدار لغرفتين في أحد المنازل التي تملكها بطريركية الروم الأرثوذكس داخل البطريركية نفسها، وطالبوا فيها المساهمة في حلّ المشكلة لأنه بذلك تقطع الطريق أمام أولئك الذين يريدون العبث في العلاقات الأخوية التي تربط سكان المدينة المقدسة، كما أن من شأنها قطع الطريق أمام جهات غريبة تحاول استغلال هذا الحدث». وهم يشيرون بذلك إلى محاولات إسرائيل المتكررة للتدخل في الموضوع وإذكاء نار الفتنة بين المسلمين والمسيحيين في القدس.

بعد عشرة أيام قام المهندس عدنان الحسيني، مدير أوقاف القدس، بإرسال كتاب مع تقرير عن القضية إلى وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في عمّان مؤرخ في ٢٤ نيسان/ أبريل ١٩٩٧، ذكر فيه أن هنالك تصعيداً أو تطوراً في الموقف الذي كان في حيّز السيطرة، وذلك من خلال محاولة السلطة الإسرائيلية التدخل، بمساعدة البعض على تصعيد الحدث إعلامياً، ويشكو من أن بطريركية الروم التي كانت قبلت تشكيل لجنة فنيّة لدراسة الاختلافات في وجهات النظر بين لجنة الترميم الإسلامية وبين البطريركية، تراجعت عن تأليف هذه اللجنة، ولذلك فقد طلب إيقاف العمل حالاً إلى حين تبدّل الأوضاع والوصول إلى حلول تحفظ حقوق الطرفين.

قام الأمير الحسن لدى استلامه الرسالة والتقارير، بتأليف لجنة من كل من د. كامل أبوجابر، ود. حازم نسيبة، والمهندس رائف نجم، وجميعهم وزراء سابقون، ود. كامل حمارنة، فقامت بزيارات للمدينة المقدسة، واجتمعت إلى أطراف النزاع، ورفعت تقريرها إلى الأمير بواسطة وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بتاريخ ١٩ حزيران/ يونيو ١٩٩٧ أكدت فيه «أن البطريرك الأرثوذكسي أكد على ضرورة عدم السماح لأي جهة إسرائيلية بالتدخل في الموضوع الذي يعتبره خلافاً بسيطاً بين الأخوة والعائلة الواحدة، وقد أشاد بعلاقة المسيحيين والمسلمين الذين عاشوا في سلام ومحبة منذ العهدة العمرية وخلال العهد الهاشمي الأردني، وما زالت هذه الحقيقة قائمة في ظل الملك الحسين، ولا يريد البطريرك زعزعة هذه العلاقة، بل يسعى لتقويتها، ولكنه أبدى تأثره من أسلوب لجنة الترميم في هدم الجدار والاعتداء على حرمة المكان وإلقاء بعض ملابس الرهبان إلى الخارج».

وقد انتهى الخلاف أثناء زيارة قام بها رئيس وأعضاء مجلس الأوقاف الإسلامية إلى البطريرك، حيث تبادلوا الكلمات الودية، وتمّ تقديم تعهد خطي من مجلس الأوقاف بمنع أي اعتداء في المستقبل على الممتلكات المسيحية في القدس وإبقاء الوضع في الخانقاه الصلاحية كما هو حالياً (٣٣).

وقد قام الأمير في ١٠ آب/ أغسطس ١٩٩٨ بتأليف لجنة تقصّي الحقائق من كل من د. كامل أبو جابر، ود. حازم نسيبة، والمهندس رائف نجم، ود. كامل حمارنة، ومشاركة ميشيل حمارنة، «وذلك في سبيل إيجاد حلّ للنزاع الدائر حول موضوع أراضي البطريركية في الضفة الغربية وإسرائيل، وكذلك العمل على إزالة التوتر في العلاقات بين رعية الأرثوذكس العرب في الأردن وفلسطين من جهة، وبين البطريرك وأخوية القبر المقدس في الكنيسة الأرثوذكسية من جهة أخرى». وقامت اللجنة بزيارة القدس يوم ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٨، ورفعت تقريرها الأوّلي إلى الأمير الحسن في ٢ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٩، وأكدت فيه أن البطريرك وافق على تفعيل القانون رقم (٢٧) لسنة ١٩٥٨، وأن التأجير لمدة ٩٩ سنة قد تمّ للأملاك في عدة مواقع، وأنها بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء حول الأراضي، وخصوصاً أن وعد المطران تيموثاوس سكرتير البطريركية بتأمين صور عن الاتفاقيات بين البطريركية والشركات المستثمرة لم ينفذ. وخلصت اللجنة إلى القول إنها «أكدت في محادثاتها مع البطريرك ومساعديه المطارنة أهمية المصارحة والشفافية والمشاركة الرعوية الفعّالة في اتخاذ القرارات، وبخاصة في ما يتعلق بأملاك الكنيسة الأرثوذكسية»، وطلبت من البطريركية «عدم الإقدام على توقيع اتفاقيات مع شركات استثمارية مستقبلاً قبل الاستشارة والاستئناس برأي الأردن». إلا أن هذه التمنيات من قبل اللجنة ظلت على حالها، فلم تكن هنالك أية مشاركة رعوية أو شفافية، ولم يستشر الأردن بصدد أية عمليات استثمارية هي في الحقيقة بيوع غير شرعية للأوقاف الأرثوذكسية.

وقد استمر الموقف الأردني بالنسبة إلى الولاية على المقدسات على الحالة التي ذكرنا، إذ نفى رئيس الوزراء عبد الرؤوف الروابدة بتاريخ ١٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩ أن تكون المملكة الأردنية الهاشمية «قد رفعت يدها عن إدارة المقدسات في مدينة القدس»، مؤكداً أنها لم تقرر ذلك. وشدّد على أن الأردن حافظ وما زال يحافظ على هذه المقدسات من أن تصل إلى يد وزارة الأديان الإسرائيلية. وأكد أنه «في الوقت الذي يكون فيه أشقاؤنا الفلسطينيون قادرين على تولّي مسؤولية إدارة المقدسات

(٣٣) أوراق عمل اللجنتين التي تكرم بموافاتي بنسخ عنها الدكتور كامل الحمارنة.

وحمايتها من أن تقع في يد وزارة الأديان الإسرائيلية، فالأردن على أتم الاستعداد، لأنه ليس لنا نيّة للتدخل في شؤون الدولة الفلسطينية القادمة، بل سنكون عوناً لها وظهيراً، وهذا ما أكدناه لأشقائنا»[٣٤].

واستكمالاً لشرح حيثيات هذا الموضوع المهم، يجد المؤلف من الضروري الإشارة باهتمام إلى الحديث الخاص الذي نشرت تفاصيله جريدة **الدستور** في عددها الصادر يوم ٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠ في عمان للبابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الذي قال إن قضية القدس موضوع معقّد، وهو من أصعب الموضوعات في المفاوضات، وذلك لتمسك اليهود بالقدس مركزاً دينياً لهم، وتمسك الفلسطينيين بها عاصمة لدولتهم.

وفي تعليق البابا شنودة خلال حديثه مع بي. بي. سي. على الاقتراحات المختلفة بشأن قضية القدس، وصف ما قيل عن ترك السيادة على المدينة لله بأنه اقتراح غير مفهوم. وقال الأنبا شنودة إن جعل القدس تحت حكم دولي معناه تنازل العرب عن المدينة وتركها للدول، وليس من المضمون أن تتحول السيادة الدولية إلى السيادة اليهودية.

وقال البابا شنودة إن هناك فرقاً بين العبادة والسيادة، فالعبادة مكفولة للجميع، أما السيادة فأمر سياسي.

---

(٣٤) حسب التصريحات المنشورة في: الرأي، ١١/ ١١/ ١٩٩٩.

الفصل الثاني عشر

دور القدس في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي

لا بدّ من القول إن العقد الأخير من القرن العشرين كان على أعلى درجة من الأهمية بالنسبة إلى القضية الفلسطينية عامة، والى قضية القدس بوجه خاص. فقد توقفت في مطلعه الانتفاضة الأولى ووقعت حرب الخليج، بينما بدأت في نهايته الانتفاضة الثانية ـ انتفاضة الأقصى التي أصبحت عنوان الموقف الفلسطيني بعد أن فقد الجميع الثقة بمسيرة عملية السلام. والظاهر أن فقدان الثقة هذا كان في حدّ ذاته شاملاً وموجهاً بشكل كامل للموقف الأمريكي الذي كان يفترض أن يقوم بدور موضوعي وبنّاء كوسيط منفرد بين الإسرائيليين والفلسطينيين، ولم يفعل، مما جعل النقمة تستحوذ على النفوس في الوطن العربي بأجمعه. وقد سيطر شعور النقمة هذا على مشاعر الاكليروس العربي في كنائس القدس بشكل خاص نتيجة لوجودهم على أرض المعركة، وتحسسهم اليومي لآلام ومعاناة سكان المدينة التي استمرت لسنين طويلة كان يتخللها في بعض الأحيان فترات نادرة من شعاع الأمل في الوصول إلى حلّ سلمي عادل، يعيد الحقوق لأصحابها، ويحفظ للقدس قدسيتها ووجودها المنفتح كملاذ روحي لجميع المؤمنين بالله دون أية قيود أو تمييز.

من الواجب لذلك إعطاء فكرة عن النشاط الوطني في الكنائس العربية الأربع التي تتمتع بوجود عربي محسوس في القدس، وهي: البطريركية الأرثوذكسية، والبطريركية اللاتينية، والمطرانية الأسقفية (الأنغليكانية)، ومطرانية الروم الكاثوليك. ففي الأولى كان البطريرك ذيوذوروس الأول قد انتخب لمنصب بطريرك المدينة المقدسة في القدس للروم الأرثوذكس في ١٦ شباط/ فبراير ١٩٨١، وفقاً للقانون الأردني بعد معركة انتخابية حامية بين ثلاثة مرشحين ومعارضة قوية من قبل عدد كبير من الأرثوذكس العرب الذين طالبوا الحكومة الأردنية بأن تفعّل مواد القانون الأردني رقم (٢٧) لسنة ١٩٥٨، بحيث يتمّ في البطريركية إصلاح الخلل الإداري والمالي والاهتمام بشؤون الرعية ومنع التصرف غير القانوني بالأوقاف والممتلكات. وبما أن الجانب الحكومي الأردني ساند انتخاب البطريرك ذيوذوروس بعد أن وعد بإصلاح الحال، فقد صدرت الإرادة الملكية بالاعتراف بانتخابه بحسب النص التالي:

«ولما عرفناه فيه من إخلاص لنا، وولاء لبيتنا الهاشمي، وما عهدنا فيه من لياقة

ودراية واقتدار على إجراء الأمور المذهبية، وتأمين المحبة والمساواة بين أفراد طائفة الروم الأرثوذكس، فإننا نعلن اعترافنا وتصديقنا لهذا الانتخاب، ونبدي موافقتنا الملكية لتعيين صاحب الغبطة ذيوذوروس الأول الكلي الاحترام لهذا المنصب، ونلحق به جميع السلطات والحقوق المذكورة أعلاه، ونمكّنه حق ممارستها، ونَنيط به جميع الحقوق والامتيازات المرتبطة بهذا المنصب بموجب القانون، وبحكم التعامل والعادات القديمة التي يتمتع بها»[1].

وكان جهاز البطريركية في تلك السنة يتألف من البطريرك وسبعة عشر من المطارنة والأرشمندريتية أعضاء المجمع المقدس، بالإضافة إلى ستة وثمانين مطراناً وأرشمندريتاً وكاهناً وشماساً من الرهبان الأعضاء في أخوية القبر المقدس، وهم جميعاً من اليونان باستثناء اثنين من العرب[2].

وكان البطريرك قبل انتخابه قد أعلن عن وعود كثيرة من خلال بيان تلاه نيابة عنه وبحضوره يوم ١٦ شباط/ فبراير ١٩٨١ أحد الكهنة في كنيسة العبدلي في عمان أمام جمهور كبير، إلا أن جميع هذه الوعود لم ينفذ منها بند واحد تماشياً مع موقف أخوية القبر المقدس اليونانية الطابع التي تعلن على الملأ أن البطريركية الأرثوذكسية هي مؤسسة يونانية، وأنه لا يحق لأحد التدخل في شؤونها، مع العلم أن البطريرك نفسه كان قد أعلن في بيانه الآنف الذكر جهوده للخدمة أثناء توليه منصب المطرانية في عمان، وأنه كان يجابه بالموقف المتعنّت من البطريرك السابق الراحل فينذكتوس والرجالات الذين كان يعتمد عليهم[3]. وبعد توليه المنصب، بدأ خطة ساعده فيها بعض الرهبان اليونان لتحصيل الأموال عن طريق الضغط على العائلات الأرثوذكسية التي كانت تقطن في أملاك البطريركية لإخلائها، وكذلك بيع الأراضي والعقارات وتأجيرها لمدد طويلة، مما يتنافى ومسؤولياته كبطريرك لأقدم كنيسة في القدس. وقد أدت هذه المواقف إلى خلاف شديد بينه وبين الرهبان اليونان في البطريركية من جهة، وبين العرب الأرثوذكس في الأردن وفلسطين من جهة أخرى. وكانت هذه الخلافات من أسباب رحيل عدد من العائلات الأرثوذكسية وشبابها. وكان هنالك سبب آخر

---

(١) صدرت هذه الإرادة الملكية في: الجريدة الرسمية (عمان) (٢٥ آب/ أغسطس ١٩٨١).

(٢) كما ورد في التقويم السنوي لبطريركية الروم الأرثوذكس المقدسية لعام ١٩٨٢ المطبوع في مطبعة بطريركية الروم الأرثوذكس بالقدس التي تأسست سنة ١٨٥٣.

(٣) تلا هذه الوعود بأمر من البطريرك وأثناء حضوره الخوري قسطنطين قرمش وكان ذلك في كنيسة العبدلي بعمان أثناء خدمة الصلاة صباح ١٦شباط/ فبراير ١٩٨١ . أما الذين أشار اليهم في حديثه عن الرجالات الذين كان يعتمد عليهم البطريرك الراحل فينذكتوس فهم منافسيه في الانتخاب المتروبوليت باسيليوس والمتروبوليت جرمانوس.

للخلاف، ألا وهو ابتعاد البطريركية عن القيام بأي دور في الدفاع عن الحقوق العربية لهؤلاء الذين كانوا يعانون تحت حكم الاحتلال، فلم يصدر عن البطريرك أو أي من مساعديه أي تصريح قد يفسّر على أنه ضد الإسرائيليين حفاظاً على هذه العلاقة المشبوهة التي نشأت بين الفريقين. وقد عمل طيلة حياته، إلى جانب احتفاظه بهذا المنصب حتى وفاته يوم ١٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠، على كسب ودّ السلطات الأردنية والفلسطينية، والتوقيع بين وقت وآخر على التصريحات الجماعية التي تكون الكنائس الأخرى قد أخذت زمام المبادرة لإعلانها، كالإعلان الذي أصدرته تسع كنائس يوم ١٤ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢ للتنديد بتخريب الاحتلال للأديرة والآثار، والمطالبة بتوفير حماية للأماكن المقدسة في القدس. وقد وقّع البيان كذلك كل من بطريرك اللاتين، وبطريرك الأرمن، ومطران الأنغليكان، ومطران اللوثريين، والنائب البطريركي للروم الكاثوليك، وكبير الفرنسيسكان المكلفين حماية الأماكن المقدسة، ومطران السريان، ومطران الأقباط[٤]. وقد امتد هذا السكوت من قبل البطريرك والرهبان اليونان حتى عام ١٩٩٨، عندما ارتفع صوت عربي من بين جدران البطريركية، هو صوت الأرشمندريت عطاالله حنا الناطق الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية في القدس والأراضي المقدسة، والذي بدأ حملة للدفاع عن المقدسات والحفاظ على الحقوق العربية في المؤتمرات والندوات والصحف وفضائيات التلفزيون، مما أعاد للبطريركية بعض ما كانت قد خسرته بسبب السكوت المطبق الذي أشرنا إليه منذ وقوع الاحتلال[٥].

لقد أزعج هذا الصوت الصارخ في سبيل الحق والعدالة سلطات إسرائيل إلى درجة أن البطريرك تلقّى من وزارة الأديان الإسرائيلية كتاباً مؤرخاً في ٣ أيار/ مايو ٢٠٠٠ تحتج فيه بشدة على تصريحات الأرشمندريت عطاالله التي قالت «إنه يدعو نفسه الناطق الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية في الأماكن المقدسة . . . إننا لا نعترف بمثل هذه الصفة التي لا تتماشى مع البطريركية اليونانية الأرثوذكسية، كما أنه دعا كنائس العالم إلى مساندة الكفاح الوطني الفلسطيني في تطلعاته الوطنية التي تتضمن

(٤) انظر: الدستور، ١٥/ ١/ ١٩٩٢ وقد أكد العنوان أن رؤساء تسع كنائس دعوا إلى حماية دولية للأماكن المسيحية في القدس بينما لم تنشر سوى أسماء سبع كنائس. والأرجح أن اسمي كنيستي السريان والأقباط سقطا سهواً لأن الكنيستين العربيتين كانتا دائماً في طليعة المدافعين عن القدس ومواقف بطاركة هاتين الكنيستين في القاهرة ودمشق معروفة للجميع.

(٥) الأرشمندريت الدكتور عطاالله حنا شاب فلسطيني من أبناء قرية الرامة في قضاء عكا ورغم إنجازاته ونشاطه فانه لم يرق إلى درجة المطرانية ولم يعين عضواً في المجمع المقدس. وقد ذكره التقويم السنوي للبطريركية لعام ٢٠٠١على أنه الكاتب في القسم العربي.

استعادة الحقوق الفلسطينية واسترجاع الأراضي المحتلة وحق الفلسطينيين في العودة وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، كما أنه هاجم استمرار بناء المستوطنات، وأكد أن هذه الحالة سوف تجلب انفجاراً. ونحن ننظر إلى هذه التصريحات من قبل الأرشمندريت عطالله حنا نيابة عن البطريركية اليونانية الأرثوذكسية نظرة جدية بسبب الطريقة البالغة السلبية التي يهاجم فيها دولة إسرائيل وسياستها، وكذلك بسبب هذا التدخل السافر من قبل كاهن في البطريركية في الشؤون السياسية التي هي ليست من صميم عمله. ونحن إذ نرغب في نصح غبطتكم بأنه إذا لم تتخذ الإجراءات التأديبية في حق هذا المسلك الهجومي من قبل الأرشمندريت المذكور الذي يدّعي أنه يتكلم نيابة عن البطريركية، فإننا نحتفظ لأنفسنا بحق إعادة النظر في مجموع العلاقة مع البطريركية اليونانية في القدس(٦).

وقد أثار هذا الكتاب قلقاً في أوساط الرهبان اليونان، إلا أن مرض البطريرك وتخوفه من ردّة الفعل الفلسطيني والعربي جعلاه يتمهّل، فلم يتخذ أية إجراءات، واستمر الأرشمندريت في عمله وتصريحاته، وكان من أقواها تصريح أصدره بعد نصف سنة من وفاة البطريرك في القدس، وذلك في الأول من تموز/ يوليو ٢٠٠١ قال فيه «لا مساومة ولا تنازل عن ذرة تراب من ثرى القدس العربية المحتلة، فالقدس مدينة عربية كانت وستبقى إلى الأبد، ويجب أن تعود إلى السيادة العربية عاصمة للدولة الفلسطينية المستقلة». كما أنه سلّط الأضواء على فقدان حرية العبادة، واستنكر استمرار الاحتلال الإسرائيلي قائلاً: «إن القدس عاجلاً أم آجلاً ستعود إلينا. إنها للعرب وحدهم، وهم الذين حافظوا على مقدساتها وضمنوا حرية العبادة فيها، والوصول إلى الأماكن المقدسة، وضمنوا لأتباع الأديان أن يمارسوا طقوسهم وعباداتهم بحرية. وهذا تغيّر عندما احتل الإسرائيليون القدس، فلا حرية عبادة، ولا حرية تنقل ووصول إلى الأماكن المقدسة، والمسلمون والمسيحيون محرومون من الوصول إلى كنيسة القيامة والمسجد الأقصى»(٧).

وللأسف، فإن هذا النشاط الذي كان يقوم به الأرشمندريت عطالله حنا بمبادرة مخلصة لم يؤد إلى منع التصرفات غير الشرعية بالأوقاف والممتلكات الأرثوذكسية. ومن المعروف أن السلطات الإسرائيلية لا تسمح بالاطلاع على أية قيود أو إجراءات تتعلق بقضايا الأراضي والعقارات، بينما لا تصدر عن البطريركية أية

---

(٦) الكتاب الموجه من قبل يوري مور مدير دائرة الطوائف المسيحية في وزارة الأديان الاسرائيلية رقم ٩٨٩/٠٠ بتاريخ ١٣أيار/ مايو ٢٠٠٠، ويلاحظ فيه إصرار دولة إسرائيل على نعت البطريركية باليونانية.

(٧) تصريح الأرشمندريت عطالله حنا إلى قدس برس في رام الله المنشور في: الدستور، ٢/ ٧/ ٢٠٠١.

معلومات، إذ إن الرهبان، وعلى رأسهم البطريرك يحيطون هذه العمليات بالسرية التامة. لكن الصحافة العالمية تتمكن بين الحين والآخر من نبش بعض الحقائق وإيصالها إلى الرأي العام الذي لا يملك سوى الاحتجاج، نظراً لظروف الاحتلال الراهنة، ومثال ذلك الخبر الذي أوردته جريدة **الحياة** اللندنية[8] عن قيام البطريركية بتأجير إسرائيل أراضيَ في القدس الغربية مساحتها ٥٢٧ دونماً إلى أبد الآبدين، وهي صفقة ذات طابع جديد، إذ إن الصفقات قبل ذلك كانت تتمّ على أساس التأجير لتسع وتسعين سنة. كما أن جريدة **معاريف**[9] نشرت خبراً عن تحريات أجرتها شعبة التحقيقات الإسرائيلية في الجرائم الدولية، حيث تبينّ أن المبلغ الذي دفعه الصندوق القومي اليهودي والبالغة قيمته ستة عشر مليون دولار عثر عليه في حساب سرّي خاص في سويسرا، «وأن الجهة المحلية التي أودعته أفادت أن ذلك تمّ باسم البطريرك اليوناني، وأن الشرطة تحقق في ما إذا كان المبلغ قد أودع على أيدي يعقوب رابينوفتش أو ابنه زيسمان اللذين عملا كوسيطين في الصفقة بين البطريرك والصندوق القومي، وذلك لأن البطريرك لم يتسلّم المبلغ بحسب شكواه للشرطة الإسرائيلية».

أما في البطريركية اللاتينية التي تنعم بانضباط وتمسك عميق بالأوقاف، فقد أصبح هنالك نشاط وطني منذ أوائل التسعينيات عندما انتخب البابا في ٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٨ الكاهن ميشيل صبّاح العربي من الناصرة ليتبوأ منصب بطريرك اللاتين للمدينة المقدسة. وقد بدأ عهده في جو عربي لم تشهده البطريركية منذ تأسيسها عام ١٨٤٧، حين كان جميع بطاركتها من الإيطاليين. وشعوراً من البطريرك الجديد بالمعاناة التي كان يتعرض لها العرب في فلسطين في ظل الاحتلال، لم يتوان عن المطالبة بإنهاء آلام الفلسطينيين والدعوة إلى تحقيق العدالة والحرية لهم. فأعلن في بيان صادر عن رؤساء الطوائف المسيحية في القدس شجب وإدانة مجزرة الحرم الشريف يوم ٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٠، وخلق الأجواء الاستفزازية التي تقود إلى الصراع والمجابهة.

وفي ١٠ آب/ أغسطس ١٩٩٢ قام بالاشتراك مع الشيخ سعد الدين العلمي، مفتي القدس؛ والشيخ محمد حسين، إمام المسجد الأقصى؛ والمطران لطفي لحام، أسقف الروم الكاثوليك؛ والمطران سمير قفعيتي، أسقف الكنيسة الأنغليكانية؛ بتوجيه رسالة إلى الفاتيكان نيابة عن المسلمين والمسيحيين الموجودين في فلسطين منذ عام ١٩٤٨ طالبوه فيها بعدم نسيان قضيتهم العادلة، وعدم تبنّي سياسة يمكن أن

---

(٨) انظر: الحياة، ١/٩/٢٠٠٠.

(٩) انظر: معاريف، ١٢/١٢/٢٠٠٠.

تسيء في المستقبل إلى وضع المدينة المقدسة[10]. وقد كان البطريرك صباح منذ ترؤسه الكنيسة اللاتينية يدافع بكل حرارة وإيمان عن الوجود العربي في القدس وفلسطين، حيث ذكرها في مواعظه الدينية المتعددة وتصريحاته للصحافة والإذاعة والتلفزيون. ولإعطاء فكرة عن شمولية هذه الجهود، نذكر تالياً بعض ما توصلنا إليه من معلومات عنها. فقد أصدر الرؤساء بياناً ثانياً في ٢٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٢ اعتبروا فيه التهجير والإبعاد الجماعي للفلسطينيين عقاباً جماعياً لا يمكن قبوله، وطلبوا من الشعب التمسك بأرضه. وفي ١١ نيسان/أبريل ١٩٩٣، بمناسبة عيد الفصح المجيد، قال البطريرك «كفى عنفاً، كفى دماء، كفى ظلماً وتمييزاً بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني». وفي المناسبة نفسها يوم ١٦ نيسان/أبريل ١٩٩٥ صاح بملء صوته بأن رسالة عيد الفصح هي أمل ورجاء، ولا يمكن التوصّل إلى حل أو إلى الأمن المبتغى من غير تحقيق مصالحة حقيقية في القدس. وقد انتقد إسرائيل بشدّة لتجميدها عملية السلام بمناسبة احتفالات عيد الميلاد في بيت لحم، كما ندّد بالضربات الأمريكية ـ البريطانية ضد العراق[11]. وعند زيارته لمخيم الدهيشة للاجئين، أكد أنه عندما حضر من الناصرة إلى بيت جالا أصبح من اللاجئين، وأن حق اللاجئ هو حق من الله يجب أن لا يتم التخلّي عنه، وأن أية قوة في الأرض لا يمكنها أن تنزع حق الإنسان في وطنه وأرضه. كما دعا إلى بناء فلسطين جديدة متميزة بلداً عربياً، فبعد مائة عام من الدماء والتضحيات لا يجوز أن نعود بدولة مثل باقي الدول[12]. وفي رسالة الميلاد، قال البطريرك إن السلام مع الشعب الفلسطيني يبقى قلب القضية والشرط الأساسي لإحلال السلام في المنطقة، مشيراً في الوقت نفسه إلى أن السلام في أرضنا المقدسة ما زال مسيرة شاقة. كما دعا إلى العدالة، وكذلك الحرية، لجميع الأسرى واللاجئين الفلسطينيين[13].

أما بالنسبة إلى انتفاضة الأقصى، فقد اعتبرها بمثابة مطلب لحياة حرة وكريمة في دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس، وذلك خلال قداس الأحد في كنيسة المهد في بيت لحم، وقد تبعته صلاة خاصة عن أرواح الشهداء وتظاهرة سار فيها أكثر من ألفي مسلم ومسيحي هاتفين «جنباً إلى جنب مسلمين ومسيحيين حتى التحرير»[14]. وفي مناسبة الاحتفال بعيد الميلاد، دعا إلى إيجاد حلّ عادل للمدينة

(١٠) حسب التقرير المنشور في: الدستور، ١٠/٨/١٩٩٢.
(١١) انظر: الحياة، ٢٥/١٢/١٩٩٨، والرأي، ٢٥/١٢/١٩٩٨.
(١٢) انظر: الدستور، ١٧/٨/١٩٩٩، والعرب اليوم، ١٧/٨/١٩٩٩.
(١٣) انظر: الدستور، ٢٦/١٢/١٩٩٩، والشرق الأوسط، ٢٦/١٢/١٩٩٩.
(١٤) انظر: الدستور، ٩/١٠/٢٠٠٠.

المقدسة، وطالب الاحتلال بإنهاء الإغلاق ليتمكن المؤمنون من الذهاب إلى أماكن العبادة. وقال يجب إعطاء الفلسطينيين في القدس ما هو فلسطيني(١٥). وخلال قداس نصف الليل دعا إلى إنهاء آلام الفلسطينيين، وإلى تحقيق العدالة والحرية للشعب الفلسطيني، حيث اقتصرت احتفالات عيد الميلاد بناء على قرار جميع الكنائس المسيحية على إقامة الشعائر الدينية فقط(١٦).

من الطبيعي أن هذه التصريحات والدعوات المتكررة تؤدي إلى إزعاج السلطات الإسرائيلية التي لا تنظر بعين الرضا إلى عظات البطريرك صبّاح أو غيره من رجال الدين العرب. وقد اتهم أوري مور، مدير دائرة الطوائف المسيحية في وزارة الأديان الإسرائيلية، خلال مؤتمر صحفي عقده لهذه الغاية، البطريرك صبّاح بإثارة الاضطرابات، وقال إن ٩٩ بالمئة من مضمون رسالة بطريرك اللاتين كان سياسياً، ونصح بوجوب أن يبقى البطريرك زعيماً دينياً(١٧). وقد أعلنت إسرائيل عن عدم رضائها على هذه التصريحات في عدة مناسبات، وذلك بإغلاق الطرق أمام موكب البطريرك عند زيارته للكنائس.

من الضروري كذلك أن نذكر أثناء الحديث عن نشاط بطريركية اللاتين في القدس إنجازها الكبير في تحقيق زيارتين تاريخيتين من قبل باباوات روما إلى فلسطين والأردن بنجاح تام ودون ما يعكر صفو الخاطر. فبالإضافة إلى الزيارة التي قام بها البابا بولس السادس في مطلع عام ١٩٦٤، والتقى خلالها في القدس البطريرك المسكوني أثيناغوروس، بطريرك القسطنطينية الأرثوذكسي، وبطاركة المدينة المقدسة، واستقبله أثناءها الملك الحسين بن طلال، قام البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة في العشرين من آذار/ مارس ٢٠٠٠ استقبله أثناءها الملك عبدالله الثاني والرئيس ياسر عرفات. ولا يخفى ما لهذه الزيارات من أهمية وأثر إيجابي في العالم عامة، وفي العالم الكاثوليكي بشكل خاص، إذ تعتبر زيارات البابا بالنسبة إلى الكاثوليك زيارات فيها الكثير من القدسية والشعور الإنساني الذي يقوّي المحبة والتآخي بين الناس، كما أنها تؤدي إلى مجيء عدد أكبر من الزائرين الذين يرغبون في السير على خطى البابا، وخصوصاً بعد زيارته لموقع المغطس الذي اكتشف قبل الزيارة في الناحية الشرقية من مجرى نهر الأردن.

وفي سنوات لاحقة لزيارته، أظهر البابا بولس السادس قلقه الشديد من

---

(١٥) انظر: الدستور، ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٠، والرأي، ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٠.
(١٦) انظر: الرأي، ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٠، و العرب اليوم، ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٠.
(١٧) انظر: الدستور، ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٩، والشرق الأوسط، ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٩.

التناقص المتزايد للمسيحيين في المدينة المقدسة، وعبّر عن مخاوفه في الرسالة البابوية التي وجهها بمناسبة عيد الفصح عام ١٩٧٤، عندما قال: «هؤلاء الأخوة والأخوات الذين يعيشون حيث عاش المسيح، والذين ما زالوا حول الأماكن المقدسة، هم خلفاء الكنيسة الأولى. إنهم أصل كل الكنائس، وإذا زال الوجود المسيحي من القدس، فإن حرارة الشهادة الحيّة في الأرض المقدسة ستنطفئ، والأماكن المقدسة في القدس وفلسطين ستصبح متاحف». ولا ننسى في هذا المجال الجهد الصادق الذي كان يبذله كل من الكاهن اللاتيني الأب إبراهيم عياد، الذي نشر مقالة بعنوان «اسحق شامير يتجنّى على الرب وعلى التاريخ»، كانت لها ضجّة في فلسطين وإسرائيل[١٨]، وكذلك الكاهن اللاتيني المونسنيور رؤوف نجار، قائمقام القاصد الرسولي في عمّان، الذي بذل كل جهده حتى مماته عام ٢٠٠٠ في إقناع الفاتيكان بعدم التخلي عن سياستها في عدم شرعية الاحتلال ووجوب انتهاء المعاناة والآلام التي يعانيها الفلسطينيون، والنشاط الكبير الذي يقوم به ابن القدس عفيف صافية، السفير الفلسطيني في كل من لندن والفاتيكان، عن طريق المحاضرات والنشرات وإصدار الكتب المتعلقة بالقضية الفلسطينية العربية.

في هذه الفترة، ظهرت أيضاً نزعة عربية قوية في صفوف العرب الأنغليكان كانت ولا شك نتيجة للنزعات القومية التي انتشرت بينهم في مطلع القرن العشرين، والتي أشار اليه الأمير الحسن في كتابه: **المسيحية في العالم العربي** عندما قال: «هذا ما فعله أيضاً المبشرون البروتستانت، وخصوصاً الأمريكيون منهم. فقد بذل هؤلاء كل جهد كي تكون العربية، دون غيرها، لغة العبادة في الكنائس التي أسسوها، أو أسهموا في تأسيسها. وكان من أهم منجزات الإرسالية المشيخية الأمريكية في بيروت ترجمة الكتاب المقدس عن اللغات الأصلية إلى اللغة العربية، واستقطاب كبار الأدباء العرب في البلاد لينظموا ترانيم بالعربية للخدمات الكنسية. وقام المبشرون البريطانيون الأنغليكان، من ناحيتهم، بإخراج نص عربي لكتاب **الصلاة العامة** الخاص بكنيستهم. وكان التركيز في المدارس البروتستانتية، كما في المدارس الاتحادية، منصباً على وضع كتب المناهج في جميع الموضوعات بالعربية. ونظراً لهذا كله، فلا غرابة أن تبلورت فكرة القومية العربية، أول ما تبلورت، على أيدي مسيحيين من العرب كان أغلبهم من الاتحاديين أو البروتستانت، أو بوساطة جماعة من المسيحيين الذين تتلمذوا في المدارس الاتحادية، أو البروتستانتية»[١٩].

---

(١٨) انظر: الرأي، ١١/ ١٠/ ١٩٩١.

(١٩) نشرت هذه المقالة في: الرأي، ١١/ ١٠/ ١٩٩١.

أما في السبعينيات، فقد ظهرت بوادر هذا التحرك بعد أن تعرّبت الكنيسة، وأصبح المطران المترئس فيها عام ١٩٧٦ المطران فائق حداد، وعيّن كمساعدين كل من المطران عقل عقل، والمطران ايليا خوري، عضو المجلس الوطني الفلسطيني الذي اعتقلته إسرائيل وأبعدته إلى الأردن. وجاء بعدها المطران سمير قفعيتي، والقس الكنن نعيم عتيق، والمطران رياح أبو العسل، وقد اهتموا كل الاهتمام بالحركة الوطنية وحوار الديانات[٢٠]. وكان المطران سمير قفعيتي الذي أصبح عضواً في اللجنة الملكية لشؤون القدس في عمّان قد وسّع مجال نشاطه منذ أصبح المطران المترئس للمجمع الأسقفي في الشرق الأوسط عام ١٩٨٦، وذلك عن طريق حضور الاجتماعات الدولية المهمة، ودعوة قادة العالم الروحيين لزيارة القدس، مثل وفد كنائس بريطانيا، والرئيس السابق جيمي كارتر، ورئيس أساقفة جنوب أفريقيا ديزموند توتو، ورئيس أساقفة كنتربري جورج كيري، ومجمع كنائس ألمانيا، ووزير الدولة البريطانية للشؤون الخارجية وليم ولدغريف. كما أنه كان ينتهز كل مناسبة ليرفع الصوت عالياً في الدفاع عن الحقوق الفلسطينية، وتوجيه الأنظار إلى مشرقية أصول المسيحية، وضرورة إبراز هذه المسألة من جديد في بداية الألفية الثالثة حتى لا يتوهم البعض في العالم أن المسيحية موجودة فقط في الثقافة الغربية الأوروبية والأمريكية[٢١]. وتأكيداً لأهمية دور هذه الكنائس المشرقية، عقد بإشرافه المؤتمر التحضيري للكنائس الآسيوية في عمّان يوم ٣/ ٧/ ١٩٩٦، حين أعلن أن السلام من دون القدس سيكون ناقصاً. وقد نشر تقرير كامل عن أعمال المؤتمر في جريدة **الدستور**[٢٢].

أما القس الكنن نعيم عتيق، فقد تولّى الإشراف على مركز سبيل للدراسات اللاهوتية في القدس، وقد أعلن المبادئ التي يقوم عليها عمل المركز على الصورة التالية:

١ ـ سكان المنطقة من فلسطينيين وإسرائيليين يحتاجون ويستحقون السلام.

٢ ـ إسرائيل يجب أن تعترف بالظلم الذي ارتكبته بحق الشعب الفلسطيني، ويجب أن تقبل المسؤولية لذلك.

---

(٢٠) رفيق فرح، **تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس، ١٨٤١ ـ ١٩٩١**، ج ٢ (القدس: [د. ن.]، ١٩٩٥)، ص ٤٥٢.

(٢١) انظر الخبر عن المؤتمر التحضيري للكنائس الأسقفية الأسبوعية في عمان الذي أعلن أن السلام بدون القدس سيكون ناقصاً في: **الرأي**، ٤/٧/١٩٩٦.

(٢٢) انظر: **الدستور**، ٤/٧/١٩٩٦.

٣ ـ يجب أن تتحقق للفلسطينيين دولتهم الديمقراطية ذات السيادة على جميع أرض قطاع غزة والضفة الغربية، وعلى إسرائيل أن تنسحب إلى حدود الرابع من حزيران/ يونيو ١٩٦٧.

٤ ـ السيادة في القدس يجب أن تكون مشتركة بين فلسطين وإسرائيل.

٥ ـ يجب أن يُضمن حق العودة للفلسطينيين.

٦ ـ جميع المستوطنات في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة ليست شرعية بموجب القانون الدولي، ويجب أن تعاد إلى الفلسطينيين.

وأهمية برنامج كهذا تنطلق من أهمية المستوى الفكري والثقافي الذي أحرزه معهد سبيل في السنين الأخيرة(٢٣).

وكان المطران العربي الثالث الذي استلم دفة القيادة من المطران سمير قفعيتي بعد تقاعده عام ١٩٩٨ هو المطران رياح أبو العسل الذي جاهر بالدور القومي للمسيحية العربية، وطالب بالأوقاف المصادرة تماماً كما تطالب إسرائيل بأملاك اليهود في شرق أوروبا، وأيّد نضال الأرثوذكس العرب ضد بيع الأوقاف الأرثوذكسية لليهود، مؤكداً أن العرب المسيحيين في فلسطين جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، وأن من واجب الجميع التصدّي للحملات المغرضة التي تشنّ في الغرب ضد الإسلام والمسلمين. وخدمة لهذه الواجبات قام باثنتين وعشرين جولة في الولايات المتحدة لإلقاء المحاضرات وحضور المؤتمرات والندوات، بالإضافة إلى زيارات متعددة إلى كل من أستراليا وكندا ودول أوروبا المختلفة(٢٤).

أما كنيسة الروم الكاثوليك، فهي على الأرجح تُعتبر ثاني أكبر طائفة مسيحية في فلسطين، حيث يزيد عدد أفراد رعيتها على الخمسين ألف نسمة. وقد تكوّن لديهم شعور بالنقمة ضد إسرائيل بسبب قضية قريتي إقرت وكفربرعم اللتين دمرتهما إسرائيل مباشرة بعد حرب ١٩٤٨ وهجّرت أهلهما. وكان الأسقف هيلاريون كبوجي قد اتهم من قبل دولة إسرائيل عام ١٩٧٤ بتهريب الأسلحة إلى المغاوير الفلسطينيين في صندوق سيارته، مما أدى إلى اعتقاله وسجنه لفترة طويلة، ولم يفرج عنه إلا بعد التدخل الشخصي من قبل البابا بولس السادس. وعندها التحق بمنظمة التحرير

(٢٣) انظر وثيقة مركز سبيل للدراسات اللاهوتية التي أصدرها في مطلع العام ٢٠٠٠.

(٢٤) انظر حديث المطران رياح أبو العسل، في: الدستور ٢٠/ ٨/ ١٩٩٨، بمناسبة تنصيبه أسقفاً للطائفة الانجليزية في الشرق الأوسط يوم ١٥ آب/ اغسطس ١٩٩٨ في القدس وكذلك محاضرة له في قاعة النادي الارثوذكسي بعمان يوم ٢٣ آذار/ مارس ١٩٩٩، نشرت بالكامل في: الدستور، ٣١/ ٣/ ١٩٩٩.

الفلسطينية، حيث أصبح عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني. وأخذ يلقي المحاضرات، ويتهم إسرائيل بممارسة أساليب لا تختلف عن أساليب النازية. وقد لاقت أعماله كل التقدير في العالم، وخصوصاً لدى الشعب العربي، بحيث صدرت طوابع بريدية تحمل صورته في كل من السودان ومصر والعراق وليبيا وسوريا. ومن جهة أخرى، كان الأسقف العربي يوسف ريا الذي خلف البطريرك حكيم في فلسطين ينتقد إسرائيل بشدّة، ويحرّض أتباع الروم الكاثوليك ويدعوهم إلى التعاطف مع القضايا الفلسطينية، في الوقت الذي كان فيه الأسقف لطفي لحام الذي أصبح بطريركاً عند وفاة البطريرك حكيم عام ٢٠٠٠، يعتبر من قبل السلطات الإسرائيلية على أنه عضو في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي يقودها نايف حواتمة، والتي ترفض اتفاقية أوسلو وتناهض إسرائيل على جميع المستويات[٢٥].

يُعتبر المطران هيلاريون كبوجي ظاهرة مهمة في نضال العرب للتحرر من الاحتلال الإسرائيلي، ومبدأه أن القضية الفلسطينية هي «مأساة شعب مظلوم ومضطهد، والدين بريء من رجل الدين إن لم يدافع عن المظلوم». وقد شرح أفكاره ومعتقداته في مؤتمر صحفي عقده في مطرانية الروم الكاثوليك في عمّان في أوائل نيسان/ أبريل ١٩٩٤، وقال بصريح العبارة: «جنّدت نفسي لخدمة فلسطين لأن المسيح هو الفدائي الأول، وعلى التلميذ أن يسير على خطى معلمه»، وأنه «لا خيار للعرب للعيش بكرامة سوى بتحرير الأراضي المحتلة».

خلاصة القول إن جهود العرب عموماً التي كانوا يبذلونها بقوة واستمرار في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لم تحقق أي أثر يذكر حتى الآن في مقاومة هذه الهجمة الشرسة التي تقوم بها دولة عنصرية تتمتع بكل التأييد من أمريكا، وهي أقوى دولة في العالم. وقد كان شعور العرب في فلسطين عارماً بهذا الخطر الداهم، فقاموا بالدعوة إلى موقف عربي إسلامي ـ مسيحي للوقوف ضد هذا التيار الجارف، إذ إن قضية الوجود الإسلامي ـ المسيحي في القدس، وصيانة الأماكن المقدسة، ومنع تحولها إلى متاحف، كما كان يخاف الكثيرون، هي الآن أخطر قضية يواجهها الشعب العربي الذي يطالب حكوماته الكثيرة أن تتحمل مسؤولياتها القومية بعد أن لم يعد للصبر أية فائدة أو جدوى. فمقاومة تهويد القدس واجب وطني، ويشارك فيها خلال هذه الأيام العصيبة المسلم والمسيحي على حد سواء، لأن وجودهم العربي في فلسطين كلها أصبح في مهبّ الرياح.

---

(٢٥) تقرير وافٍ نشرته جريدة الجيروساليم بوست في ملحقها الصادر في أواخر أيلول/ سبتمبر ١٩٩٨.

وإنني في الفصل الأخير من هذا الكتاب الذي سلّط الضوء على القدس والوجود الإسلامي ـ المسيحي فيها بعد أن تآخى مسلموها ومسيحيوها منذ أربعة عشر قرناً، لا أجد في نهايته خيراً من كلمات واعية قالها مؤرخ القدس عارف العارف عام ١٩٦١ في كتابه: **المفصل في تاريخ القدس**[٢٦]: «وإنك لترى المسلمين والمسيحيين من أبناء هذا البلد، وقد انطلقوا جميعاً نحو هدف معيّن هو التفكير في مصير وطنهم وأمتهم، وهم يسيرون في هذا المضمار على نهج واحد. إنهم متقاربون كل القرب، من حيث الأخلاق والطباع، ومن حيث المبادئ السياسية والاجتماعية أيضاً. وقد قاوموا الانتداب والوطن القومي اليهودي دون أن يتمكّن المستعمرون من تفريق صفوفهم، وكان شعارهم الدائم:

«الدين لله والوطن للجميع».

(٢٦) انظر: عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس** (القدس: مكتبة الأندلس، ١٩٦١)، ص ٤٨٨.

خاتمة

كانت القدس أثناء الفترة التي نتعرض لها في هذا الكتاب مسرحاً لأحداث مختلفة في الوقت الذي لم يكن لسكانها العرب المقدرة على اتخاذ موقف فاعل تجاه تلك الأحداث. فالسيطرة العثمانية المطلقة التي كانت عنوان الحياة في بلاد الشام أثناء العهد العثماني لم تترك لهم مجالاً للتحرك على الرغم من رغبتهم العارمة وحاجتهم الشديدة إلى تغيير الأوضاع بشكل أساسي. وقد كان الإصلاح الإداري خلال احتلال المصريين لفلسطين بقيادة ابراهيم باشا خطوة أكيدة ورائدة في الاتجاه الصحيح، إلا أن الأهالي عندها كانوا يجدون أنفسهم بين نارين: الاستحقاقات التي يتطلبها الانفتاح، والتقدم والمتطلبات الشديدة التي تصرّ عليها العناصر التقليدية من خلال انتمائها إلى التيار الذي ينادي بالإخلاص لخليفة المسلمين في اسطنبول وكل ما يتعلق بالنظام التقليدي السائد.

على رغم هذه العوائق كانت الفترة التي تبعت الحكم المصري هي بداية الانفتاح الواسع الذي واكب الحياة في الأراضي المقدسة خلال فترة الصداقة الجديدة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية التي ساعدتها في إخراج المصريين من بلاد الشام، مما سمح بمجيء هذه الأعداد الكبيرة من الأوروبيين في محاولة لتقوية وجود كنائسهم في مدينة القدس الخالدة. وما كان فتح البطريركيات والمطرانيات الأوروبية إلا وسيلة لإثبات الوجود واكتساب الحقوق، وخصوصاً بالنسبة إلى المزارات والمواقع المقدسة. وقد أوجد ذلك حالة من التنافس بين هذه الكنائس، وأدى إلى ارتفاع كبير في أسعار الأراضي والعقارات لمصلحة أهل البلاد، إلا أنه يجب أن لا يغيب عن بالنا أن مسيحيي البلاد، ومعظمهم من العرب الأرثوذكس، لم يتأثروا كثيراً بهذه التغييرات. ولولا انتشار المدارس والاهتمام الروسي بشؤون تعليمهم لما كان هنالك على الأرجح هذا النشاط الوطني الذي تبدّى في أوساطهم خلال الحقبة الأخيرة من القرن التاسع والقرن العشرين بأكمله. ومن الأهمية أن نلاحظ أن مظاهر العروبة بين المسلمين والمسيحيين في القدس، على حد سواء، كانت دائماً الأكثر بروزاً، والظاهرة الوحيدة

التي يساندها الجميع بلا استثناء. وكان رائد القوم في هذا القول المأثور «الدين لله والوطن للجميع».

لقد ظلت القدس منذ العهدة العمرية مدينة عربية فلسطينية إسلامية مسيحية لها في قلب كل عربي مكانة خاصة نظراً لقدسيتها ومكانتها الدينية. وقد كان الوجود المسيحي فيها منذ مجيء الإسلام مواكباً للوجود الإسلامي، بحيث أصبحت المدينة المقدسة عنوان التعددية والوسطية والعيش المشترك بين أتباع الأديان. ولا يخفى على أحد أن الغزو الصهيوني لفلسطين في القرن العشرين أصبح سجلاً لصفحة سوداء في تاريخ الأحداث بسبب المعاناة المستمرة التي أحدثها في الأراضي المقدسة بعدوانه وأطماعه التوسعية، والتي يقاومها الشعب العربي بجناحيه المسلم والمسيحي، توخياً لإحقاق الحق والمحافظة على الحقوق والتراث والتاريخ. وقد وقّع مئات الآلاف من أهل فلسطين على «ميثاق وعهد القدس» الذي تنادى أهل المدينة المقدسة لتبنّيه يوم ٣١ تموز/يوليو ٢٠٠٠، بعد أن كان سبقه بيان صدر عن اللقاء الإسلامي ـ المسيحي في «بيت الشرق» في القدس يوم ٢٩ تموز/يوليو ٢٠٠٠ عربوناً لهذه العلاقة الأبدية بين المسلمين والمسيحيين في رحاب المدينة المقدسة التي سيكون الله خير حافظ لها.

الوثائق والصور

ΕΛΛΗΝΟΡΘΟΔΟΞΟΝ ΠΑΤΡΙΑΡΧΕΙΟΝ
ΙΕΡΟΣΟΛΥΜΩΝ

بطريركية الروم الارثوذكس
القدس

كشف

بممتلكات بطريركية الروم الارثوذكس المقدسية في الضفة الغربية المحتله وقطاع غزه التالية : ـ

١- ـ الكنائس والاديرة
٢- ـ المدارس
٣- ـ المنشآت الخيرية مثل المستشفيات ودور المسنين .
٤- ـ العقارات .

١ - ـ الكنائس والاديرة .

الكنائس

١ـ كنيسة القيامة.
٢ـ كنيسة المهد في بيت لحم .
٣ـ كنيسة القديس جاورجيوس في بيت لحم .
٤ـ كنيسة الجثمانية
٥ـ كنيسة القديس لعازر بالعيزريه .
٦ـ كنيسة مار الياس / على طريق القدس/ بيت لحم
٧ـ كنيسة القديسين قسطنطين وهيلانه بالدير المركزي
٨ـ كنيسة القديس ثيوذوسيوس بدير بن عبيد
٩ـ كنيسة القديس اليشع في اريحا .
١٠ـ كنيسة مار متري .
١١ـ كنيسة القديس اونوفريوس .
١٢ـ كنيسة القديس استفانوس .
١٣ـ كنيسة الثالوث الاقدس في طوباس (قضاء جنين)
١٤ـ كنيسة رقاد والدة الاله في الزبابده (قضاء جنين)
١٥ـ كنيسة القديس جاورجيوس في وادي القلط باريحا .
١٦ـ كنيسة الرعاة في بيت ساحور .
١٧ـ كنيسة الاجداد في بيت ساحور .
١٨ـ كنيسة دير بيت فاجي بالقدس .
١٩ـ كنيسة دير الغاليليا في جبل الطور في مقر قبطة البطريرك .
٢٠ـ كنيسة مار يعقوب بالقدس / كنيسة حاملات الطيب والاربعين شهيد .
٢١ـ كنيسة القديسه تقلا بالدير المركزي بالقدس .
٢٢ـ كنيسة القديس موذستوس في ابو ثور .
٢٣ـ كنيسة القديس خاريتون في عين فاره .
٢٤ ـ كنيسة دير صيدنايا بالقدس
٢٥ـ كنيسة دير حبس المسيح .
٢٦ـ كنيسة القديسه كاترينا .
٢٧ـ كنيسة القديس ميخائيل .
٢٨ـ كنيسة القديس اسبيدون .
٢٩ـ كنيسة القديس باسيليوس .
٣٠ـ كنيسة القديس جاورجيوس بقرية الخضر .
٣١ـ كنيسة القديس بورفيريوس في غزه .
٣٢ـ كنيسة تجلي الرب برام الله .

٣٣ـ كنيسة القديس جاورجيوس ببيت جالا .
٣٤ـ كنيسة والدة الاله ببيت جالا .
٣٥ـ كنيسة رؤساء الملائكة ببيت جالا .
٣٦ـ كنيسة القديس نقولا ببيت جالا .
٣٧ـ كنيسة القديس جاورجيوس في جفنا
٣٨ـ كنيسة القديس جاورجيوس في الطيبه .
٣٩ـ كنيسة القديس ديمتري بنابلس
٤٠ـ كنيسة الثالوث الاقدس في طوباس
٤١ـ كنيسة القديس جاورجيوس في رفيديا .
٤٢ـ كنيسة القديس جاورجيوس بطولكرم .
٤٣ـ كنيسة رقاد والدة الاله بعين عريك .
٤٤ـ كنيسة والدة الاله في عابود .
٤٥ـ دير سيدتنا العذراء مقابل كنيسة القيامة.

ΕΛΛΗΝΟΡΘΟΔΟΞΟΝ ΠΑΤΡΙΑΡΧΕΙΟΝ
ΙΕΡΟΣΟΛΥΜΩΝ

بطريركية الروم الارثوذكسية
القدس

الصفحة الثانية

الاديـــــرة - -

١ ـ الدير المركزى لبطريركية الروم الارثوذكس بالقدس.
٢ـ دير ابونا ابراهيم بالقدس
٣ـ دير القديس اسبيريدون بالقدس.
٤ـ دير مار نقولا بالقدس.
٥ـ دير صيدنايا بالقدس.
٦ـ دير القديس اسبيريدون .
٧ـ دير مار ميخائيل .
٨ـ دير الغاليليا / المقرّ البطريركي في جبل الطور .
٩ـ دير القديس سابا
١٠ـ دير بن عبيد
١١ـ دير فلاكتون
١٢ـ دير القديس جاورجيوس
١٣ـ دير القديس جراسيموس.
١٤ـ دير بيت ناجي
١٥ـ دير اريحا .
١٦ـ دير غزه
١٧ـ دير الخضر .
١٨ـ دير بيت جـالا
١٩ـ دير النبي ايليا/ طريق القدس/ بيت لحم .
٢٠ـ دير رام الله .
٢١ـ دير قرنطل باريحا .
٢٢ـ دير العيزريـه .
٢٣ـ دير بيت لحـم .
٢٤ـ دير القديس خرالمبوس.
٢٥ـ دير القديس يوحنا المعمدان .
٢٦ـ دير القديس ثيوذوروس.
٢٧ـ دير القديس جاورجيوس/ المعروف بالمستشفى .
٢٨ ـ دير القديسه كاترينا
٢٩ـ دير القديس نيقوذيموس
٣٠ـ دير حبس المسيح .
٣١ـ دير القديس اونوفريوس
٣٢ـ دير صهيون.
٣٣ـ دير القديس استفانوس.
٣٤ـ دير السيده/ المعروف بدير البنات.
٣٥ـ دير صيدنايا .
٣٦ـ دير القديس انثيموس.
٣٧ـ دير بئر يعقوب / نابلـس (السامريه)
٣٨ـ دير الروم الارثوذكس بطولكرم .

الصفحة الثالثة

المدارس التابعة للبطريركية كما يلي :-

١ - مدرسة بطريركية الروم الارثوذكس الثانوية الاكليريكية بالقدس.
٢ - مدرسة مارمترى البطريركية النموذجية / ابتدائية - اعدادية - ثانوية بالقدس
أسسها صاحب الغبطة البطريرك ذيوذوروس الاول في عام (١٩٨٣) على نفقته الخاصة لمنفعة أبناء الطائفة.
٣ - مدرسة روضة الاطفال بالقدس . أسسها صاحب الغبطة البطريرك ذيوذوروس الاول في عام (١٩٨٢) على نفقته الخاصة.
٤ - مدرسة بنات بيت لحم .
٥ - مدرسة بيت جالا المختلطة .
٦ - مدرسة رام الله المختلطة .
٧ - مدرسة الطيبه المختلطة .
٨ - مدرسة الاحد الارثوذكسية في غزه .
٩ - مدرسة الاحد الارثوذكسية في بير زيت / قضاء رام الله .

---

٣ - المنشآت الخيرية مثل المستشفيات ودور المسنين .

١ - مستوصف مار نيقولاوس في دار البطريركية بالقدس القديمه .
٢ - ملجأ للعجزه والمسنين في العيزريه .

٤ - العقارات

تملك بطريركية الروم الارثوذكس بالقدس اربعة فنادق واقعة في مدينة القدس القديمه، مؤجره للغير ببدل ايجار ضئيل جدا بالنظر للظروف الحاضرة وهذه هي :-

١ - فندق مار يوحنا بسوق الدباغه .
٢ - فندق البتراء
٣ - فندق امبريال .
٤ - فندق جلوريا

وكذلك تملك البطريركية اربع وثمانين دارا مخصصة لسكن الفقراء والمعوزين من افراد طائفة الروم الارثوذكس وتقع داخل الاسوار بالبلده القديمه من القدس(دون ايجار)

ΕΛΛΗΝΟΡΘΟΔΟΞΟΝ ΠΑΤΡΙΑΡΧΕΙΟΝ
ΙΕΡΟΣΟΛΥΜΩΝ

بطريركية الروم الأرثوذكسية
القدس

الصفحة الرابعة من الكشف =ـ

تابع القسم المتعلق بالعقارات--------------------

تملك البطريركية ايضا الدكاكين التالية =ـ

١= ـ (١٥٢) دكان (مخزن) في موقع الدبلغه بالقدس القديمه .

٢= ـ (٢٠١) دكان واقعة في حي الناصرة / حارة النصارى بالقدس القديمه

٣= ـ اربعة دكاكين (عدد ٤) واقعة في اماكن مختلفة بالقدس القديمه .

٤ =ـ للبطريركية (٥٨) دارا موءجرة. للغير ببدل ايجار ضئيل جدا .

و(٢٥) دار أخرى واقعة في الاديرة التابعة لها بالقدس القديمه ببدل ايجار ضئيل جدا .

٥= ـ للبطريركية في اريحا خمسين دارا ودكانا ببدل ايجار ضئيل جدا .

٦= ـ وفي رام الله تملك البطريركية (١٨) دكانا) ببدل ايجار قديم .

الاملاك العائدة للبطريركية في مدينة القدس وضواحيها =ـ تبلغ مساحتها (٢٤٤) دونما و(٥٥٢) مترا مربعا ، مسجل بعضها في دائرة الاراضي والمساحة كالتالي =
رقم الحوض (٢٩٩٩٥) و(٢٩٩٩٦) و(٢٩٩٩٤) و(٢٩٩٨٥) و(٣٠١٢٥) و(٣٠١٢٧)
وتحت رقم القسيمه =ـ (٢٤ـ٢٧) ـ و(٦٠ـ٨ـ٢ـ١) و(٧٥ـ٧٤) و(٣ـ٢ـ١)
و(٣) و(٧ـ١ـ٦) و(٤٦ـ٣٩). و(٤٧) و(٢) و(٣٦) و(٣٧) و(١) .

املاك البطريركية الواقعة في ديرمار الياس =ـ طريق القدس ـ بيت لحم =ـ

تبلغ مساحتها (٨٦٧) دونما و(٨٨٥) مترا مربعا ومسجلة تحت ارقام الحوض التالية =ـ
(٣٠٢٩٠) و(٣٠٢٩٣) و(٣٠٢٩٢) و(٣٠٢٩٢) و(٣٠٢٨٨) و(٣٠٢٨٣) و(٣٠٢٩٧)
و(٣٠٢٨٧) .
وتحت ارقام الحوض القسيمة التالية =ـ (٣) و(١) و(٢) و(١) و(٢) و(٤)
و(١) .

املاك البطريركية الواقعة في مدينة بيت لحم =ـ

يبلغ مساحتها (١٣٠) دونما و(٣٣٥) مترا مربعا .

املاك البطريركية الواقعة في رام الله =ـ

مجموع مساحتها (١٠) دونمات و(٥٧٢) مترا مربعا ومسجلة تحت ارقام الحوض التالية =ـ
(١١) و(١١) و(٢٨) وتحت ارقام القسيمة التالية =ـ (١٠) و(٣٣) و(٣٢)

املاك البطريركية الواقعة في جفنا / قضاء رام الله =ـ مجموع مساحتها (٣٣) دونما)
و(٥٦٧) مترا مربعا ومسجلة تحت ارقام الحوض التالية =ـ (٥) و(١) و(١) و(١) و(١) و(١) و(١)
(١) و(١) و(١) و(١) و(١) و(١) و(١) و(١) وتحت ارقام القسيمه التاليـة =ـ
(٢٨٢) و(١٠٨) و(٢٠٨) و(٢١٥) و(٢٧٥) و(٢٤٣) و(٧٥) و(١٩٩) و(٤٠)
و(٧٠) و(١١٣) و(٣١٣) و(٣١٦) و(١٥٨) و(٨٩) و(١٤٥) و(١٠١) و(٢٧٠)
و(٢٢١) و(٢٣١) و(٣٠٤) .

ـ يتبع على الصفحة الخامسة من هذا الكشف ×

ΕΛΛΗΝΟΡΘΟΔΟΞΟΝ ΠΑΤΡΙΑΡΧΕΙΟΝ
ΙΕΡΟΣΟΛΥΜΩΝ

بطريركية الروم الأرثوذكسية
القدس

—

الصفحة الخامسة

املاك البطريركية في بيت ساحور =ـ مساحتها (٣٦٥) دونما و(٦٩١) مترا مربعا ٠
مسجل بعضها تحت رقم الحوض =ـ (٢٨٠٨٤) و(٢٨٠٨٤)
وتحت رقم القسيمة (٢٤) و(٣٨) ٠

املاك البطريركية في بيت جالا =ـ مساحتها (٢١٤) دونما و(٢٢٥) مترا مربعا ٠
بعضها مسجل تحت رقم الحوض (٢٨٠٥٧) و(٢٨٠٥٥) و(٢٨٠٥٥) و(٢٨٠٥٥)
وتحت رقم القسيمه (٢٢) و(٤٢) و(٢٩) و(٣٦) ٠

املاك البطريركية في قرية الخضر =ـ مجموع مساحتها (١٢٥٧) دونما و(٦٦٩) مترا مربعا ٠

املاك البطريركية / المعروفه باملاك دير ثيودوسيوس / العبيديه =ـ مجموع مساحتها (٣٤٩) دونما و(٨٣٠) مترا مربعا ٠

املاك دير فلاكتسون / قرب قرية العبيديه / شرقي بيت ساحور =ـ
مجموع مساحتها (٣٣٩) دونما و(٢٤٦) مترا مربعا ٠

املاك البطريركية الواقعة حول دير مارسابا / شرقي قرية العبيديه =ـ
مجموع مساحتها (٣٠٠) دونما و(٥٥٥) مترا مربعا ٠

املاك البطريركية في العيزريه =ـ
مجموع مساحتها (١٥٧) دونما و(١٢٢) مترا مربعا ٠

املاك البطريركية في اريحا =ـ
مجموع مساحتها (١٣٠) دونما و(٨٢٥) مترا مربعا ومسجلة تحت ارقام الحوض
التالية =ـ (٣٣٠٠٤) و(٣٣٠٠٤) و(٣٣٠٠٤) و(٣٣٠٠٣) و(٣٣٠٠٢)
و(٣٣٠٠٢) و(٣٣٠٠١) و(٣٣٠٠١)٠ و(٣٣٠٠٥) و(٣٣٠٣٤) و(٣٣٠٣٤)
و(٣٣٠٣٤) و(٣٣٠٣٤) و(٣٣٠٠٦) و(٣٣٠٠٦) و(٣٣٠٠٦)ـ
وتحت ارقام القسيمه التالية =ـ (٣١) و(٢٨) و(١٤) و(١) و(١٥) و(١٤)
و(٢٢) و(٢٠) و(١) و(٣) و(٤) و(٦) و(٩) و(٢) و(١٧) و(١٩)
و(٢٠) و(٢٩) ٠/

املاك البطريركية التابعه لدير قرنطل / باريحا =ـ مجموع مساحتها (٦٣٤) دونما و(٨٣٥)
مترا مربعا مسجلة تحت ارقام الحوض التالية =ـ (١) و(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٤)
و(٤) و(٥) و(٥) و(٥) و(٦) و(٦) وتحت ارقام القسيمة التالية =ـ
(٢١) و(٤) و(٥٧) و(١١) و(٣٠) و(١) و(٤٧) و(٣٠) و(٢٧) و(٢٩)
و(٨) و(٢)ـ

املاك البطريركية التابعة لدير حجلا باريحا = مجموع مساحتها (٩٥٩) دونما و(٧٨٩) مترا مربعاـ
مسجلة تحت ارقام الحوض التالية = (١٠) و(١) و تحت ارقام القسيمة = (٤) و(٧)
و(٨) و(١٠)ـ

ـ يتبع على الصفحة الثالثة ./

الصفحة السادسة

املاك البطريركية الواقعة في عابود / قضاء رام الله

يبلغ مجموع مساحتها الـ(٤٢) دونما و(٥٩٧) مترا مربعا . ومسجلة تحت ارقام الحوض التالية = ـ (٢) و(٤) و(٤) و(٥) و(٥) وتحت ارقام القسيمة = ـ (١٤٩) و(٣٣٣) و(٤١٧) و(٧٤٨) و(٥٢١) .

املاك البطريركية الواقعة في عين عريك / قضاء رام الله = ـ

مجموع مساحتها (١٥) دونما و(٩١٩) مترا مربعا وهي مسجلة تحت رقم الحوض (٢) وتحت رقم القسيمة (٢٤٩) .

املاك البطريركية الواقعة في بيرزيت / قضاء رام الله = ـ

يبلغ مجموع مساحتها (١٩) دونما و(٣٩٤) مترا مربعا . وهذه مسجلة تحت ارقام الحوض التالية = ـ (١٢) و(١٨) و(١٨) و(٩) و(٨) و(٩) و(١٢) .

املاك البطريركية الواقعة في برقين / قضاء جنين = ـ

يبلغ مجموع مساحتها (٣٦) دونما و(٢٢١) مترا مربعا . ومسجلة تحت ارقام الحوض = ـ (١٧) و(١٦) و(١٧) و(٦) وتحت ارقام القسيمة = ـ (١٤) و(١٦) و(٧) و(٤٢) .

١

الممتلكات اللاتينية في الضفة الغربية

اولا ـ الكنائس والاديرة

- مقر غبطة البطريرك ، دوائر البطريركية ، محكمة بداية واستئناف ، ادارة المدارس العامة ، مطبعة ، مقر للراهبات اللواتي يخدمن البطريركية ، كنيسة
- مقر الشهادة الرسولية : دير ، كنيسة ، ودير للراهبات اللواتي يقمن بخدمة القصادة .
- مقر رئاسة حراسة الارض المقدسة . دير المخلص: كنيسة ، دوائر الرئاسة ، مطبعة ، مكاتب
- مركز خوري طائفة اللاتين / القدس : دير ، كنيسة
- كنيسة الفرنج / قرب كنيسة القيامة / القدس
- كنيسة المرحلة الخامسة / القدس
- كنيسة المرحلة السابعة / القدس
- مغارة النبي اشعيا / سلوان
- دير القبر المقدس/ كنيسة القيامة
- دير الجلد / القدس
- دير وكنيسة الجسمانية / القدس
- دير ومزار " بكاء الرب" / جبل الزيتون
- دير ومزار بيت فاجي"
- دير وكنيسة / بيت حنينا
- دير وكنيسة حقل الرعاة / بيت ساحور (الاباء الفرنسيسكان/
- دير وكنيسة / العيزرية
- كنيسة ودير للرهبان / بيت لحم (الاباء الفرنسيسكان)
- كنيسة ودير للاباء الفرنسيسكان / القبيبة
- كنيسة ودير / اريحا (الاباء الفرنسيسكان)
- مزار عماد المسيح / قرب نهر الاردن
- كنيسة ودير اللاتين / بيت لحم
- كنيسة ودير اللاتين / بيت جالا
- كنيسة ودير اللاتين / بيت ساحور
- كنيسة ودير اللاتين / رام الله
- كنيسة ودير اللاتين / عين عريك

.../ ٢ ...

- كنيسة ودير اللاتين / الطيبة
- كنيسة ودير اللاتين / جفنا
- كنيسة ودير اللاتين / بير الزيت
- كنيسة ودير اللاتين / عابود
- كنيسة ودير / اللطرون
- كنيسة ودير اللاتين / نابلس
- كنيسة ودير اللاتين / رفيديا
- كنيسة ودير اللاتين / جنين
- كنيسة ودير اللاتين / الزبابدة
- كنيسة ودير رهبان اخوة المدارس المسيحية / القدس
- كنيسة ودير رهبان الاباء البيض / القدس
- كنيسة ودير رهبان " اباء القلب الاقدس ، بيت ارام " / بيت لحم
- كنيسة ودير الاباء الدومنيكان / القدس
- كنيسة ودير الاباء الاسمبيونيست / القدس
- كنيسة ودير اباء السالسيين / بيت لحم
- كنيسة ودير الاباء الباسيونيست / القدس
- كنيسة ودير راهبات مار يوسف للظهور / القدس
- كنيسة ودير راهبات صهيون / القدس
- كنيسة ودير الراهبات الكرمليات / القدس
- كنيسة ودير راهبات الكرمليات / بيت لحم
- كنيسة ودير راهبات مار يوسف للظهور / بيت لحم
- كنيسة ودير راهبات مار يوسف للظهور / نابلس
- كنيسة ودير راهبات مار يوسف للظهور / رام الله
- كنيسة ودير راهبات الوردية / القدس
- كنيسة ودير راهبات الوردية / بيت حنينا
- كنيسة ودير راهبات الوردية / بيت لحم
- كنيسة ودير راهبات الوردية / بيت جالا
- دير راهبات الوردية / بيت ساحور
- دير راهبات الوردية / عابود
- دير راهبات الوردية / بير الزيت

... ٣ / ...

- دير راهبات الوردية / الطيبة
- دير راهبات الوردية / جفنا
- دير راهبات الوردية / رفيديا
- دير راهبات الوردية / نابلس
- دير راهبات الوردية / الزبابدة
- دير راهبات الفرنسيسكان لقلب مريم الطاهر / بيت لحم (مع كنيسة)
- دير راهبات الفرنسيسكان لقلب مريم الطاهر / القدس (مع كنيسة)
- دير راهبات الفرنسيسكان لقلب مريم الطاهر / اريحا
- كنيسة ودير راهبات المحبة / بيت حنيا
- كنيسة ودير راهبات المحبة / بيت لحم
- كنيسة ودير راهبات القديس شارل بروميو / القدس
- كنيسة ودير راهبات القديس شارل بروميو / القبيبة
- دير الراهبات السالسيات / بيت لحم
- دير وكنيسة الراهبات السالسيات / بيت جالا / كريمزان
- دير وكنيسة الراهبات البندكتيات لسيدة الجلجلة / القدس
- دير وكنيسة راهبات سيدة الجنة المقفلة / ارطاس
- دير وكنيسة الراهبات الفرنسيسكانيات لمريم / بيت لحم
- دير وكنيسة الراهبات الفرنسيسكانيات لمريم / القدس
- دير وكنيسة راهبات المريا / القدس
- دير وكنيسة الراهبات المرسلات بنات طوبى الجلجلة / القدس
- دير وكنيسة راهبات القديسة دوروتيا / بيت لحم
- دير راهبات القديسة دوروتيا / بيت جالا (الاكليريكية)
- دير راهبات القديسة دوروتيا / القدس (البطريركية)
- دير وكنيسة راهبات القديسة اليصابات / القدس / البلدة القديمة
- دير وكنيسة راهبات القديسة اليصابات / القدس / جبل الزيتون
- دير وكنيسة راهبات الكومبوني / بيت حنيا
- دير وكنيسة راهبات الرسل / بيت لحم
- دير وكنيسة راهبات سبعة احزان العذراء / ابو ديس
- دير وكنيسة راهبات البندكتان (عمانوئيل) / بيت لحم
- دير وكنيسة راهبات الرحمة / بيت لحم
- دير وكنيسة الراهبات الفرنسيسكانيات للقديسة اليصابات البادوية / بيت لحم

... ٤ ...

٤

- دير وكنيسة راهبات الانشيلة لقلب يسوع الاقدس/ القدس
- دير راهبات القديسة تريزيا / القدس
- دير راهبات القريل / القدس
- دير الفوكولاري للبنات / القدس
- دير الفوكولاري / فرع الرجال / القدس
- دير وكنيسة راهبات الصليب الصامتات/ القدس

ثانيـــــا – المدارس والجامعـــــات

- مدرسة البطريركية اللاتينية / بيت حالا : ابتدائية واعدادية
- مدرسة البطريركية اللاتينية / بيت ساحور / ابتدائية واعدادية
- الكلية الاهلية : ابتدائية واعدادية وثانوية / رام الله
- مدرسة البطريركية اللاتينية / بير زيت : ابتدائية اعدادية
- مدرسة البطريركية اللاتينية / جفنا / ابتدائية
- مدرسة البطريركية اللاتينية / الطيبة : ابتدائية واعدادية وثانوية
- مدرسة البطريركية اللاتينية / عابود : ابتدائية واعدادية
- مدرسة البطريركية اللاتينية / رفيديا : ابتدائية
- مدرسة البطريركية اللاتينية / الزبابدة : ابتدائية واعدادية
- مدرسة تراسنطة / بيت لحم : ابتدائية واعدادية وثانوية / للاولاد
- مدرسة تراسنطة / بيت لحم : ابتدائية واعدادية وثانوية / للبنات
- مدرسة تراسنطة / اريحا : ابتدائية واعدادية
- مدرسة تراسنطة / القدس/ ابتدائية واعدادية وثانوية / للبنين
- مدرسة تراسنطة / القدس/ ابتدائية واعدادية وثانوية للبنات
- كلية الفرير / القدس/ ابتدائية واعدادية وثانوية
- كلية الفرير / بيت لحم : ابتدائية واعدادية وثانوية
- مدرسة السالزيان / بيت لحم : اعدادية ثانوية صناعيــة
- حضانة راهبات مار يوسف للظهور / نابلس
- مدرسة راهبات مار يوسف / رام الله : ابتدائية واعدادية للبنات
- مدرسة راهبات الوردية / بيت حنينا : ابتدائية واعدادية وثانوية للبنات
- مدرسة الراهبات الفرنسيسكانيات لقلب مريم / القدس : ابتدائية

.../...

- مدرسة شميدت / القدس : ابتدائية واعدادية وثانوية للبنات
- مدرسة الراهبات الفرنسيسكانيات لمريم : كندرقاردن / بيت لحم
- كندرقاردن / راهبات الريا / القدس
- مدرسة راهبات الجلجلة : ابتدائية واعدادية وثانوية
- مدرسة الراهبات الكومبوني / مهنية / القدس
- مدرسة راهبات الرحمة / بيت لحم : مهنيـة للبنات
- مدرسة المعهد الاكليريكي / بيت جالا : اعدادية وثانوية و

جامعة فلسفة ولاهـوت

- جامعـة بيت لحم / بيت لحم
- مركز الدراسات اللاهوتية / طنطور / بيت لحم
- معهد للدراسات العالية للكتاب المقدس / دير الجلد / القدس / الفرنسيسكان
- معهد الدراسات العاليـة للكتاب المقدس / الآباء الدومنيكان / القدس

ثالثـــــا - ميـــاتـــم

- ميتم دير الاباء الفرنسيسكان للاطفال / القدس
- ميتم دير الراهبات الفرنسيسكانيات / للبنات / القدس
- ميتم دير راهبات الورديـة / بيت لحـم
- ميتم راهبات المحبة / بيت حنيا / للبنين
- ميتم الراهبات البندكتيات / للبنات / جبل الزيتون
- ميتم راهبات سيدة الجنة المقفلة / للبنات / ارطاس
- ميتم راهبات الفرنسيسكانيات / بيت لحم / للبنات
- ميتم راهبات القديسة اليزابيت / جبل الزيتون / للبنات
- ميتم راهبات الرسل / للبنات / بيت لحم
- مؤســـسة "أفيتـا" للبابا بولس السادس / للصم البكم / بيت لحـم

رابعـــــــا - دور للمسنين

- دار للعجزة / للنساء / العمل الكاثوليكي / بيت لحم
- ملجأ للعجزة / ابو ديس / رجال ونساء - لراهبات سبعة اوجاع العذراء
- ملجأ ام الرحمـة / للكهنة المسنين / جبل الزيتون (بيت حنيا) راهبات الرحمة

.../٦ ...

- ملجأ للعجزة / للنساء / لراهبات القديس شارل بروميو / القبيبة
- ملجأ للعجزة / في دير اللاتين / نابلس

خامسا ـ مستشفيات ومستوصفات
========================

- المستشفى الافرنسي / لراهبات المحبة / بيت لحم
- المستشفى الافرنسي / مار يوسف / لراهبات مار يوسف / الشيخ جراح / القدس
- مستوصف راهبات الوردية / القدس
- مستوصف راهبات القديس يوسف / القدس
- مستوصف دير اللاتين / بيت ساحور
- مستوصف راهبات المحبة / القدس
- مستوصف نحالين / راهبات المحبة
- مستوصف الخضر / راهبات المحبة
- مستوصف البعثة البابوية / راهبات القديس شارل بروميو / القبيبة
- مستوصف راهبات ارطاس / ارطاس
- مستوصف راهبات بنات الجلجلة / القدس
- مستوصف راهبات القديسة اليزابيت / دورن بولسكي / القدس
- مستوصف راهبات ابو ديس / أبو ديس

مستوصف بيت ابينا ابراهيم / رأس العامود

- مستشفى الكاريتاس للاطفال / بيت لحم

سادسا ـ منشآت خيرية اخرى
==========================

- البعثة البابوية لفلسطين
- بيت ابينا ابراهيم
- لجنة " السلام والعدل "
- كاريتاس
- بعثة الخدمات الكاثوليكية
- مكتب الحجاج والسياح الفرنسيسكاني / القدس
- مركز المعلومات المسيحية

... ٧ / ...

سابعـــا ـ الاماكـن المقدســة التاريخيـــة

- في بيت عنيـــــا
  - كنيسة قيامة لعازر
  - اثار بيت عنيا القديمة
  - اثار بيت سمعان الابرص
- في بيت لحـــــم
  - " في كنيسة المهد " : المهد ، هيكل المجوس ، المغر المجاورة لمغارة المهد وهي : قبر ومغارة القديس ايرونيموس والقديسة باولا واستوكيوم ، هيكل القديس يوسف ، هيكل الاطفال الابرياء ومصلى القديس ايرونيموس
  - مغارة الحليب
  - كنيســة " بيت القديس يوسف "
  - آبار النبي داود
- في بيت ســـاحور
  - حقل الرعـــــــاة
  - كنيســة حقل الرعـــــاة
- القبيبـــــــة
  - كنيســة واثار عمواس القبيبة
- عمـــــوا س
  - آثـار كنيســة عمواس
- أريحـــــــــا
  - مزار الراعي الصالح
- قرب نهــر الاردن
  - كنيستان صغيرتان لذكرى عماد المسيح
- الطيبـــــــــة
  - مزار ذكرى مرور المسيح قبل الامه (كنيسة اللاتين)

٠٠٠/ ٨ ٠٠٠

٨

- رام اللــــه
  - ذكرى مرور العائلة المقدســـة (كنيسة اللاتين)
- رفيديـــــا
  - ذكرى القديس يوستينوس (كنيسة اللاتين)
- القـــدس
  - في كنيســة القبــر المقدس :
    - مزار الظهـور
    - هيكل المجدليـة
    - مغارة وجود الصليب
    - هيكل الصلب / على الجلجلة
    - هيكل العذراء ام الاوجاع / على الجلجلة
    - مزار العذراء سيدة الاوجاع / على الجلجلة .
  - كنيسـة الجلد
  - كنيسة اللوتوستروتس
  - كنيسـة " هوذا الرجل "
  - بازيليكا الجسمانيـــة
  - بستان الزيتون
  - مغـارة الجسمانيـة
  - كنيسـة مزار " بكاء الرب"
  - قبر النبي اشعيا / سلوان
  - كنيسـة صياح الديك / جبل صهيـون
  - بازيليكا القديسة حنة / وبركة المخلع
  - مزار " ابانا الذى " والمغارة " أليونا "
  - بازيليكا القديس اسطفان
  - مزار القديسة ميلانيا / جبل الزيتون
  - من مراحل درب الصليب :
    - المرحلة الثانية ، المرحلة الخامسة ، المرحلة السابعة ،

... ٩ / ...

ثامنـــــا ــ الاماكن المقدسة التاريخية / ذات الملكية والحقوق المشتركة مع الطوائف المسيحية الاخرى
===

- كنيسة المهــد / بيت لحم
- مغارة المهــد / بيت لحم
- قبر السيد المسيح / كنيسة القيامة / القدس
- الساحة والواجهة ومدخل كنيسة القيامة.
- حجر المغتســل
- القبة الكبيرة
- صحن كنيسة القبر المقدس
- مكان الاعمدة / مدخل الكنيسة
- اعمدة " العذراء " (الاقواس)
- كنيسة حبس المسيح / داخل كنيسة القيامة
- كنيسة القديسة هيلانة / داخل كنيسة القيامة
- هيكل الصلب على الجلجلة (بعض الحقوق فقط : كالتبخير وحفلة الجمعة الحزينة ...)

تاســعا ــ العقــــــا رات / الممتلكات
=====================

- القدس / داخل البلدة القديمة : مساكن تقطنها مجانا العائلات الفقيرة (للاباء الفرنسيسكان)
- بعض المخازن المؤجرة / بيت جالا (لبطريركية اللاتين)
- بعض المخازن المؤجـرة (بيت ساحور (لبطريركية اللاتين)
- عدد من المخازن / رام الله
- عدد من المخازن / جنين
- ممتلكات البطريركية اللاتينية في قرية تياسير / قرب الزبابدة / يفلحها اهالي القرية
- بعض المخازن للاباء السالزيان / بيت لحم
- بعض الاراضي المفتلحة / كريمزان / بيت جالا

مطرانيــة اللاتين / عمـــــان

في ٢١ / ٢ / ١٩٨٤

+ المطران سليم الصائغ

مطران اللاتين / عمـان

Agreement between the Holy See and the State of Israel

Pursuant to Article 3 § 3

of the Fundamental Agreement

between

the Holy See and the State of Israel

(also referred to as the "Legal Personality Agreement")

This text was signed in Jerusalem, on the 10th of November 1997:
- for the State of Israel, by H.Exc. David Levy, Minister of Foreign Affairs,
- for the Holy See, by Archbishop Andrea C.L. di Montezemolo, Apostolic Nuncio in Israel.

Article 1

This Agreement is made on the basis of the provisions of the "Fundamental Agreement between the Holy See and the State of Israel", which was signed on 30 December 1993, and then entered into force on 10 March 1994 (hereinafter: the "Fundamental Agreement").

Article 2

Recalling that the Holy See is the Sovereign Authority of the Catholic Church, the State of Israel agrees to assure full effect in Israeli law to the legal personality of the Catholic Church itself:

Article 3

§ 1. The State of Israel agrees to assure full effect in Israeli law, in accordance with the provisions of this Agreement, to the legal personality of the following:

(a) these Eastern Catholic Patriarchates: the Greek Melkite Catholic, the Syrian Catholic, the Maronite, the Chaldean, the Armenian Catholic (hereinafter: "the Eastern Catholic Patriarchates");

(b) the Latin Patriarchate of Jerusalem, *id est* the Latin Patriarchal Diocese of Jerusalem;

(c) the present Dioceses of the Eastern Catholic Patriarchates;

(d) new Dioceses, wholly in Israel, Eastern Catholic or Latin, as may exist from time to time;

(e) the "Assembly of the Catholic Ordinaries of the Holy Land".

§ 2. The Holy See states, for the avoidance of doubt, that the listing in § 1 does not prejudice in any way the established order of precedence of the Heads of the various entities, according to their personal rank and as it is fixed by traditional usage and accepted by them.

§ 3. For the avoidance of doubt, it is stated that the question of assuring full effect in Israeli law to the legal personality of any new cross-border Diocese is left open.

§ 4. For the purposes of this Agreement, a Parish is an integral part of the respective Diocese, and, without affecting its status under the canon law, will not acquire a

separate legal personality under Israeli law. A Diocese may, subject to the canon law, authorize its Parishes to act on its behalf, in such matters and under such terms, as it may determine.

§ 5. In this Agreement, "Diocese" includes its synonyms or equivalents.

Article 4

The State of Israel agrees to assure full effect in Israeli law, in accordance with the provisions of this Agreement, to the legal personality of the Custody of the Holy Land.

Article 5

The State of Israel agrees to assure full effect in Israeli law, in accordance with the provisions of this Agreement, to the legal personality of the following, as they exist from time to time in Israel:

(a) the Pontifical Institutes of Consecrated Life of the kinds that exist in the Catholic Church, and such of their Provinces or Houses as the Institute concerned may cause to be certified;

(b) other official entities of the Catholic Church.

Article 6

§ 1. For the purposes of this Agreement, the legal persons referred to in Articles 3 - 5 (hereinafter, in this Article: "legal person"), being established under the canon law, are deemed to have been created according to the legislation of the Holy See, being Sovereign in international law.

§ 2. (a) the law which governs any legal transaction or other legal acts in Israel between any legal person and any party shall be the law of the State of Israel, subject to the provisions of sub-paragraph (b).

(b) Any matter concerning the identity of the head, of the presiding officer or of any other official or functionary of a legal person, or their authority or their powers to act on behalf of the legal person, is governed by the canon law.

(c) Without derogation from the generality of sub-paragraph (b), certain kinds of transactions by a legal person concerning immovable property or certain other kinds of property, depend on a prior written permission of the Holy See in accordance with Its written Decisions as issued from time to time. Public access to the aforesaid Decisions will be in accordance with the Implementation Provisions.

§ 3. (a) Any dispute concerning an internal ecclesiastical matter between a member, official or functionary of a legal person and any legal person, whether the member, official or functionary belongs to it or not, or between legal persons, shall be determined in accordance with the canon law, in a judicial or administrative ecclesiastical forum.

(b) For the avoidance of doubt, it is stated that the provisions of § 2 (a) shall not apply to disputes referred to in the above sub-paragraph (a).

§ 4. For the avoidance of doubt, it is stated :

(a) A legal person, whose legal personality is given full effect in Israel, is deemed to have consented to sue and be sued before a judicial or administrative forum in Israel, if that is the proper forum under Israeli law.

(b) Sub-paragraph (a) does not derogate from any provision in Articles 6-9.

Article 7

The application of this Agreement to any legal person is without prejudice to any of its rights or obligations previously created.

Article 8

§ 1. For the avoidance of doubt, nothing in this Agreement shall be construed as supporting an argument that any of the legal persons to which this Agreement applies had not been a legal person prior to this Agreement.

§ 2. If a party makes a claim that such a legal person had not been a legal person in Israeli law prior to this Agreement, that party shall bear the burden of proof.

Article 9

Should a question with regard to the canon law arise in any matter before a Court or forum other than in a forum of the Catholic Church, it shall be regarded as a question of fact.

Article 10

The terms "ecclesiastical" and "canon law" refer to the Catholic Church and Its law.

Article 11

§ 1. Without derogating from any provision, declaration or statement in the Fundamental Agreement, the ecclesiastical legal persons in existence at the time of the entry of this Agreement into force are deemed as being legal persons in accordance with the provisions of this Agreement, if listed in the ANNEXES to this Agreement, which are specified in § 4.

§ 2. The ANNEXES form, for all intents and purposes, an integral part of this Agreement.

§ 3. The ANNEXES will include the official name, respective date or year of establishment in the Catholic Church, a local address and, if the head office is abroad, also its address.

§ 4. (a) ANNEX I lists the legal persons to which Article 3 § 1 (a, b, c, e) and Article 4 apply, as the case may be;

(b) ANNEX II lists the legal persons to which Article 5 (a) applies;

(c) ANNEX III lists the legal persons to which Article 5 (b) applies.

Article 12

The other matters on which the Parties have agreed are included in the Schedule to this Agreement, named "Implementation Provisions", which forms, for all intents and purposes, an integral part of this Agreement, and references to the Agreement include the Schedule.

Article 13

This Agreement shall enter into force on the date of the latter notification of ratification by a Party.

Done in two original copies in the English and Hebrew languages, both texts being equally authentic. In case of divergence, the English text shall prevail, except where explicitly provided otherwise in the Schedule.

Signed in ______________, this_______day of the month of___________in the year_________, which corresponds to the___________day of the month of ___ ______________ in the year ________.

For the Holy See	For the Government of the State of Israel

THE ANNEXES
(Article 11)

ANNEX I
(Article 11 § 4.a)

Ref: Article 3 §1 (a)

Greek Melkite Catholic Patriarchate of Antioch

Head: His Beatitude Patriarch Maximos V HAKIM
Bab Touma
P.O.B. 22249 - Damascus - Syria
Local address: P.O.B. 14130 - Greek Catholic Patriarchate Street
91141 Jerusalem

Syrian Catholic Patriarchate of Antioch

Head: His Beatitude Patriarch Ignace Antoine II HAYEK
Rue de Damas
P.O.B. 116-5087 - Beyrouth - Lebanon
Local address: P.O.B. 19787 - Chaldeans Street, 6
91191 Jerusalem

Maronite Patriarchate of Antioch

Head: His Eminence and Beatitude
Patriarch Nasrallah Pierre Cardinal SFEIR
Bkerké - Lebanon
Local address: P.O.B.14219 - Maronite Convent Street, 25
Jerusalem

Chaldean Patriarchate of Babylon

Head: His Beatitude Patriarch Raphael BIDAWID
Al Mansour
P.O.B. 6112 - Baghdad - Iraq
Local address: P.O.B. 20108 - Chaldeans Street, 5
91200 Jerusalem

Armenian Catholic Patriarchate of Cilicia

Head: His Beatitude Patriarch Jean Pierre XVIII KASPARIAN
rue de l'Hôpital Libanais, Jeitaoui
2400 Beyrouth - Lebanon
Local address: P.O.B. 19546 - Via Dolorosa, 41
Jerusalem

Ref: Article 3 §1 (b)

Latin Patriarchate of Jerusalem
id est **Latin Patriarchal Diocese of Jerusalem**
established by the Holy See in 1847

Head: His Beatitude Patriarch Michel SABBAH
P.O.B. 14152 - Latin Patriarchate Street
91141 Jerusalem

Ref: Article 3 §1 (c)

Greek Melkite Catholic Patriarchal Exarchate of Jerusalem
established in 1834, by the Greek Melkite Catholic Patriarch of Antioch

Head: His Excellency Archbishop Lutfi LAHAM
P.O.B. 14130 - Greek Catholic Patriarchate Street
91141 Jerusalem

Greek Melkite Catholic Archeparchy of Akka,
St. John of Acre, Ptolemais
established in 1752, by the Greek Melkite Catholic Patriarch of Antioch

Head: His Excellency Archbishop Maximos SALLOUM
P.O.B. 279 - 32 Hagefen Street
31002 Haifa

Greek Melkite Catholic Archeparchy of Baniyas, Caesarea Philippi, Paneas
established in 1964, by the Greek Melkite
Catholic Patriarch of Antioch

Head : His Excellency Archbishop Antoine HAYEK
Archevêché de Panéas, Jdeidet Marjeyoun, Lebanon
Local address: The Greek Melkite Catholic Parish,
Metulla

Syrian Catholic Patriarchal Exarchate of Jerusalem
established in 1845, by the Syrian Catholic Patriarch of Antioch

Head: His Excellency Bishop Pierre ABDEL-AHAD
P.O.B. 19787 - Chaldeans Street 6
91191 Jerusalem

Maronite Archeparchy of Haifa and the Holy Land
established in 1996, by the Maronite Patriarch of Antioch

Head: His Excellency Archbishop Paul Nabil SAYYAH
Local address: P.O.B. 1442 - Roubin Street 5
31000 Haifa

Maronite Patriarchal Exarchate of Jerusalem
established in 1895, by the Maronite Patriarch of Antioch

Head: His Excellency Archbishop Paul Nabil SAYYAH
P.O.B. 14219 - Maronite Convent Street, 25
Jerusalem

Armenian Catholic Patriarchal Exarchate of Jerusalem
established in 1856, by the Armenian Catholic Patriarch of Cilicia

Head: His Excellency Bishop André BEDOGLOUYAN
P.O.B. 19546 - Via Dolorosa, 41
Jerusalem

Ref: Article 3 §1 (c)

The Assembly of the Catholic Ordinaries of the Holy Land
established in 1992, by the Holy See

Presiding Officer: The Latin Patriarch of Jerusalem *pro tempore*
c/o Notre Dame of Jerusalem Center
P.O.B. 20531 - 91204 Jerusalem

Ref: Article 4

The Custody of the Holy Land (Custodia Terrae Sanctae)
established in 1342, by the Holy See

Presiding Officer : The Custos of the Holy Land
Most Rev. Father Giuseppe NAZZARO, OFM.
P.O.B. 186 - Saint Francis Street, 1
91001 Jerusalem

ANNEX II
(Article 11 § 4.b)

Ref: Article 5 (a)

Augustinians of the Assumption (Assumptionists) established in 1864

Local address: Shrine of Saint Peter in Gallicantu
Ma'aleh Hashalom - Mount Zion
P.O.B. 31653 - 91316 Jerusalem
Head Office: Via San Pio V, 55 - 00165 Rome, Italy

Basilian Order of the Most Holy Saviour (of the Melkites) (Salvatorians) established in 1717

Local address: Aïn Dor Street 23
P.O.B. 9133 - 31091 Haifa
Head Office: Couvent Mar Elias - Jiita - Lebanon

Basilian Sisters "Chouerites" established in 1734

Local address: Nabaa Street
P.O.B. 99 - 16000 Nazareth
Head Office: Couvent Notre-Dame de l'Annonciation
Zouk-Michael - Lebanon

Benedictine Abbey of the Dormition established in 1906

P.O.B. 22, Mount Zion - Jerusalem

Benedictine Congregation of Saint Mary of Mount Olivet established in 1344

Local address: Resurrection Church - Abu Gosh
P.O.B. 407 - 91003 Jerusalem
Head Office: Abbazia di Monte Oliveto Maggiore
53020 Chiusure - Italy

Benedictine Sisters of Our Lady of Calvary established in 1621

Local address: Mount of Olives
P.O.B. 19338 - 91192 Jerusalem
Head Office: 65 Avenue de Verdun
45801 St Jean de Braye - France

Benedictine Sisters of the Eucharistic King established in 1986

Local address:	Benedictine Priory of Tabgha P.O.B. 52 - 14100 Tiberias
Head Office:	30 Banahaw St. - Cubao 1109 Quezon City - Philippines

Bethany Sisters of the Imitation of Christ established in 1950

Local address:	Saint Thomas Church P.O.B. 19787 - 91191 Jerusalem
Head Office:	Bethany Convent, Kalathipady - Vadavathoor - 686010 Kerala - India

Carmelite Sisters of "Sainte Thérèse de Florence" established in 1874

Local address:	Italian Street 10 P.O.B. 9037 - 33266 Haifa
Head Office:	Via Bernardo Rucellai, 1 - 50123 Firenze - Italy

Carmelite Sisters of Saint Joseph established in 1872

Local address:	Carmel Saint Joseph P.O.B. 8 - 30090 Isfia - Mount Carmel
Head Office:	71118 Saint Martin Belle Roche - France

Christian Brothers de La Salle established in 1725

Local address:	Collège des Frères - Yefet Street 23 P.O.B. 8251 - 61082 Jaffa
Head Office:	Via Aurelia 476 - C.P. 9099 - 00100 Rome - Italy

Cistercian Order of the Strict Observance (Trappists)
Trappist Abbey "Notre Dame des Douleurs" established in 1890

Local address :	Abbaye de Latroun - Poste mobile - Shimshon 99762
Head Office :	Viale Africa, 33 - 00144 Rome - Italy

Company of the Daughters of Charity of St. Vincent de Paul established in 1633

Local address:	Allenby Street 13 P.O.B. 2106 - 33092 Haifa
Head Office:	140, rue du Bac - 75340 Paris - France

Congregation of the Mission
(Lazarist Fathers) established in 1632

Local address:	Lazarist Fathers Convent - 20 Agron Street P.O.B. 1144 - 91010 Jerusalem
Head Office:	Via dei Capasso, 30 - 00164 Rome - Italy

Congregation of the Passion of Jesus Christ
(Passionist Fathers) established in 1741

Local address:	Ash-Shayyah St. - Bethany P.O.B. 19087 - 91190 Jerusalem
Head Office:	Piazza SS. Giovanni e Paolo 13 00184 Rome - Italy

Daughters of Mary Auxiliatrix
(Salesian Sisters) established in 1872

Local address:	P.O.B. 73 - Nazareth
Head Office:	Via dell'Ateneo Salesiano 81 - 00139 Rome - Italy

Daughters of Our Lady of Mount Calvary established in 1827

Local address:	Mount of Olives P.O.B. 19199 - 91191 Jerusalem
Head Office:	Via Emanuele Filiberto, 104 - 00185 Rome - Italy

Daughters of Our Lady of Sorrows established in 1930

Local address:	Abu Diss P.O.B.19257 - 91192 Jerusalem
Head Office:	Maison Marie Saint Frai - 65000 Tarbes - France

Daughters of Saint Anne established in 1866

Local address:	Meir Street 11 P.O.B. 9127 - 35056 Haifa
Head Office:	Via Merulana 177 - 00185 Rome - Italy

Discalced Carmelite Sisters = Monastery "Notre Dame du Mont Carmel"
established in 1892

Tchernikhowski Road, 2
P.O.B. 9047 - 31090 Haifa

Discalced Carmelite Sisters = Monastery "Pater Noster" established in 1873

Mount of Olives
P.O.B. 19064 - 91190 Jerusalem

Discalced Carmelite Sisters = **Monastery "Sainte Famille"** established in 1910

Street 125/4
P.O.B. 22 - 16100 Nazareth

Dominican Sisters of Charity of Tours,
of the Presentation of the Blessed Virgin established in 1696

Local address: Maison d'Abraham - Ras el-Amoud
P.O.B. 19680 - 91196 Jerusalem
Head Office: Via Valdieri, 4 - 00135 Rome - Italy

Franciscan Missionary Sisters of Mary
(White Sisters) established in 1877

Local address: Givat Yam 4/34 - Herzl Street
59301 Bat-Yam
Head Office: Via Giusti, 12 - 00185 Rome - Italy

Franciscan Missionary Sisters of the Immaculate Heart of Mary
(Sisters of Egypt) established in 1868

Local address: P.O.B. 302 - Nazareth
Head Office: Via Caterina Troiani 90 - 00144 Rome - Italy

Franciscan Sisters of the Eucharist established in 1973

Local address: Mount of Olives Road, 42
P.O.B. 230 - Jerusalem
Head Office: 405 Allen Avenue - Meridan - Connecticut 06450 - USA

Franciscan Sisters of the Heart of Jesus established in 1946

Local address: Saint Saviour Convent - New Gate
P.O.B. 186 - Jerusalem
Head Office: House of Charity - Palm Street - Victoria Gozo - Malta

Franciscan Sisters of the Holy Cross of Lebanon established in 1967

Local address: St. Francis Street, 13
P.O.B. 14558 - 91145 Jerusalem
Head Office: Couvent de la Croix - Jall-Eddib - (Meten)- Lebanon

Fraternity of the Little Sisters of Jesus established in 1949

Province of the Holy land
Local address: Paul VI Street, 42
P.O.B. 1531 - Nazareth

Province of Israel

Local address:	Bethlehem Road 17 P.O.B. 10203 - 16115 Jerusalem
Head Office:	Tre Fontane - Via di Acque Salvie, 2 00142 Rome - Italy

Hospitaller Order of St. John of God
(Fate Bene Fratelli) established in 1571

Local address:	Holy Family Hospital - Road 727/1 P.O.B. 8 - 16100 Nazareth
Head Office:	Via della Nocetta, 263 - 00164 Rome - Italy

Institute of the Blessed Virgin Mary
(Mary Ward Sisters) established in 1703

Local address:	Nablus Road 2 P.O.B. 19070 - 91190 Jerusalem
Head Office:	Via Nomentana 250 - 00162 Rome - Italy

Lebanese Maronite Order
(Baladites) established in 1695

Local address:	Couvent Saint Antoine - Hadolfin Street, 22 P.O.B. 41077 - 68034 Jaffa
Head Office:	Couvent Saint Antoine - Gazir - Lebanon

Little Brothers of Jesus established in 1957

Local address:	Givat Hamore P.O.B. 523 - 18105 Afula
Head Office:	97 Sudbourne Road - London SW2 5AF - England

Maronite Antonine Order established in 1742

Local address:	Ash-Shayyah Street - Bethany. P.O.B. 803 - Jerusalem
Head Office:	Saint Roch - Dekwaneh - Beirut - Lebanon

Maronite Antonine Sisters established in 1940

Local address:	Ramallah Street, Beit Hanina, Jerusalem
Head Office:	Couvent Mar Doumith - B.P. 84 - Roumié - Lebanon

Missionaries of Africa
(White Fathers) — established in 1878

Local address: Shrine of Saint Anne
P.O.B. 19079 - 91190 Jerusalem
Head Office: Via Aurelia, 269 - C.P. 9078 - 00165 Rome - Italy

Missionary Daughters of Calvary — established in 1924

Local address: Colegio Español de Nuestra Señora del Pilar
P.O.B. 14250 - 91142 Jerusalem
Head Office: Via Marino Campagna 129 - 00140 Rocca di Papa - Italy

Missionary Sisters of the Catechism — established in 1939

Local address: Casa Nova Street
P.O.B. 1321 - 91013 Jerusalem
Head Office: Via Mattia de Rossi 2 - 00040 Ariccia - Italy

Missionary Sisters "Pie Madri della Nigrizia"
(Suore Comboniane) — established in 1897

Local address: Bethany
P.O.B. 19504 - Jerusalem
Head Office: Via di Boccea 506 - P.O.B. 9067 - 00166 Rome - Italy

Oblate Nuns of the Congregation of Saint Mary of Mount Olivet
established in 1977

Monastère Ste Françoise Romaine - Abu Gosh
P.O.B. 407 - 91003 Jerusalem

Order of Friars Minor Capuchin — established in 1528

Local address: The Franciscan Capuchin Friary
18 Disraeli Street - Talbiye - 92222 Jerusalem
Head Office: Via Piemonte 70 - 00187 Rome - Italy

Order of Preachers
(Dominicans) — established in 1216

Local address: Shivtei Israel Road, 8
P.O.B. 298 - 97605 Jerusalem
Head Office: Piazza Pietro d'Illiria, 1 - 00153 Rome - Italy

Order of the Discalced Brothers of the Blessed Virgin Mary of Mt. Carmel (Carmelites) established in 1593

Local address: "Stella Maris" Monastery
P.O.B. 9047 - 31090 Haifa
Head Office: Corso d'Italia, 38 - 00198 Rome - Italy

Poor Clares = Monastery "Sainte Claire" = established in 1888

Chanoch Albeck Street, 1
P.O.B. 1013 - 91009 Jerusalem

Poor Clares = Monastery "Sainte Claire" = established in 1884

Poste restante - 16000 Nazareth

Religieuses de l' Assomption (Religious of the Assumption) established in 1867

Local address: Saint Peter in Gallicantu
Ma'aleh Hashalom
P.O.B. 31653 - 91316 Jerusalem
Head Office: 17, rue de l'Assomption - 75016 Paris - France

Religious of Nazareth established in 1853

Local address: Near the Basilica, 4/306
P.O.B. 274 - Nazareth
Head Office: Via Caterina Fieschi, 6 - 00151 Rome - Italy

Religious of our Lady of Zion established in 1856

Local address: "Ecce Homo" Convent - Via Dolorosa, 41
P.O.B. 19056 - 91190 Jerusalem
Head Office: Via Garibaldi, 28 - 00153 Rome - Italy

Sacred Heart Fathers of Betharram established in 1877

Local address: P.O.B. 22 - 16100 Nazareth
Head Office: Via A. Brunetti 27 - 00186 Rome - Italy

Salesians of Don Bosco established in 1874

Local address: Beit Jamal
P.O.B. 12 - 99101 Bet Shemesh
Head Office: Via della Pisana 1111 - 00163 Rome - Italy

Salvatorian Sisters of Our Lady of the Annunciation (of the Melkites)
established in 1940

Local address:	House of Providence Allenby Road 36 - Haifa
Head Office:	Couvent Saint Sauveur - Saida - Lebanon

Sisters of Charity of Jesus and Mary established in 1803

Local address:	Street N° 24 , 30 P.O.B. 10 - 30090 Isfya
Head Office:	25 rue Saint Bernard - 1060 Bruxelles - Belgium

Sisters of Charity of Saint Charles Borromeo established in 1652

Local address:	St. Charles Hospice - Lloyd George Street 12 P.O.B. 8020 - 91080 Jerusalem
Head Office:	Kloster Grafschaft - 57392 Schmallenberg - Germany

Sisters of Charity of Saints Bartolomea Capitanio and Vincenza Gerosa
(Sisters of "Maria Bambina") established in 1840

Local address:	Holy Family Hospital - Road 727 /1 P.O.B. 8 - 16100 Nazareth
Head Office:	Via S. Sofia, 13 - 20122 Milano - Italy

Sisters of Charity of the Immaculate Conception
(Suore d'Ivrea) established in 1904

Local address:	Annunciation Convent P.O.B. 214 - 16101 Nazareth
Head Office:	Via della Renella, 85 - 00153 Rome - Italy

Sisters of Our Divine Saviour
(Salvatorian Sisters, Salvator Mundi) established in 1888

Local address:	P.O.B. 121 - 16101 Nazareth
Head Office:	Viale Mura Gianicolensi 67 - 00152 Rome - Italy

Sisters of Our Lady of Mercy
("Mercedarie") established in 1864

Local address:	Mount Tabor - Dahbourye P.O.B. 16 - Nazareth
Head Office:	24 Via Ostriana - 00199 Rome - Italy

Sisters of Saint Elizabeth established in 1887

Local address: Dom Polski, Hahoma Hashlishit Street 8
P.O.B. 277 - 91200 Jerusalem
Head Office: Via Nomentana 140 - 00162 Rome - Italy

Sisters of Saint Joseph of the Apparition established in 1848

Province of Israel
Local address: Our Lady, Ark of the Covenant
Rehov Notre-Dame - Kiryat-Yearim
P.O.B. 32233 - 91003 Jerusalem

Province of the Holy Land
Local address: Saint Joseph Hospital
P.O.B. 19264 - 91192 Jerusalem
Head Office: 90 Avenue Foch - 94120 Fontenay sous Bois - France

Sisters of the Holy Cross established in 1841

Local address: "Mater Ecclesiae" Center - Dona Gracia Street
P.O.B. 207 - 14101 Tiberias
Head Office: St. Mary's Notre Dame - Indiana 46556 - USA

Sisters of the Holy Cross "de Chavanod" established in 1932

Local address: Betharram House
P.O.B. 22 - 16100 Nazareth
Head Office: 8, rue Alcide Zentzer
CH-1211 Geneva 4 - Switzerland

Sisters of the Holy Family of Nazareth established in 1875

Local address: Latin Vicariate
16100 Nazareth
Head Office: Via Nazareth 400 - 00166 Rome - Italy

Society of Jesus
(Jesuits) established in 1540

Local address: Emile Botta Street, 3
P.O.B. 497 - 91004 Jerusalem
Head Office: Borgo S. Spirito 4 - 00193 Rome - Italy

Teaching Sisters of Saint Dorothy
(Daughters of the Sacred Hearts) established in 1905

Local address:	Deir Rafat P.O.B. 275 - 99100 Beit Shemesh
Head Office:	Via S. Domenico 23 - 36100 Vicenza - Italy

The Congregation of the Rosary Sisters of Jerusalem established in 1885

Agron Street, 14
P.O.B. 54 - 94190 Jerusalem

The Servants of Charity Congregation
(Opera Don Guanella) established in 1928

Local address:	Opera Don Guanella - Paul VI Road P.O.B. 1586 - 16115 Nazareth
Head Office:	Vicolo Clementi - 00148 Rome - Italy

ANNEX III
(Article 11 § 4.c)

Ref: Article 5 (b)

a) **Institutes of Consecrated Life and Ecclesial Movements:**

Community of the Beatitudes established in 1976
under the Archbishop of Alby, France

Local address:	15 Hamefaked Street P.O.B. 32285 - 91322 Jerusalem
Head Office:	Couvent Notre-Dame - 81170 Cordes - France

Community of "The Work" (Das Werk) established in 1975
under the Bishop of Feldkirch, Austria

Local address:	Shrine of Saint Anne P.O.B. 19079 - 91190 Jerusalem
Head Office:	Thalbachgasse 10 - A.6900 Bregenz - Austria

Consolers of Gethsemani established in 1931
under the Archbishop of Vienna, Austria

Local address:	Apostolic Delegation - Mount of Olives P.O.B. 19199 - 91191 Jerusalem
Head Office:	Rennweg 63 - Vienna - Austria

"Institución Teresiana" established in 1924
under the Holy See

Local address:	Baha El Din Street P.O.B. 19256 - 91192 Jerusalem
Head Office:	Via Monte Pramaggiore 8 - Rome - Italy

Little Family of the Annunciation established in 1972
under the Archbishop of Bologna, Italy

Local address:	Ras El Amoud - P.O.B. 20776 - 91200 Jerusalem
Head Office:	Via Casaglia, 7 - 40043 Marzabotto - Italy

Little Family of the Resurrection established in 1986
under the Bishop of Cesena-Sarsina, Italy

Local address:	Mount of Olives P.O.B. 51398 - Jerusalem
Head Office:	Valleripa 5, - 47020 Linaro - Italy

Maronite Sisters of "Sainte Thérèse de l'Enfant Jésus" established in 1935
under the Maronite Patriarch of Antioch

Local address:	Foyer Mar Maroun - Maronite Convent Street 25 P.O.B. 14219 - 91141 Jerusalem
Head Office:	Kleat - Kesrouan - Lebanon

Missionary Sisters of Our Lady of Fatima established in 1964
under the Archbishop of Rio de Janeiro, Brazil

Local address:	Terra Sancta Convent - Bialik Street P.O.B. 19 - 72100 Ramleh
Head Office:	Rua Mentor Conto 554 - Barro Verunello - San Gusallo - 24415 Rio de Janeiro - Brazil

Monks of the Theophany established in 1980
under the Greek Melkite Catholic Patriarch of Antioch

Monastery "Saint Jean du Désert"
P.O.B. 9048 - 91090 Jerusalem

Nuns of Bethlehem and of the Assumption of the Virgin established in 1951
under the Bishop of Gubbio, Italy

Local address:	Monastère Notre-Dame de l'Assomption - Beit Jemal P.O.B. 525 - 99101 Beit Shemesh
Head Office:	Monastère Notre-Dame du Buisson Ardent Currière en Chartreuse 38380 St. Laurent du Pont - France

Nuns of the Annunciation established in 1958
under the Greek Melkite Catholic Eparch of Akko

Street 5093, N° 3
P.O.B. 216 - 16101 Nazareth

Religious of "Lavra Netofa" established in 1963
under the Greek Melkite Catholic Eparch of Akko

Melkite Monastery of Lower Galilee
P.O.B. 211 - 24973 Deir Hanna

Religious of Our Lady of Sion — established in 1855 under the Archbishop of São Paulo, Brazil

Local address:	Shmuel Hanaggid Street 26 P.O.B. 768 - Jerusalem
Head Office:	Rua Costa Aguiar 1264 04204001 São Paulo - Brazil

Sisters of Holy Cross of Jerusalem — established in 1963 under the Bishop of Beauvais, France

Local address:	St. John in Montana - Ein Karem P.O.B. 1704 - 95744 Jerusalem
Head Office:	Le Prieuré - 60820 Boran sur Oise - France

The Silent Workers of the Cross — established in 1960 under the Bishop of Ariano-Irpino, Italy

Local address:	"Mater Misericordiae" House - Ash-Shayyah Street P.O.B. 19638 - Jerusalem
Head Office:	Via dei Bresciani, 2 - 00186 Rome - Italy

Work of Mary - Focolare / Opera di Maria - Focolare — established in 1964 under the Holy See

* Women's branch

Local address:	Iskandar Khoury Street 5 P.O.B. 472 - 91003 Jerusalem

* Men's branch

Local address:	Nablus Road 5 P.O.B. 1794 - 91017 Jerusalem
Head Office:	Via di Frascati 302 - 00040 Rocca di Papa - Italy

b) Institutes of Higher Education:

Ecumenical Institute for Theological Studies ("Tantur") — established in 1966 under the Holy See

Local address:	Hebron Road - Ha Rosmerin P.O.B. 19556 - 91194 Jerusalem
Head Office:	University of Notre Dame Notre Dame - Indiana 46556 - USA

Institüt Saint Pierre de Sion - Ratisbonne established in 1873
under the Holy See

Shmuel Hanagid Street, 26
P.O.B. 7336 - 91072 Jerusalem

Pontifical Biblical Institute established in 1927
under the Holy See

Local address: Emile Botta Street, 3
P.O.B. 497 - 91004 Jerusalem
Head Office: Pontificio Istituto Biblico
Via della Pilotta, 25 - 00187 Rome - Italy

Pontifical University of Salamanca established in 1940
under the Holy See

Local address: Institut Biblique et Archéologique Espagnol
Sheyah Street - P.O.B. 19030 - 91190 Jerusalem
Head Office: Compania 5 - 37008 Salamanca - Spain

Pontificium Athenaeum "Antonianum" established in 1901
under the Holy See

Local address: Studium Biblicum Franciscanum
Via Dolorosa - P.O.B. 19424 - 91193 Jerusalem
Head Office: Via Merulana 124 - 00185 Rome - Italy

Pontificium Athenaeum "Sant'Anselmo" established in 1914
under the Holy See

Local address: "Theologisches Studienjahr Jerusalem Dormition Abbey"
Mount Zion - P.O.B. 22 - Jerusalem
Head Office: Piazza dei Cavalieri di Malta, 5 - 00153 Rome - Italy

Salesian Pontifical University established in 1940
under the Holy See

Local address: Salesian Center of Theological Studies
Cremisan - P.O.B. 10457 - 91104 Jerusalem
Head Office: Piazza dell' Ateneo Salesiano, 1 - 00139 Rome - Italy

The French Biblical and Archaeological School of Jerusalem
"Ecole Biblique et Archéologique Française de Jérusalem" established in 1892
under the Holy See

Nablus Road, 6
P.O.B. 19053 - 91190 Jerusalem

c) **Other Official Entities:**

Archdiocese of Cologne

established in VIII century
under the Holy See

Local address: Shrine of Tabgha "Mensa Christi"
P.O.B. 52 - 14100 Tiberias
Head Office: Marzellenstrasse 32 - Cologne I - Germany

Archdiocese of Warsaw

established in 1798
under the Holy See

Local address: Dom Polski - 8 Hahoma Hashlishit Street
P.O.B. 277 - 91200 Jerusalem
Head Office: ul. Miodowa 17, 00-246 Wàrsaw - Poland

"Associazione Nazionale per Soccorere i Missionari Italiani" (A.N.S.M.I.)

established in 1886
under the Holy See

Local address: Lohamey Hagettaot Street 12
31091 Haifa
Head Office: Via Cavour, 256 - 00184 Rome - Italy

Austrian Hospice of the Holy Family

established in 1853
under the Archbishop of Vienna

Local address: Via Dolorosa
P.O.B. 19600 - 91194 Jerusalem
Head Office : Wollzeile 2, A-1010 Vienna - Austria

Caritas Jerusalem

established in 1967
under the Latin Patriarch of Jerusalem

Shivtei Israel Road, 8 - P.O.B. 20894
97200 Jerusalem

"Casa de Santiago"

established in 1996
under the Spanish Bishops' Conference

Local address: Sheyah Street
P.O.B. 19030 - 91190 Jerusalem
Head Office : Anastro, 1 - P.O.B. 29075 - 28033 Madrid - Spain

Order of Malta

established in the XII century
under the Holy See

Local address: Pro Tantour - Hebron Road
P.O.B. 1763 - 91017 Jerusaler

Head Office: Palazzo Malta, Via Condotti, 68 - 00187 Roma - Italy

Personal Prelature of the Holy Cross and Opus Dei
(Opus Dei)

established in 1982
under the Holy See

Local address: Gihon Street 11-B
93547 Jerusalem

Head Office: 73 viale Bruno Buozzi - 00197 Rome - Italy

Pontifical Mission for Palestine

established in 1949
under the Holy See

Local address: New Gate
P.O.B. 19642 - 91196 Jerusalem

Head Office: 1011 First Avenue - New York. N.Y. 10022 - USA

Saint Thomas Fondation

established in 1989
under the Holy See

Local address: Shivtei Israel Road 8
P.O.B. 298 - 97605 Jerusalem

Head Office: Secretariat of State, 00120 Vatican City

"Secours Catholique"
(Caritas France)

established in 1946
under the French Bishops' Conference

Local address: Maison d'Abraham - Ras El'Amoud
P.O.B. 19680 - 91196 Jerusalem

Head Office: 106 rue du Bac - 75341 Paris Cedex 07 - France

Union of the Superiors of Women Religious of the Holy Land

established in 1993
under the Holy See

Shivtei Israel Road 8
P.O.B. 298 - 97605 Jerusalem

Signed in______________, this_________day of the month of__________ in the year_________ , which corresponds to the________________ day of the month of ____________in the year___________.

____
For the Holy See

____
For the Government of the State of Israel

THE SCHEDULE
(Article 12)

IMPLEMENTATION PROVISIONS

Pursuant to Article 12 of the "Legal Personality Agreement" (hereinafter: the "Agreement"), the following shall be its Implementation Provisions:

1. The application of the relevant provisions of the Agreement to legal persons as are referred to in Article 3 § 1 (d) and Article 5, being new in Israel, shall be in accordance with the following sub-provisions:

1.1 (a) In this Provision, the term "pontifical" refers to ecclesiastical legal persons established by the Holy See, including their parts when they too are legal persons.

(b) Where a pontifical legal person has been established, and the Holy See intends that it function in Israel, a Certificate to that effect will be made by the Apostolic Nunciature in Israel. The Certificate will be delivered through the Ministry of Foreign Affairs to the Government of the State of Israel.

The legal personality of the said pontifical legal person shall have full effect in Israeli law on the date of the conveyance of the Certificate by the Government to the Registry, described in Provision 5, or from the ninety-first day after the said delivery by the Nunciature - whichever is the earlier.

1.2 Where an ecclesiastical legal person other than a pontifical one has been established, and it is intended that it function in Israel, a Certificate to that effect will be made by the Authority that has established it, being either a Patriarch or a Diocesan Bishop, as the case may be, subject to the following sections:

(a) The Certificate will be delivered by that Authority or on its behalf through the Registry, described in Provision 5, to the Government of the State of Israel.

(b) (i) With reference to Article 3 § 2 of the "Fundamental Agreement", the Government of the State of Israel may request a discussion on the matter with the said ecclesiastical Authority on a mutually agreed level.

(ii) The discussion will take place in a bilateral committee consisting of an equal number of members from each side.

(c) Where such a discussion is not requested, or where agreement has been reached in the aforesaid committee, the legal personality of the said ecclesiastical legal person shall have full effect in Israeli law from the ninety-first day after the delivery of the aforementioned Certificate to the Registry or from the date of the agreement in the said committee, as the case may be.

(d) The above section (b) will not apply to Dioceses.

2.1 A merger of two or more legal persons to which the Agreement applies will have full effect in Israeli law after compliance with the following sections:

(a) If the Authority that has decreed the merger is the Holy See, a Certificate to that effect will be delivered by the Apostolic Nunciature in Israel, through the Ministry of Foreign Affairs, to the Government of the State of Israel.

(b) If the Authority that has decreed the merger is an ecclesiastical Authority other than the Holy See:

(i) that Authority will deliver a Certificate to that effect to the Registry.

(ii) The Holy See will issue a written Notice to be delivered by the Apostolic Nunciature in Israel in the manner described in section (a) to the effect that the contents of the Certificate are no longer subject to any appeal or recourse to any ecclesiastical forum. The Government shall convey this Notice to the Registry.

(c) The Certificates and the Notice referred to in sections (a) and (b) shall give the names of the two or more merged legal persons, the name of the new legal person, as well as all the other details referred to in Provision 5.3 of each of the merged legal persons and of the new one.

2.2 In case of a merger of two or more legal persons referred to in sub-provision 2.1 (a) or (b), the liability for outstanding obligations other than to ecclesiastical legal persons, whether being legal persons in accordance with the Agreement or not, shall be of the new merged legal person.

2.3 The date on which a merger referred to in sub-provision 2.1 (a) will have full effect in Israeli law shall be the ninety-first day from the delivery of the said Certificate to the Government, or from the date of its conveyance by the Government to the Registry - whichever is the earlier.

2.4 The date on which a merger referred to in sub-provision 2.1 (b) will have full effect in Israeli law shall be the ninety-first day from the delivery of the said Notice, through the Ministry of Foreign Affairs, to the Government, or from the date of its conveyance by the Government to the Registry - whichever is the earlier.

3.1 A dissolution of a legal person to which the Agreement applies will have full effect in Israeli law after compliance with the following sections:

(a) Liability for outstanding debts or other obligations of the dissolved legal person other than to ecclesiastical legal persons, whether being legal persons in Israeli law or not, shall be of the legal person that had established it as named in accordance with sections (b) (iii) or (c) (ii) below.

(b) If the Authority that has decreed the dissolution is the Holy See:

(i) sub-provisions 2.1 (a) and 2.3 will apply;

(ii) "dissolution" will be substituted for "merger";

(iii) the name of the legal person that had established the dissolved legal person will be included in the said Certificate together with the appropriate details related thereto as mentioned in Provision 5.3

(c) If the Authority that has decreed the dissolution is an ecclesiastical Authority other than the Holy See:

(i) Sub-provisions 2.1 (b) and 2.4 will apply;

(ii) sections (b) (ii) and (iii) will apply to both Certificate and Notice.

3.2 Without derogating from sub-provision 3.1, outstanding debts or other obligations of the dissolved legal person to others who are not ecclesiastical legal persons, whether being legal persons in Israeli law or not, shall take precedence.

4. The Government of the State of Israel may, if in doubt, request the Apostolic Nunciature in Israel to verify an ecclesiastical document.

5.1 The Government of the State of Israel will establish a Registry for the recording of the following:

(a) documents communicated to the Registry under the Agreement;

(b) such documents as the Holy See or the Government of the State of Israel, or any legal person to which the Agreement applies, may cause to be communicated thereto.

5.2 The Registry shall be open to public inspection and copies authenticated by the Registry or by a notary or advocate licensed to practice in Israel shall be made available.

5.3 (a) The Register entry for any new legal person will include its official name, a local address and, if its head office is abroad, also its address, the name of its head or presiding officer, the date of its establishment by the Catholic Church and the ecclesiastical Authority that established it.

(b) In the case of a Diocese, the Register entry will also include a map showing its territorial jurisdiction.

5.4 Changes in details included in documents recorded under sub-provisions 5.1 and 5.3 (a) will be communicated and recorded in the same manner.

5.5 Documents recorded in the Registry will be *prima facie* evidence of their contents on the date of the document.

5.6 For the avoidance of doubt, none of the above sub-provisions shall be construed as derogating from any provision in Article 6 of the Agreement.

6.1 The Government of the State of Israel states that, in its opinion, the execution of provisions of this Agreement under Israeli law will require primary and secondary legislation. The Government agrees that the said secondary legislation will be made with the consent of the Holy See.

6.2 For the purposes of the legislation referred to in sub-provision 6.1, the Hebrew text of the Agreement shall prevail.

Signed in____________, this ______day, of the month of____________ in the year__________, which corresponds to the ____________day, of the month of ____________, in the year______________ .

For the Holy See	For the Government of the State of Israel

منظمة التحرير الفلسطينية

مكتب د. إميل جرجوعي
عضو اللجنة التنفيذية
مكاتب القدس

فلسطين، القدس، ص.ب. ١٩٢٧١
فاكس: ٠٦-٦٢٨٤٤٦٦
بيت لحم، ص.ب. ١٠٥٤
هاتف: ٠٢-٢٧٤١٥٤٠، فاكس: ٠٢-٢٧٧٧٧١٧
بريد إلكتروني: HMCPA@Alpha.net

صديقي الأخ رؤوف أبو جابر حفظه الله
مع تحياتي

أخوكم

د. إميل جرجوعي

عدد الصفحات ١٢

Basic Agreement between the Holy See and the Palestine Liberation Organization

Preamble

The Holy See, the Sovereign Authority of the Catholic Church, and the Palestine Liberation Organization (hereinafter: PLO), the Representative of the Palestinian People working for the benefit and on behalf of the Palestinian Authority:

Deeply aware of the special significance of the Holy Land, which is *inter alia* a privileged space for inter-religious dialogue between the followers of the three monotheistic religions,

Having reviewed the history and development of the relations between the Holy See and the Palestinian people, including the working contacts and the subsequent establishment – on October 26, 1994- of official relations between the Holy See and the PLO,

Recalling and confirming the establishment of the Bilateral Permanent Working Commission to identify, study and address issues of common interest between the two Parties;

Reaffirming the need to achieve a just and comprehensive peace in the Middle East, so that all its nations live as good neighbours and work together to achieve development and prosperity for the entire region and all its inhabitants;

Calling for a peaceful solution of the Palestinian-Israeli conflict, which would realize the inalienable national legitimate rights and aspirations of the Palestinian People, to be reached through negotiation and agreement, in order to ensure peace and security for all peoples of the region on the basis of international law, relevant United Nations and its Security Council resolutions, justice and equity;

Declaring that an equitable solution for the issue of Jerusalem, based on international resolutions, is fundamental for a just and lasting peace in the Middle East, and that unilateral

decisions and actions altering the specific character and status of Jerusalem are morally and legally unacceptable;

Calling, therefore, for a special statute for Jerusalem, internationally guaranteed, which should safeguard the following:
a. Freedom of religion and conscience for all
b. The equality before the law of the three monotheistic religions and their institutions and followers in the City
c. The proper identity and sacred character of the City and its universally significant, religious and cultural heritage.
d. The Holy Places, the freedom of access to them and of worship in them.
e. The Regime of "Status Quo" in those Holy Places where it applies;

Recognizing that Palestinians, irrespective of their religious affiliation, are equal members of Palestinian society;

Concluding that the achievements of the aforementioned Bilateral Permanent Working Commission now amount to appropriate matter for a first and Basic Agreement, which should provide a solid and lasting foundation for the continued development of their present and future relations, and for the furtherance of the Commission's on-going task,

Agree on the following Articles:

Article 1

Paragraph 1:
The PLO affirms its permanent commitment to uphold and observe the human right to freedom of religion and conscience, as stated in the Universal Declaration of Human Rights and in other international instruments relative to its application.

Paragraph 2:
The Holy See affirms the commitment of the Catholic Church to support this right and states once more the respect that the Catholic Church has for the followers of other religions.

Article 2

Paragraph 1:
The Parties are committed to appropriate cooperation in promoting respect for human rights, individual and collective, in combating all forms of discrimination and threats to human life and dignity, as well as to the promotion of understanding and harmony between nations and communities.

Paragraph 2:
The Parties will continue to encourage inter- religious dialogue for the promotion of better understanding between people of different religions.

Article 3

The PLO will ensure and protect in Palestinian Law the equality of human and civil rights of all citizens, including specifically, *inter alia*, their freedom from discrimination, individually or collectively, on the ground of religious affiliation, belief or practice.

Article 4

The regime of the "Status Quo" will be maintained and observed in those Christian Holy Places where it applies.

Article 5

The PLO recognizes the freedom of the Catholic Church to exercise her rights to carry out, through the necessary means, her functions and traditions, such as those that are spiritual, religious, moral, charitable, educational and cultural.

Article 6

The PLO recognizes the rights of the Catholic Church in economic, legal and fiscal matters: these rights being exercised in harmony with the rights of the Palestinian authorities in these fields.

Article 7

Full effect will be given in Palestinian Law to the legal personality of the Catholic Church and of the canonical legal persons.

Article 8

The provisions of this Agreement are without prejudice to any agreement hitherto in force between either Party and any other party.

Article 9

The Bilateral Permanent Working Commission, in accordance with such instructions as may be given by the respective Authorities of the two Parties, may propose further ways to address items of this Agreement.

Article 10

Should any controversy arise regarding the interpretation or the application of provisions of the present Agreement, the Parties will resolve it by way of mutual consultation.

Article 11

Done in two original copies in the English and Arabic languages, both texts being equally authentic. In case of divergency, the English text shall prevail.

Article 12

This Agreement shall enter into force from the moment of its signature by the two Parties.

Palestine Liberation Organization

Dr Emil Jarjoui

Holy See

Vatican City February 15, 2000

الاتفاق الأساسي بين منظمة التحرير الفلسطينية والكرسي الرسولي

المقدمة

إن الكرسي الرسولي، السلطة ذات السيادة للكنيسة الكاثوليكية، و منظمة التحرير الفلسطينية (المشار إليها ب م ت ف) الممثل للشعب الفلسطيني و التي تعمل بالنيابة ولصالح السلطة الفلسطينية.

وإذ يدركان بعمق الأهمية الخاصة للأراضي المقدسة بما في ذلك كونها مكاناً مميزاً للحوار الديني بين أتباع الديانات التوحيدية الثلاث؛

وبعد مراجعة تاريخ العلاقات بين الكرسي الرسولي و الشعب الفلسطيني و تطورها بما في ذلك لقاءات العمل و ما تبعها في ١٩٩٤/١٠/٢٦ من إقامة العلاقات الرسمية بين الكرسي الرسولي و منظمة التحرير الفلسطينية؛ .

إذ يستذكران و يثنيان تأسيس "هيئة العمل الثنائية الدائمة " لتحديد ودراسة و معالجة المواضيع ذات الاهتمام المشترك بين الطرفين.

و إذ يؤكدان على أهمية تحقيق سلام عادل و شامل في الشرق الأوسط حتى تتمكن شعوبه جميعها من العيش في ظل حسن الجوار و العمل معاً لتحقيق الرخاء و التقدم للمنطقة وشعوبها كافة؛

و إذ يدعوان إلى حل سلمي للنزاع الفلسطيني- الإسرائيلي، يتم التوصل إليه عن طريق التفاوض والاتفاق، لإحقاق الحقوق الوطنية المشروعة غير القابلة للتصرف و التطلعات المشروعة للشعب الفلسطيني، من أجل ضمان السلام والأمن لشعوب المنطقة كافة على أسس القانون الدولي و قرارات الأمم المتحدة بما فيها مجلس الأمن ذات العلاقة، وعلى أسس العدل والمساواة.

١

وإذ يصرحان أن حلاً منصفاً لقضية القدس على أساس القرارات الدولية أساسيٌ لسلام عادل و شامل في الشرق الأوسط وأن أية قرارات و أعمال أحادية الجانب تغير الطابع المميز للقدس ووضعها القانوني هي أمر مرفوض أدبياً و قانونياً،

وإذ يدعوان، بناء على ذلك، إلى وضع خاص لمدينة القدس، تحميه ضمانات دولية، بحيث يضمن ما يلي:

أ- حرية العبادة والاعتقاد للجميع

ب- المساواة أمام القانون بين الديانات التوحيدية الثلاث و مؤسساتها و أتباعها في المدينة

ج- الهوية الخاصة والطابع المقدس للمدينة كونها إرثاً دينياً وثقافياً مميزاً للعالم أجمع

د- الأماكن المقدسة و حرية الوصول إليها و العبادة فيها

ه- نظام "الستاتوكو" في الأماكن المقدسة حيثما هو قائم

وإذ يعترفان أن الفلسطينيين، أيا كانت دياناتهم، هم أعضاء متساوون في المجتمع الفلسطيني،

و إذ يلاحظان أن إنجازات "هيئة العمل الثنائية الدائمة" المذكورة أعلاه ترتقي الآن إلى مستوى اتفاق أساسي وأول، يشكل قاعدة متينة ودائمة من أجل التطوير المستمر لعلاقاتهما الحالية والمستقبلية ولمتابعة تقدم عمل "الهيئة" واستمراره،

يوافقان على المواد التالية:

المادة الأولى

الفقرة الأولى:

تؤكد منظمة التحرير الفلسطينية التزامها الدائم باحترام وتطبيق الحق الإنساني في حرية العبادة والاعتقاد المنصوص عليهما في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والوثائق الدولية الأخرى المتعلقة بتطبيقه.

الفقرة الثانية

يؤكد الكرسي الرسولي التزام الكنيسة الكاثوليكية بدعم الحق هذا ويعلن مرة أخرى الاحترام الذي تكنه الكنيسة الكاثوليكية لأتباع الديانات الأخرى.

المادة الثانية

الفقرة الأولى

يلتزم الطرفان بالتعاون الملائم لتشجيع احترام حقوق الإنسان الفردية و الجماعية ومحاربة جميع أشكال التمييز والتهديد لحياة الإنسان و كرامته بالإضافة إلى تعميق التفاهم و التواصل بين الشعوب والمجتمعات.

الفقرة الثانية

يواصل الطرفان دعم الحوار بين الأديان من أجل تشجيع تفاهم أفضل بين أتباع الديانات المختلفة .

المادة الثالثة

تؤكد منظمة التحرير الفلسطينية وتضمن أن ينص القانون الفلسطيني على المساواة في الحقوق الإنسانية و المدنية بين كافة المواطنين، بما في ذلك تحديداً، حريتهم ضد التمييز، فرديا أو جماعيا، على خلفية انتماءاتهم أو معتقداتهم أو ممارساتهم الدينية

المادة الرابعة

يبقى نظام "الستاتوكو" على ما هو ويلتزم به في الأماكن المقدسة المسيحية حيث قائم.

المادة الخامسة

تقر منظمة التحرير الفلسطينية بحرية الكنيسة الكاثوليكية في ممارسة حقوقها وفي القيام عن طريق الوسائل الضرورية بمهامها ووظائفها ومن بينها الروحية و الدينيـة و الأدبيـة و الخيريـة والتربوية و الثقافية

المادة الخامسة

تقر منظمة التحرير الفلسطينية بحقوق الكنيسة الكاثوليكية في الأمور الاقتصادية والقانونية والمالية. وتمارس هذه الحقوق بما يتوافق مع ما تنص عليه قوانين السلطات الفلسطينية في هذه المجالات.

المادة السادسة

يعطي القانون الفلسطيني الفعالية التامة للشخصية الاعتبارية للكنيسة الكاثوليكية وللشخصيات القانونية الواردة في الحق القانوني الكنسي.

المادة السابعة

إن نصوص هذا الاتفاق لا تمس بأية اتفاقيات معمول بها بين أحد الطرفين وبين أية أطراف أخرى.

المادة التاسعة

يجوز "لهيئة العمل الثنائية الدائمة"، تمشيا مع التعليمات التي تعطيها السلطات المختصة للطرفين، أن تقترح طرقا إضافية للتعامل مع نصوص هذا الاتفاق.

المادة العاشرة

في حالة نشوء اختلاف في تفسير أو تطبيق نصوص هذا الاتفاق، يقوم الطرفان بحلها عن طريق التشاور المتبادل.

المادة الحادية عشرة

حرر هذا الاتفاق من نسختين أصليتين بكل من اللغتين الإنجليزية والعربية، وكلا النصين أصلية. في حالة الاختلاف يرجع إلى النص الإنجليزي.

٤

المادة الثانية عشرة

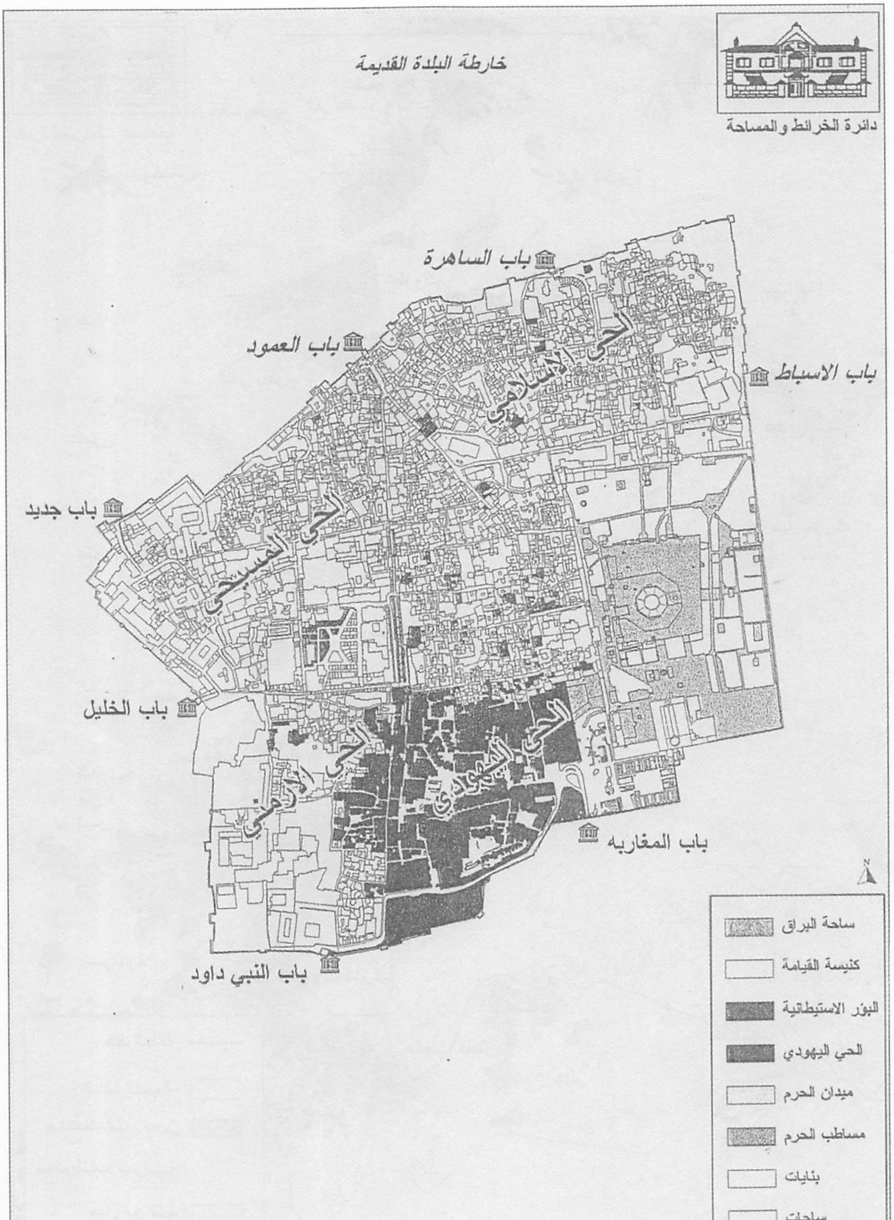
يدخل هذا الاتفاق حيز التنفيذ فور توقيع الطرفين عليه

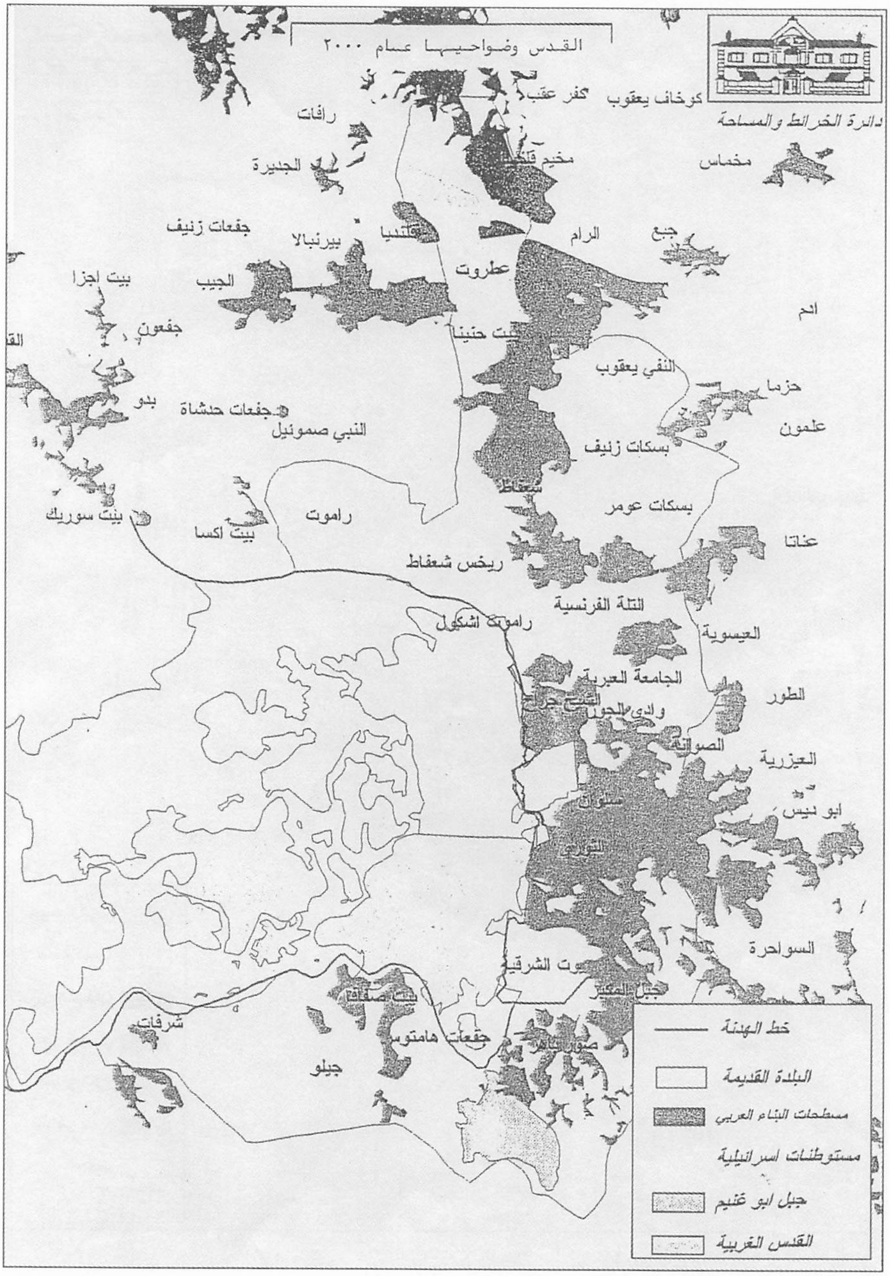
عن الكرسي الرسولي

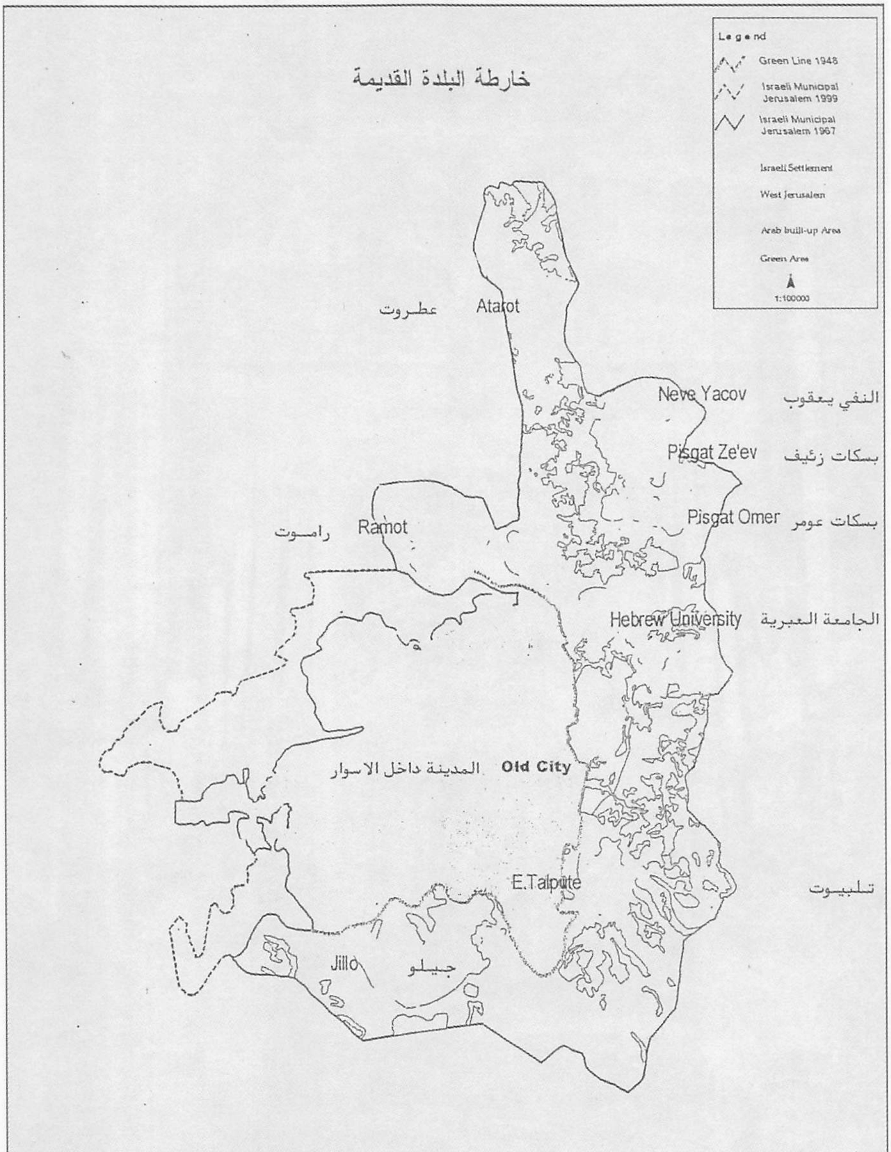
عن منظمة التحرير الفلسطينية

د. إميل جرجوعي

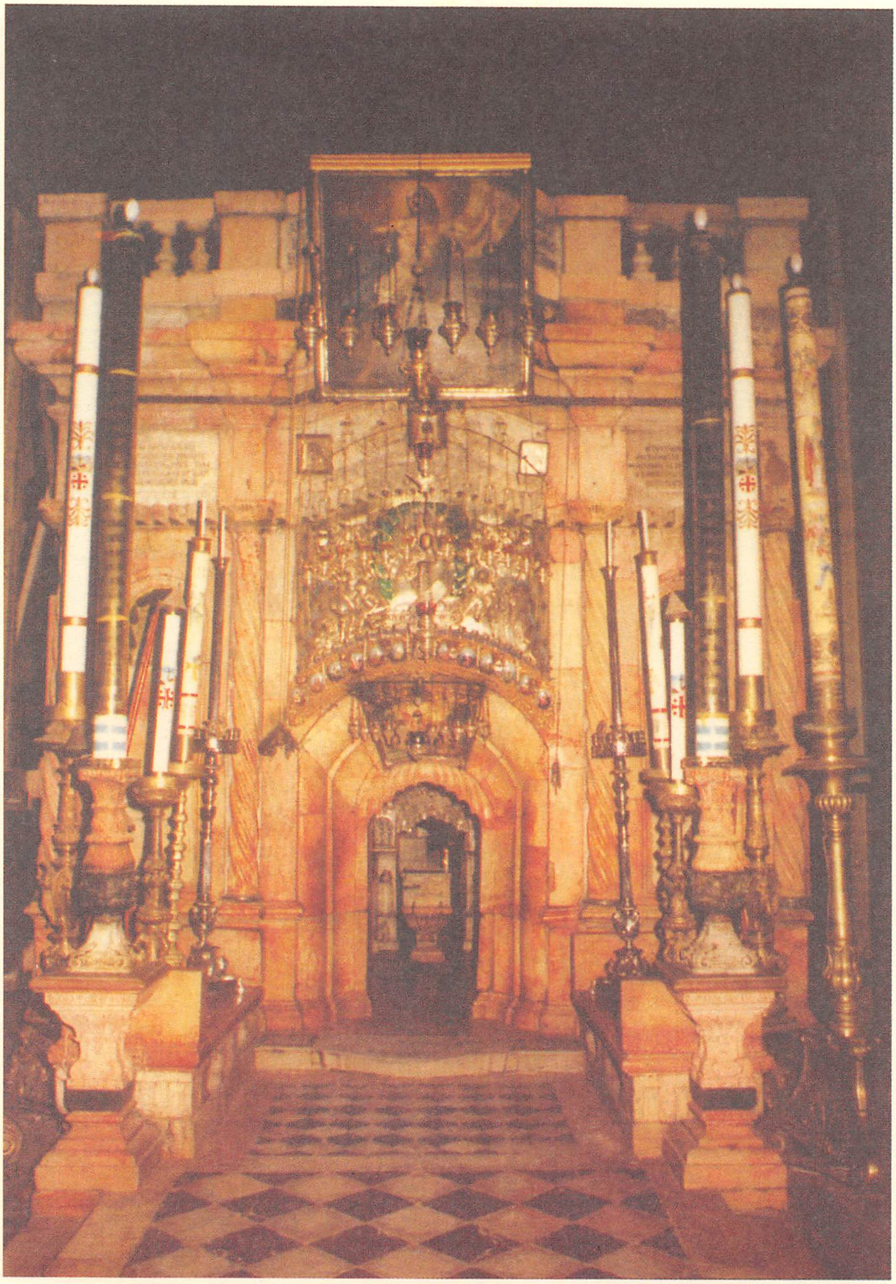
مدينة الفاتيكان ١٥ شباط ٢٠٠٠


خارطة البلدة القديمة
دائرة الخرائط والمساحة
باب الساهرة
باب العمود
باب الاسباط
باب جديد
الحي الاسلامي
الحي المسيحي
باب الخليل
الحي الأرمني
الحي اليهودي
باب المغاربه
باب النبي داود
ساحة البراق
كنيسة القيامة
البؤر الاستيطانية
الحي اليهودي
ميدان الحرم
مساطب الحرم
بنايات
ساحات

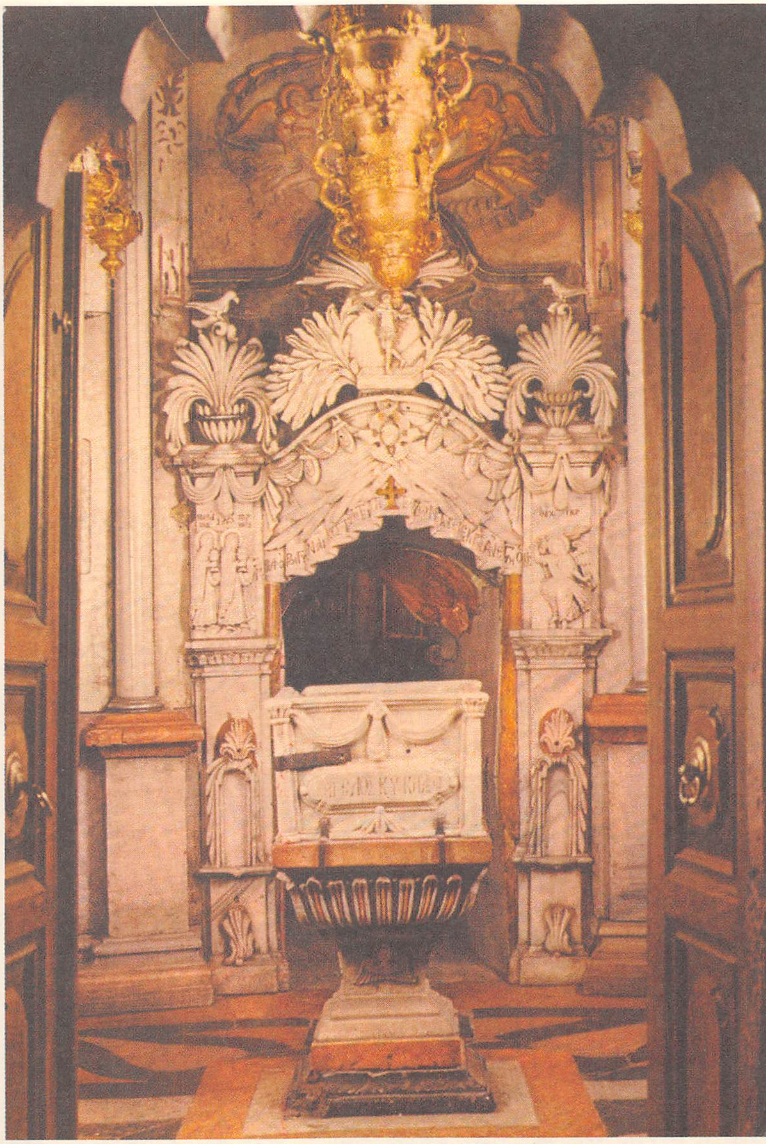

القدس وضواحيها عام ٢٠٠٠
دائرة الخرائط والمساحة
كوخاف يعقوب
كفر عقب
رافات
الجديرة
مخماس
جفعات زئيف
بيرنبالا
قلنديا
الرام
جبع
عطروت
الجيب
بيت اجزا
جفعون
النبي يعقوب
حزما
بدو
جفعات حدشاة
النبي صموئيل
علمون
بسكات زئيف
شعفاط
بسكات عومر
بيت سوريك
راموت
بيت اكسا
عناتا
ريخس شعفاط
التلة الفرنسية
راموت اشكول
العيسوية
الجامعة العبرية
الطور
وادي الجوز
الشيخ جراح
الصوانة
العزرية
سلوان
ابو ديس
الثوري
السواحرة
جبل المكبر
شرفات
بيت صفافا
جفعات هامتوس
صور باهر
جيلو
خط الهدنة
البلدة القديمة
مسطحات البناء العربي
مستوطنات اسرائيلية
جبل ابو غنيم
القدس الغربية



القدس القديمة والمستعمرات الصهيونية المحيطة بها على الأراضي العربية



قبر السيد المسيح من الخارج في كنيسة القيامة بالقدس



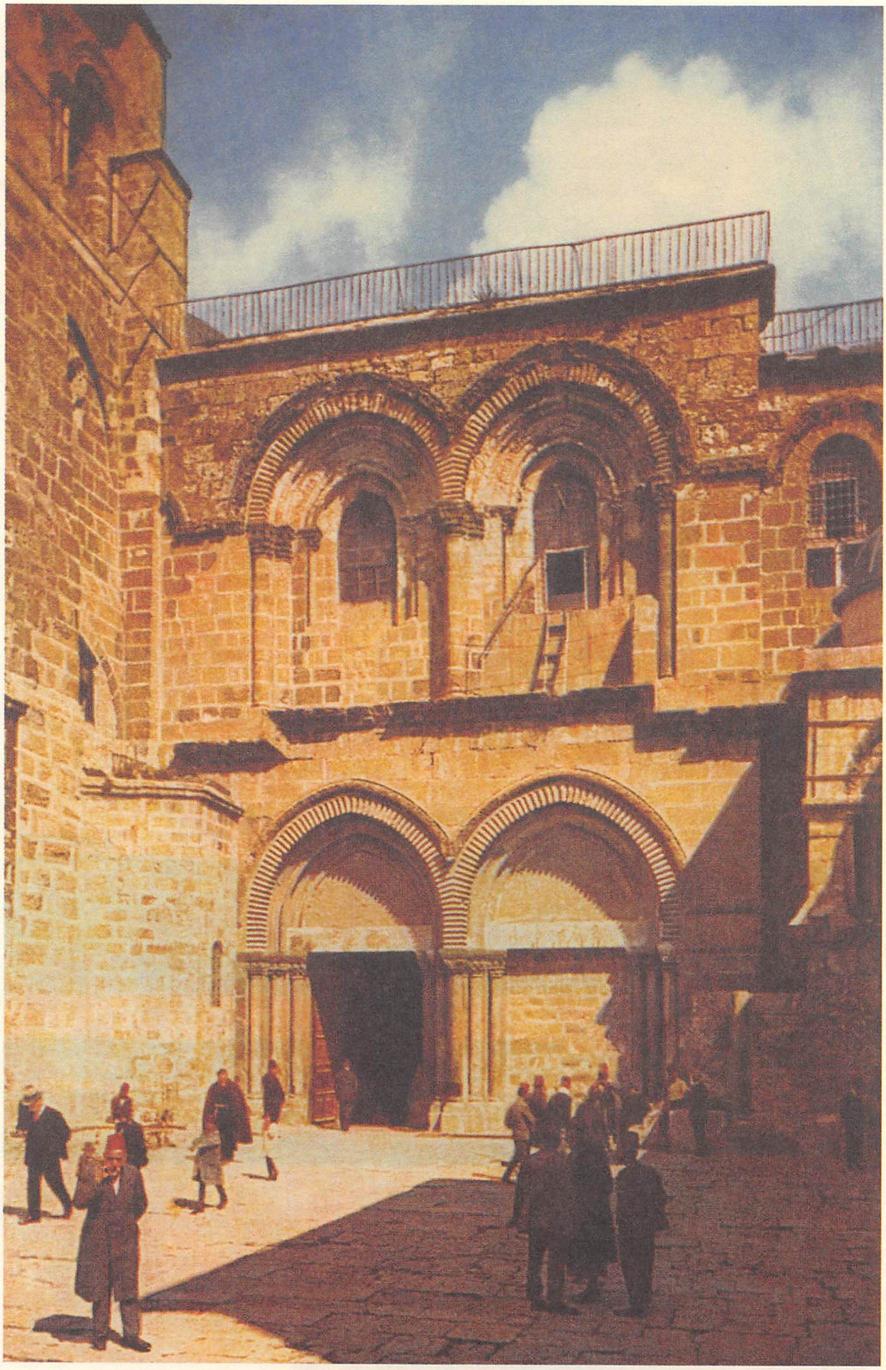
قبر السيد المسيح من الداخل في كنيسة القيامة بالقدس



صورة مدينة القدس وتظهر فيها كنيسة القيامة أثناء اجراء الاصلاحات المعمارية لها



أحد أبواب سور المدينة المقدسة في الثلاثينيات من القرن العشرين



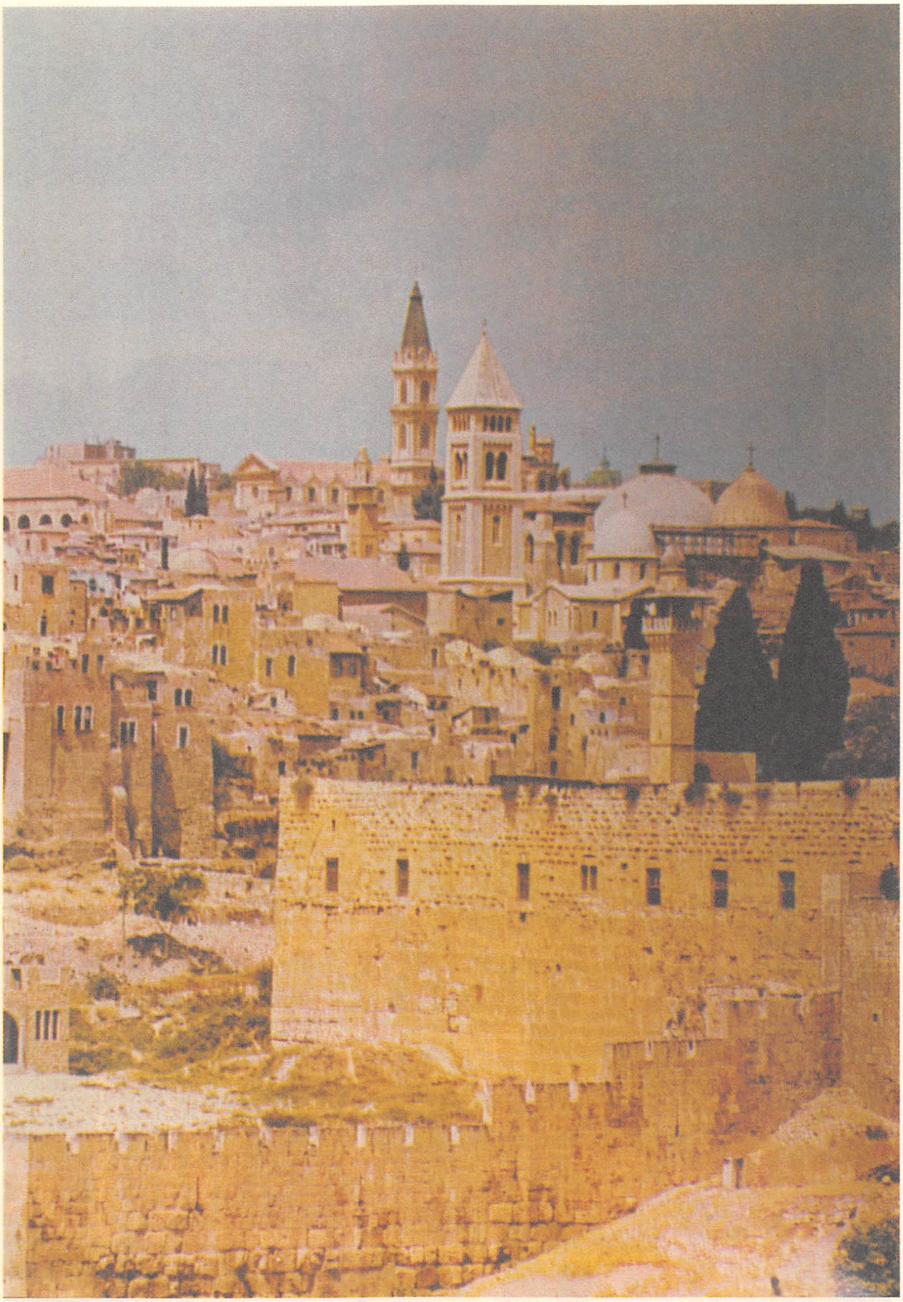
مدخل كنيسة القيامة عن قرب
كما ظهر في الصورة التي أخذت حوالى عام ١٩٣٠ أثناء الانتداب البريطاني



صورة كنيسة القيامة في أواخر القرن التاسع عشر
حيث ظهرت القبة والجراسيه



منظر رائع للمدينة المقدسة ويظهر فيها مسجد الصخرة المشرّفة ومسجد الأقصى المبارك وبينهما كنيسة القيامة



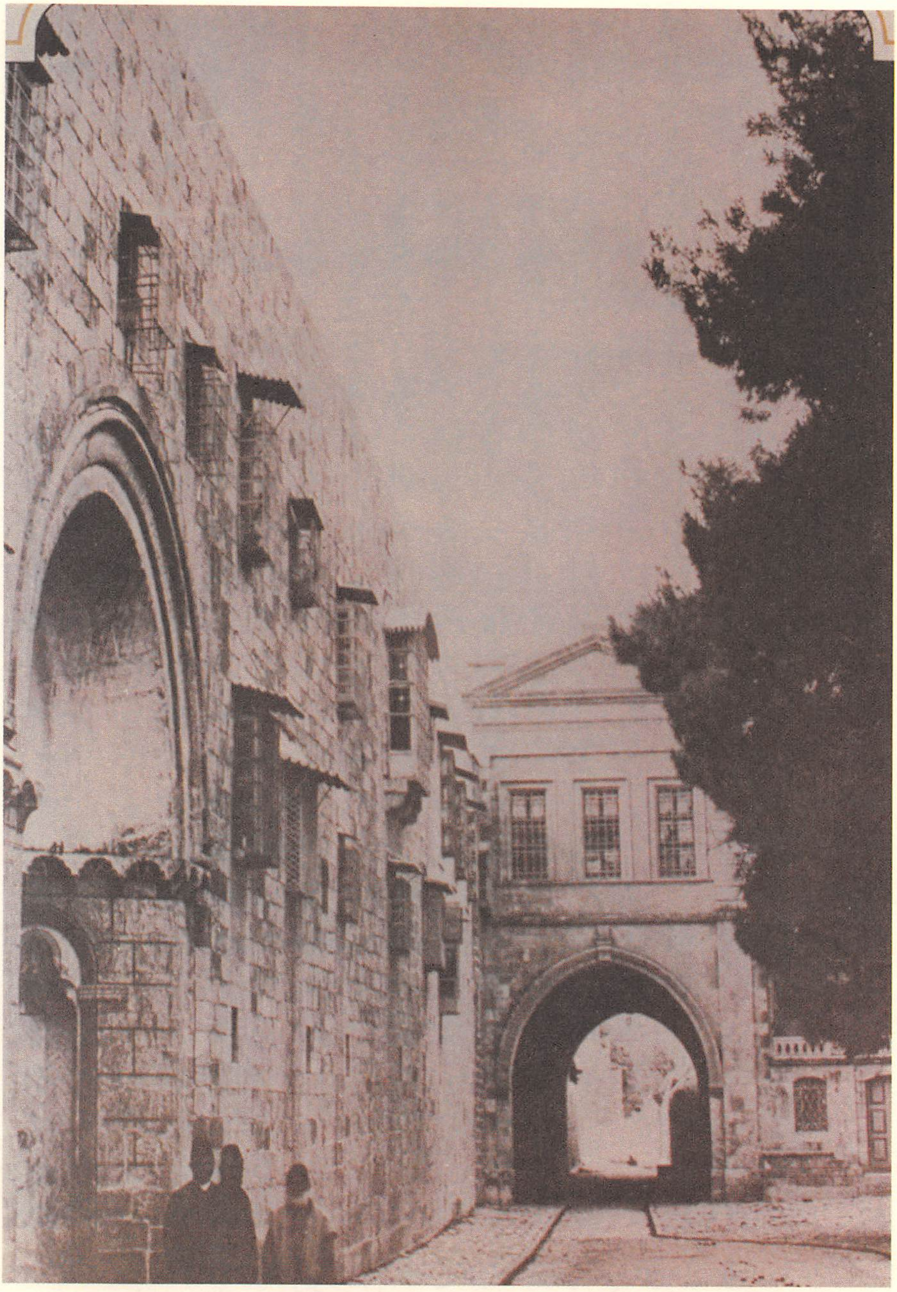
منظر البلدة القديمة في القدس من الجانب الجنوبي الغربي وتظهر فيه قبتا كنيسة القيامة



كنيسة الجثمانية للكاثوليك والكنيسة الروسية الأرثوذكسية ذات القباب



كنيسة الأقباط الأرثوذكس خلف القبر المقدس في كنيسة القيامة



دير مار يعقوب للأرمن الأرثوذكس داخل البلدة القديمة



كنيسة القديس مرقص للسريان الأرثوذكس



سور البلدة القديمة (أخذت الصورة في حقل الزيتون المحيط بكنيسة الجثمانية)



طريق الآلام التي سار عليها السيد المسيح في البلدة القديمة

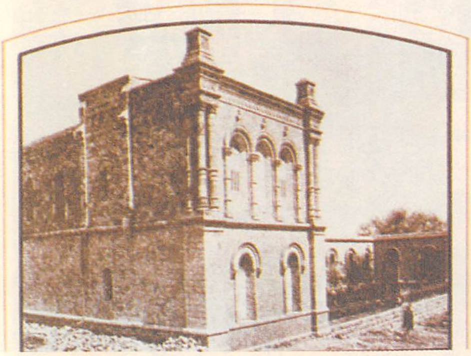


الإجراءات اليومية لفتح باب كنيسة القيامة من قبل أحد أفراد عائلة نسيبه
بحضور مندوبين عن البطريركيات الأرثوذكسية واللاتينية والأرمنية في القدس

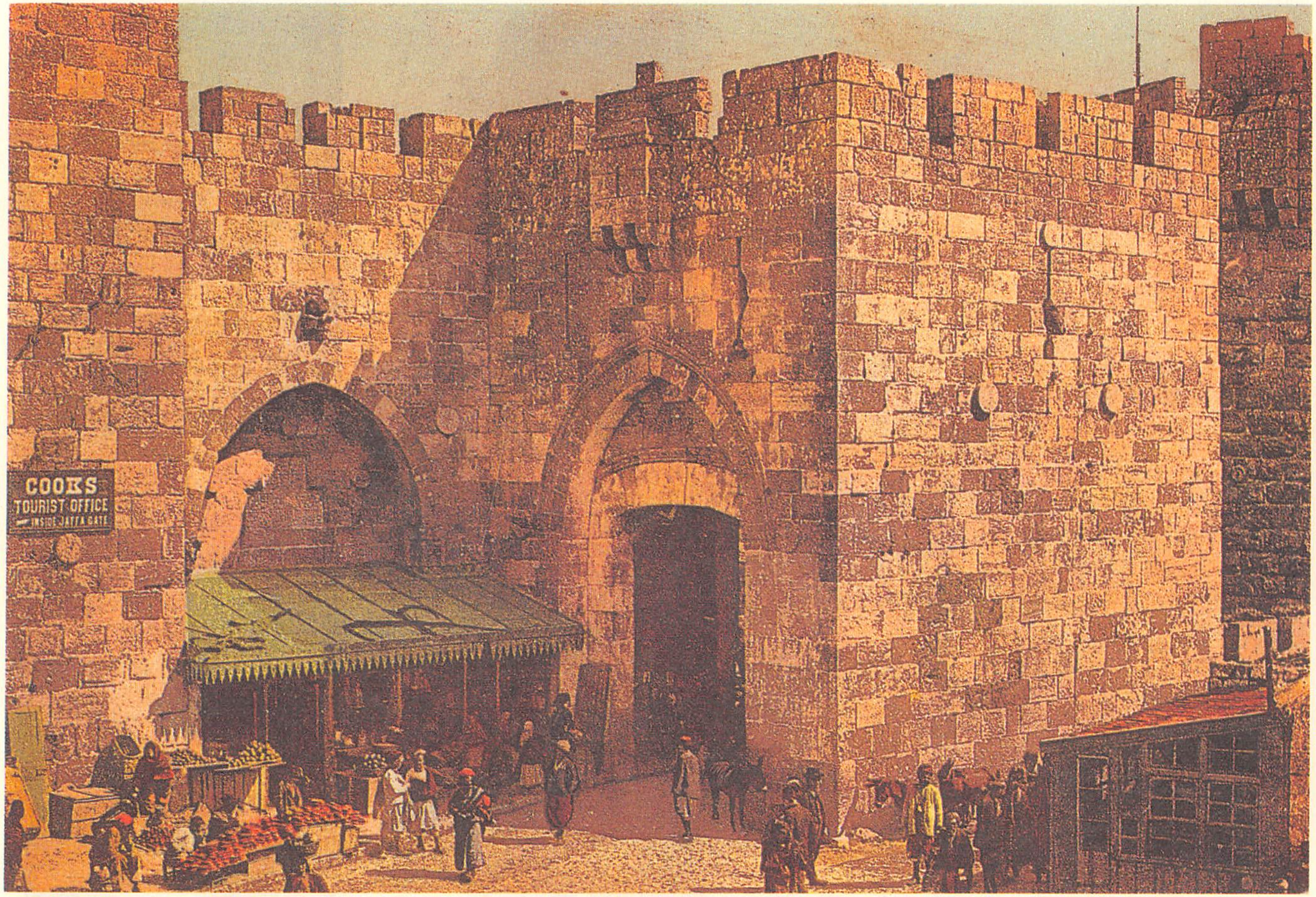








ـ من اليمين كنيسة الأحباش أثناء بنائها عام ١٨٨٧
ـ مدرسة المأمونية في البلدة القديمة وتظهر قبة الصخرة في يمين الصورة
ـ النزل في دير القديس لويس خارج أسوار البلدة القديمة
ـ المستشفى الافرنسي في القدس الذي بني عام ١٨٨٧



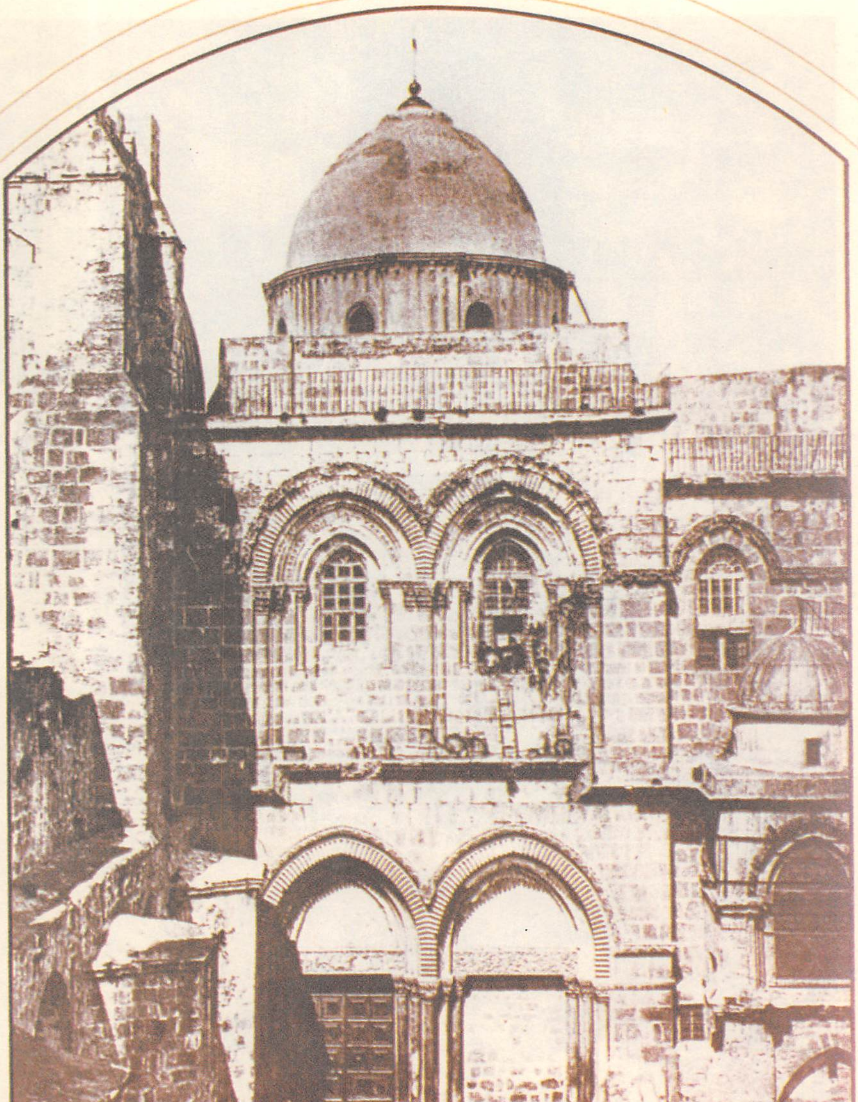
باب العمود حوالى عام ١٨٩٠ وقد ظهرت يافطة تشير إلى موقع مكتب شركة كوك للسياحة في البلدة القديمة



صورة قديمة للقدس حوالى عام ١٨٩٠ ويظهر فيها سوق الحلال خارج السور



صورة موكب القيصر وليام عند دخوله القدس عام ١٨٩٨ على حصان أبيض



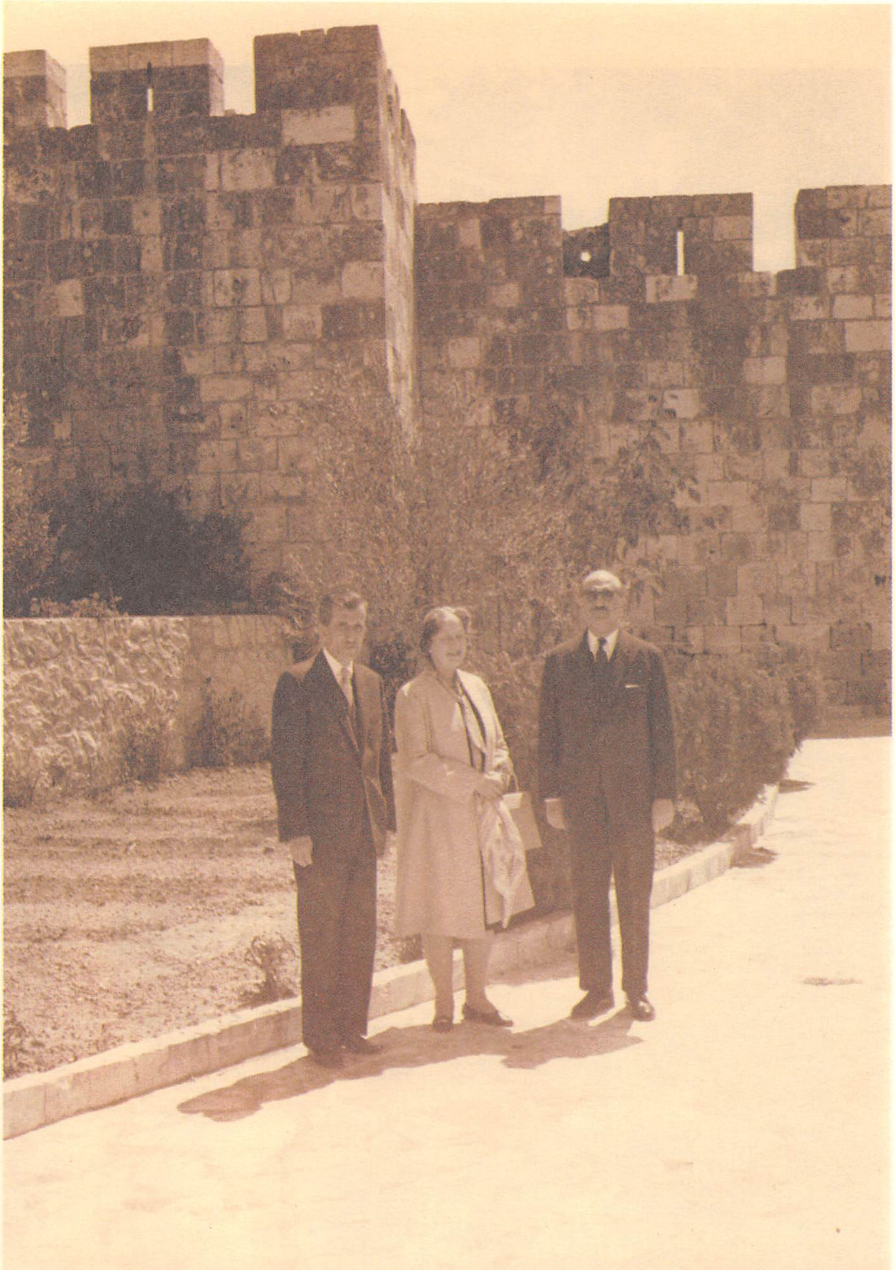
صورة تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر لواجهة كنيسة القيامة



الجنرال السير ادموند اللنبي الأول من اليسار وإلى يساره المطران الأنجليكاني ماك أنيس (Mac Innes) مع مجموعة من ضباط الجيش الإنجليزي ينظرون إلى القدس من على جبل الزيتون بعد دخولهم إليها عام ١٩١٧



الاحتفال في يوم غسل الأرجل في كنيسة القيامة (تصوير ساره جراهام براون في الأربعينيات)



السيد روحي الخطيب أمين القدس ومساعده السيد أنطون صافيه
أمام سور القدس أثناء احتفالات زرع الزيتون في المدينة المقدسة
ومعهما رئيسة جمعية شجرة الزيتون الفرنسية عام ١٩٦٣



صورة مجموعة الطوابع التي أصدرتها الحكومة الأردنية بمناسبة زيارة البابا بولس السادس للأراضي المقدسة ولقائه مع جلالة الملك الحسين والبطريرك المسكوني أثيناغوراس في القدس يوم ٥/١/ ١٩٦٤



أمين القدس السيد روحي الخطيب في أحد المؤتمرات عام ١٩٦٥ مع الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا
والشيخ محمد الأمين الشنقيطي سفير الأردن في المملكة العربية السعودية



رئيس المؤتمر الأرثوذكسي الخامس عام ١٩٩٢ الدكتور رؤوف أبو جابر
يرافق الأب إبراهيم عياد لدى اختتام الجلسة الافتتاحية



رئيس المؤتمر الأرثوذكسي الخامس عام ١٩٩٢ بعمان الدكتور رؤوف
أبو جابر يرافق سماحة الشيخ عبد الحميد السائح خلال حفل الافتتاح



السيد روحي الخطيب أمين القدس لدى زيارته الأولى لمسجدي الصخرة المشرّفة والأقصى المبارك
بعد عودته إلى القدس يوم ٣/٥/١٩٩٣ التي كان أبعده عنها الإسرائيليون عام ١٩٦٨



صورة التقطت على مدخل أمانة القدس بالبلدة القديمة عام ١٩٦٥ ويظهر فيها السيد روحي الخطيب أمين القدس وعلى يمينه الدكتور أمين مجج نائب الأمين وعلى يساره السيد داود أبو غزالة محافظ القدس والأستاذ المؤرخ عارف العارف كما يظهر في الصورة الحاج زكي الغول (أمين القدس ٢٠٠١) والدكتور إبراهيم طليل والسيد أنطون صافيه مساعد الأمين

المراجع

١ ـ العربية

كتب

أبو بكر، أمين مسعود. **ملكية الأراضي في متصرفية القدس (١٨٥٨ ـ ١٩١٨)**. عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٩٦.

أبو عز الدين، سليمان. **إبراهيم باشا في سوريا**. بيروت: المطبعة العلمية، ١٩٢٩.

أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**. تقديم نبيه أمين فارس؛ ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢.

برترام، أنطوان وج. و. أ. ينغ. **تقرير اللجنة ـ بطريركية أورشليم الأرثوذكسية**. ترجمة وديع البستاني. القدس: [د. ن.]، ١٩٢٥.

ـــــ. وهاري شارلزلوك. **تقرير اللجنة التي عينتها حكومة فلسطين لدراسة أوضاع البطريركية الأرثوذكسية في القدس**. [د. م.]: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٢١.

الحسني، علي. **تاريخ سوريا الإقتصادي: الاقتصاد روح الحرية والاستقلال**. دمشق: مطبعة بدائع الفنون، [١٩٢٣].

حلاق، حسّان. **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩**. ط ٣. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

الخطيب، روحي. **تهويد القدس**. عمان: روحي الخطيب، ١٩٧٠.

خوري، شحاده ونقولا خوري. **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية**. القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥.

ـــــــ. ـــــــ. ط ٢. عمان: [د. ن.]، ١٩٩٢.

خير، هاني سليم. **السجل التاريخي المصور، ١٩٢٠ ـ ١٩٩٠**. ط ٢. عمان: [د. ن.]، ١٩٩١.

دو منجنوي، بيير. **المونسنيور جوزيف فاليرجا بطريرك اللاتين في القدس**. القدس مطبعة دير اللاتين، ١٩٧٢.

ديفرو، روبرت. **العهد العثماني الدستوري الأوّل**. بلتيمور: [د. ن.]، ١٩٦٣.

رستم، أسد. **المحفوظات الملكية المصرية: بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير**. بيروت: المطبعة الأميركانية، ١٩٤٠ - ١٩٥٢. ٤ ج.

سالم، لطيفة محمد. **الحكم المصري في الشام ١٨٣١ ـ ١٨٤١**. القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٣.

ساور، ارفت رام. **الأتراك الجدد (تركيا الفتاة)**. لندن: [د. ن.]، ١٩٥٧.

السكاكيني، خليل. **كذا أنا يا دنيا**. أعدتها للنشر هالة السكاكيني. القدس: المطبعة التجارية، ١٩٥٥.

الشهابي، حيدر أحمد. **تاريخ أحمد باشا الجزار للأمير حيدر أحمد شهاب**. نشره ووضع مقدمته وحواشيه وفهارسه وألحقه بذيل تاريخي الأب انطونيوس شبلي والأب اغناطيوس عبده خليفة. بيروت: مكتبة انطوان، [١٩٥٥].

الصايغ، سليم. **الوضع الراهن بالنسبة للأماكن المقدسة**. روما: [د. ن.]، ١٩٧١.

صلاح، حنا. **فلسطين وتجديد حياتها: كتاب جامع لمباحث تاريخية وعمرانية واجتماعية وسياسية عن فلسطين**. نيويورك: الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية، ١٩١٩.

طيباوي، أ. ل. **المصالح البريطانية في فلسطين، ١٨٠٠ ـ ١٩٠١**. [د. م.]: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦١.

العارف، عارف. **المسيحية في القدس**. القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس، ١٩٥١.

ـــــــ. **المفصل في تاريخ القدس**. القدس: مكتبة الأندلس، ١٩٦١.

عرنيطة، يسرى جوهرية. **الفنون الشعبية في فلسطين**. عمان: [د. ن.]، ١٩٨٨.

العودات، يعقوب (البدوي الملثم). **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**. عمان: وكالة التوزيع، ١٩٧٦.

العورة، ابراهيم. **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل: يشتمل على تاريخ فلسطين ولبنان ومدنه وبلاد العلويين والشام**. تحرير قسطنطين الباشا. صيدا: مطبعة دير المخلص، ١٩٣٦.

الغوري، إميل. **فلسطين عبر ستين عاماً**. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٢. ٣ ج.

فرانكن، هندريكوس باكوبوس [وآخرون]. **القدس في التاريخ**. حرر الطبعة الإنكليزية وترجمها كامل جميل العسلي. عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٢.

فرح، رفيق. **تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس ١٨٤١ ـ ١٩٩١**. القدس: [د. ن.]، ١٩٩٥.

فريد، محمد. **تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٩٠٨**. ط ٣. بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧.

القانون الأساسي لنادي الإتحاد الأرثوذكسي في القدس. القدس: مطبعة بيت القدس، [د. ت.].

قزاقيا، خليل ابراهيم. **تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية**. هذب لغته ناصر عيسى الراصي. القاهرة: مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٢٤.

اللجنة الإعلامية الأردنية. **معاهدة السلام بين المملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٤**. عمان: اللجنة، ١٩٩٤.

لجنة صندوق الأبحاث الفلسطينية. **عملنا في فلسطين**. القدس: اللجنة، ١٨٥١.

ـــــ. ـــــ. نيويورك: اللجنة، ١٨٧٣.

الماضي، منيب وسليمان موسى. **تاريخ الأردن في القرن العشرين**. عمان: [د. ن.]، ١٩٥٩.

ماعوز، موشيه. **الإصلاح العثماني في سوريا فلسطين**. بريطانيا: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٨.

مركز القدس للدراسات التوراتية. **كتاب الدراسات**. ليكلاند فلوريدا: [المركز]، ١٩٨٧.

مطر، ابراهيم. **تحويل القدس ١٩٤٨ ـ ١٩٩٧**.

معمر، توفيق. ظاهر العمر. الناصرة: [د. ن.]، ١٩٧٩.

المنجد، صلاح الدين، محمد بن جمعة المقار ورسلان بن يحيى القاري. **ولاة دمشق في العهد العثماني: وهو يتضمن «الباشات والقضاة» لإبن جمعة والوزراء الذين حكموا دمشق لابن القاري ومصادر عن تاريخ دمشق أيام العثمانيين**.

الموسوعة الفلسطينية. دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠. ٢ قسم في ١٠ مج.

ميديبيل، بيير. **معهد البطريركية اللاتينية اللاهوتي في القدس**. القدس: مطبعة دير اللاتين، ١٩٥٢.

الهنيدي، سحر. **الثقة المفقودة ـ السير هربرت صموئيل والصهيونية والفلسطينيين**. لندن: [د. ن.]، ٢٠٠٠.

هواويني، رفائيل. **لمحة تاريخية في أخوية القبر المقدس اليونانية**. [د. م.]: طبعة لجنة الدعم والمساعدة للأرثوذكس في البطريركية المقدسية، ١٩٩٧.

دوريات

أبو جابر، رؤوف. «القدس بحاجة لموقف عربي إسلامي مسيحي.» **الرأي (عمان)**: ٢٢/١١/١٩٩٧.

اسبيريدون. «حوليات فلسطين ١٨٢١ ـ ١٨٤١.» **مجلة الجمعية الشرقية لفلسطين**: العدد ١٨، ١٩٣٨.

«تقرير أعمال المجمع العلمي الشرقي لسنة ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣.» **المقتطف**: السنة ٨، ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣.

الجيروساليم بوست: ٣١/١٢/١٩٩٥ و٩/١٩٩٨.

الحياة: ٢٣/٥/١٩٩٦؛ ٢٥/١٢/١٩٩٨، و١/٩/٢٠٠٠.

الدستور (عمان): ١٥/١/١٩٩٢؛ ١٠/٨/١٩٩٢؛ ٤/٧/١٩٩٦؛ ٢٠/٨/١٩٩٨؛ ٣١/٣/١٩٩٩؛ ١٧/٨/١٩٩٩؛ ٢٥/١٢/١٩٩٩؛ ٢٦/١٢/١٩٩٩؛ ٢٦/٨/٢٠٠٠؛ ١٩/٩/٢٠٠٠؛ ٩/١٠/٢٠٠٠؛ ٢٠/١٢/٢٠٠٠؛ ٢/٧/٢٠٠١.

الرأي (عمان): ١١/١٠/١٩٩١؛ ٤/٧/١٩٩٦؛ ١٩/١١/١٩٩٨؛ ٢٥/١٢/١٩٩٨؛ ١١/١١/١٩٩٩؛ ٢٣/٣/٢٠٠٠؛ ١٧/١٢/٢٠٠٠؛ ٢٠/١٢/٢٠٠٠، و٢٦/١٢/٢٠٠٠.

السفير: ٤/٦/١٩٩٤.

الشرق الأوسط: ٢٦/١٢/١٩٩٩.

الصنارة: ٤/٨/٢٠٠١.

صيقلي، سمير. «خدمات المسيحيين للنهضة في فلسطين قبل الحرب العظمى الأولى.» نشرة المعهد الملكي للدراسات الدينية: العدد ١، ٢٠٠٠.

العرب اليوم: ١٧/ ٨/ ١٩٩٩، و٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٠.

قندلفت، ابراهيم. «الستاتيكو والمؤسسات الكنسية في الأراضي المقدسة.»: النعمة (سوريا): آذار/ مارس ١٩٩٩.

معاريف: ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٠.

«من هم المسيحيون في الشرق الأوسط.» مجلة مجلس كنائس الشرق الأوسط: تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٦.

النهار: ٣/ ٩/ ١٩٩٧.

المؤتمرات

المسيحيون في الأراض المقدسة. تحرير مايكل برابر ووليم تايلور. لندن: مؤسسة عالم الإسلام الثقافية، ١٩٩٤.

المؤتمر الأرثوذكسي في القدس. حزيران/ يونيو ٢٠٠٠.

المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام.

٢ ـ الأجنبية

Books

Asali, K. J. (ed). *Jerusalem in History*. Buckhurst Hill Essex. England: Scorpion Publications, 1989.

Conder, C. R. *The Survey of Eastern Palestine: Memoirs of the Topography, Orography, Hydrography, Archaeology....* London: Committee of the Palestine Exploration Fund, 1889.

_____. *The Survey of Western Palestine*. London: Committee of the Palestine Exploration Fund, 1881-1885.

Finn, James. *Stirring Times*. 2 vols. London: C. K. Paul and Co., 1878.

Gadshy, John. *My Wanderings: Being Travels in the East (between 1846 and 1860)*. London: Gadsby, 1855-1860. 2 vols.

Hopwood, Derek. *The Russian Presence in Syria and Palestine, 1843-1914: Church and Politics in the Near East*. Oxford: Clarendon Press, 1969.

Ma'oz, Moshe. *Ottoman Reform in Syria and Palestine, 1840-1861; The Impact of the Tanzimat on Politics and Society*. Oxford; London: Clarendon P., 1968.

Possetto, Allessandro. *Il Patriarcato Latino di Gerusaleme (1848-1938)*. Milano: El Cura di Crociatia, 1938.

Rustum, Asad J. *The Royal Archives of Egypt and the Disturbances in Palestine, 1834.* Beirut: American Press, 1938.

Stavrou, Theofanis. *Russian Interests in Palestine, 1882-1914: A Study of Religious and Educational Entreprise.* Thessaloniki: Institute for Balkan Studies, 1963. (Hidryma Melekon Chersonesou Tou Haimou; 68)

Storrs, Ronald. *Orientations.* London: Nicholson and Walson, 1943.

Volney, M. C-F. *Travels through Syria and Egypt: In The Years 1783, 1784, and 1785. Containing the Present Natural and Political State of Those Countries, their Productions, Arts, Manufactures, and Commerce; With Observations on the Manners, Customs, and Goverment of the Turks and Arabs.* 2nd ed. London: Printed for G. G. J. and J. Robinson, 1788. 2 vols.

فهــرس

ـ ب ـ

- ح -

- ع -

- ن -